

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الدراسات العليا

جهود بعض علماء البلد الحرام في تقرير العقيدة السلفية

في القرن الرابع عشر الهجري

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب
عبدالمحسن بن ردة الله بن حمدي الصاعدي الحربي

إشراف
فضيلة الدكتور/ عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي

١٤١٩هـ

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى اله وصحبه أجمعين . . أما بعد:

فإن بيان جهود علماء أهل السنة والجماعة في تقرير عقيدة السلف وحمايتها وإبرازها للأمة من خير ما يقوم به طلبة العلم، وذلك لكثرة الفوائد المترتبة على ذلك، ومن هذه الجهود ما قام به علماء البلد الحرام في القرن الرابع عشر الهجري في تقرير عقيدة السلف التي تمثل هذه الرسالة جزءا مهما منها.

وتتلخص الرسالة في النقاط التالية:

المقدمة: وتشمل أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وخطة البحث.

التمهيد: ويشمل بيان حال البلد الحرام خلال الفترة المذكورة.

الباب الأول: جهودهم في بيان مصادر العقيدة عند السلف وعند المخالفين لهم.

الباب الثاني: بيان جهودهم في تقرير التوحيد وتوضيحه ويحتوي على بيان موقفهم من توحيد الربوبية ومسائله، وتوحيد الألوهية وقضاياه، وتوحيد الأسماء والصفات وما يتعلق به.

الباب الثالث: بيان جهودهم في مسائل الإيمان وأحكامه، ويحتوي على تعريف الإيمان وزيادته ونقصانه، وحكم مرتكب الكبيرة.

الباب الرابع: جهود في تقرير الإيمان بالملائكة والكتب والرسل وما يتعلق بها من مسائل.

الباب الخامس: جهودهم في تقرير الإيمان باليوم الآخر ويحتوي على بيان موقفهم من أشراط الساعة، والموت وما بعده، والبعث وما بعده.

الباب السادس: جهودهم في تقرير الإيمان بالقضاء والقدر ويحتوي على بيان معنى الإيمان بالقضاء والقدر والإيمان بخلق أفعال العباد.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث ومنها:

١ـ أن علماء البلد الحرام رحمهم الله يلتزمون منهج السلف الصالح في تقرير العقيدة.

٢ـ تأثرهم بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية، ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

أ ـ موافقته في المسائل العقدية المهمة التي كانت مثار جدل وخلاف مع خصومه في تلك الفترة.

ب ـ انتهاج منهجه في التأليف.

جـ ـ دفاعهم عنه ورد ما نسب إليه ظلما وزورا.

ملحق يحتوي على تراجم علماء البلد الحرام المعنيين في هذا البحث.

وأخيرا: الفهارس العلمية

الطالب	المشرف	عميد الكلية
عبدالمحسن ردة الله الحربي	د. عبدالله بن عمر الدميجي	د. محمد طاهر زرولي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾[(١)].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾[(٢)].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾[(٣)].

وبعد: فإن عقيدة التوحيد وإفراد الله وحده بالعبادة هي أجل المسائل وأعظمها على الإطلاق فمن أجلها خلق الله الخلق، وأنزل الكتب، وبعث الرسل، فجميع الأنبياء الذين بعثهم الله إنما بعثهم للدعوة إلى عقيدة التوحيد، وإفراده وحده بالعبادة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾[(٤)].

وقد ختمهم الله سبحانه بمحمد ﷺ البشير النذير والداعي إلى الله بإذنه، والسراج المنير، فعمل بما كان عليه إخوانه المرسلون من العناية بعقيدة التوحيد، فأخذ ينادي بهذه العقيدة في أرجاء قومه الذين عكفوا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦.

تفلحوا»[١] فما كان منهم إلاَّ أن أنكروا دعوته، وردوا مقالته، فقالوا له متعجبين ولدعوته مستنكرين ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾[٢] فما استكان ولاتوانى واستمر على ذلك حتى آخر حياته ﷺ، فقد كان يقول عليه الصلاة والسلام في مرض موته: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما صنعوا[٣]، فنفع الله بدعوته، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديَّان، ففتح الله به أعينًا عميًا، وقلوبًا غلفًا، وآذانًا صمًّا، ولم يمت ﷺ حتى أتم الله به هذا الدين، وأكمل به هذه الملة حيث أدى رسالة ربه وافية كاملة ممتثلاً أمر ربه حيث يقول تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[٤]. وقد ذكر الله في كتابه أنه ما مات النبي ﷺ حتى أتم الله الدين وأكمله، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[٥].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «أخبر الله نبيه والمؤمنين أنه أكمل لهم الدين، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمَّه الله فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه الله، فلا يسخطه أبدًا»[٦].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٢، ٤/ ٣٤١، ٥/ ٣٧١)، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢١)، وابن سعد في الطبقات (٦/ ٢٧)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤/ ٢٦٣)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١/ ٣٤١)، والحديث صحيح قال الألباني: حديث صحيح. انظر: كلمة الإخلاص ص(٥٧).

(٢) سورة ص، الآية: ٥.

(٣) رواه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: ٥٥ (١/ ٧٠٠)، ح/ ٤٣٥، ٤٣٦، ورواه في كتاب: الجنائز، باب: ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور (٣/ ٢٥٧)، ح: ١٣٣٠، ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور (١/ ٣٧٧) ح/ ٥٣١.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٦) رواه ابن جرير بسنده في التفسير (٤/ ٤١٩).

وعلى هذا المنهاج في فهم العقيدة سار خير القرون بدأً بالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ثم التابعين، ثم من جاء بعدهم من أئمة الهدى والدين، ومن اقتفى أثرهم وسار على نهجهم وترسَّم خطاهم.

فأهل العلم هم ورثة الأنبياء ولهم جهد كبير، وأثر عظيم في نقل هذا الدين وإيصاله إلى الناس صافيًا نقيًّا، فعلى مر العصور واختلاف الأيام يقيض الله لهذا الدين العلماء الأعلام الذين يقومون بإرشاد الناس إليه، ويهدونهم إلى الطريق المستقيم بوسائل شتى منها الخُطب والمواعظ والدروس، والمؤلفات النافعة، فيحيون ما اندرس من السنن ويردون ما جد من الحوادث والبدع، ويكونون أئمة خير يهدون الناس بأمر الله إلى كل خير، وبهم يكون صلاح الدين والدنيا، وبفقدهم ينتشر الفساد في هذه الحياة.

وممَّن قام بهذا الحق من علماء أهل السنة والجماعة في القرن الرابع عشر الهجري جملةٌ من علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ حيث أخذوا على أنفسهم نشر العقيدة الصحيحة وتقريرها، والذود عن حياضها ضد المخالفين لها في فترة اندرست فيه السنة وانتشرت فيه البدعة، ولُبِّسَ على الناس كثير مما نزل إليهم من ربهم بسبب انتشار الجهل وقلة العلماء المحققين، والدعاة المصلحين، وجمود كثير من العلماء على ما توارثوه عن أشياخهم، فاختلطت العبادة بالعادة، والسنة بالبدعة.

في هذه الفترة ظهر هؤلاء الأعلام، وقاموا بالذود عن حياض هذه العقيدة وتقرير عقيدة السلف ـ رحمهم الله ـ عن طريق التدريس والتأليف والترجمة والجهود الخاصة، والوسائل الأخرى.

وقد عثرت لهؤلاء الأعلام على عدد من المؤلفات التي لازالت حبيسة في خزانات بعض المكتبات الإسلامية لم تر النور بعد، والقليل منها طُبع طبعات قديمة نفدت من الأسواق من فترة طويلة وأصبحت في عداد المخطوطات، وبعض هذه المؤلفات ـ للأسف ـ في عداد المفقودات.

ونظرًا لأولئك العلماء من حق علينا في السعي إلى إبراز تلك الجهود من أجل استمرار الإفادة في أعقابهم لاستمرار أجرها عند الله تعالى، ولما لها من ارتباط بالواقع المُعاش اليوم، وحاجة الأجيال المعاصرة إليها رأيت من الواجب عليَّ أن أسهم ولو بجهد المقل في إبراز أولئك الأعلام، وإظهار تلك الجهود لتكون نبراسًا للأجيال الصاعدة لتتصل حلقة الأواخر بالأوائل.

لذلك وقع اختياري على موضوع: «**جهود بعض علماء البلد الحرام في تقرير العقيدة السلفية في القرن الرابع عشر الهجري**»، ومما دفعني لاختياره أيضًا الأسباب الآتية:

أولًا: بيان الواجب علينا تجاه هؤلاء العلماء الذين قاموا بنشر العقيدة السلفية وإظهارهم لكي يعرف أهل الحق والفضل.

ثانيًا: الحاجة إلى إبراز جهود أولئك العلماء الأفذاذ خاصة وأن أكثرهم أصبح من المغمورين الذين لا يعرفون عند أوساط طلبة العلم، فضلًا عن غيرهم، في حين نرى إبراز جهود أصحاب الاتجاهات المخالفة، والرفعة من شأنهم مع غمط حقوق الآخرين.

ثالثًا: الحاجة إلى كتابة عقيدة العلماء السلفيين في بلد الله الحرام في القرن الرابع عشر الهجري، وعرضها مجموعة ومرتبة ومنسَّقة.

رابعًا: بيان أن أهل السنة والجماعة لا يخلو منهم زمان على مر العصور.

وقد وضعت لنفسي بعض الضوابط التي من تتوفر فيه فسوف يكون داخلًا في مجال بحثنا هذا، وهي على النحو التالي:

١ـ أن يكون هذا العَلَم قد خلَّف مؤلفات أو مقالات مكتوبة في نشر العقيدة السلفية، وكان مشتغلًا بالتدريس والتأليف.

٢ـ أن يكون متوفىً لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

٣ـ أن يكون ممن نزل مكة، واستوطنها وقضى أغلب حياته العلمية فيها، بغض النظر عن مولده ووفاته.

٤ـ أن يكون له ترجمة مكتوبة.

وكان همي في أول الأمر جمع المراجع والمصادر لهذا البحث فبدأت بسؤال بعض العلماء وطلبة العلم ممن عاصر هؤلاء العلماء عنهم وعن كتبهم وأبنائهم، ثم قمت بزيارة من عرفت من أبنائهم، فقوبلت من بعض أبناء هؤلاء العلماء بالترحاب، ومد يد العون لي في هذا الموضوع، أما بعضهم الآخر فقد قابلني مقابلة لا تُحمد، كما إنني استعنت بعد ذلك بمراجعة بعض المكتبات وأخص منها بالذكر:

١ـ مكتبة الحرم المكي.

٢ـ مكتبة الحرم النبوي.

٣ـ مكتبة جامعة الملك سعود.

وبعد أن جمعت المراجع بدأت بقراءتها واستخراج المادة العلمية منها.

وقد قمت بالنقل عن كل واحد من هؤلاء العلماء أتم النصوص التي وقفت عليها وأصرحها دلالة على المسألة، وإذا تكرَّرت النصوص أشير إليها بقول: «انظر»، وإذا لم أجد للعَلَم قولاً في المسألة المطروحة فإني أُغفله، كما أنني ذكرت نصوص هؤلاء العلماء حسب تاريخ وفياتهم.

وقد اجتهدت في الالتزام بالمنهج العلمي في البحث والعَزو إلى المصادر. كما التزمت بترقيم الآيات وعزوها إلى سورها وكتابتها بالرسم العثماني تلافيًا للوقوع في الخطأ، وتخريج الأحاديث من مظانها واعتمدت على الأحاديث المقبولة دون الضعيفة والمتروكة.

وقد قمت بوضع ملحق ترجمت فيه لكل عَلَم من علماء البلد الحرام الذين ذكرت ذاكرًا: اسمه ونسبه، ومشايخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، مع نبذة يسيرة عن كل مؤلَّف، أما غيرهم من العلماء فلم أترجم لهم لشهرتهم.

وذيَّلت هذا البحث بفهارس للآيات والأحاديث والآثار

والمصادر، وجعلتها مرتبة على حروف المعجم، ماعدا الآيات القرآنية فإنها رُتبت حسب ترتيبها في القرآن.

وقد قسَّمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وستة أبواب وخاتمة وملحق بالتراجم.

أما **المقدمة** فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وخطة البحث.

وأمَّا **التمهيد** فقد تحدثت فيه عن بيان واقع البلد الحرام خلال الفترة المذكورة.

أما **الباب الأول:** فخصصته عن جهودهم في بيان مصادر العقيدة: واشتمل على فصلين:

الفصل الأول: موقفهم من مصارد السلف:

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول: موقفهم من الكتاب العزيز.

المبحث الثاني: موقفهم من السنة المطهرة.

المبحث الثالث: موقفهم من الإجماع.

المبحث الرابع: موقفهم من الأدلة العقلية الصحيحة.

المبحث الخامس: موقفهم من الفطرة.

الفصل الثاني: موقفهم من مصادر الخلف:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقفهم من العقل المجرد.

المبحث الثاني: موقفهم من علم الكلام والفلسفة.

المبحث الثالث: موقفهم من مصادر المتصوفة وفيه:

١ـ موقفهم من الرؤى والمنامات.

٢ـ موقفهم من الكشف والإلهام والوجد.

أما **الباب الثاني:** فعن جهودهم في تقرير التوحيد وتوضيحه:

وقد قسَّمته إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: موقفهم من توحيد الربوبية، وفيه تمهيد ومبحثان:

التمهيد.

المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: دلالات توحيد الربوبية، وفيه:

١ـ دلالة الفطرة.

٢ـ دلالة الخلق والآفاق.

الفصل الثاني: موقفهم من توحيد الألوهية، وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: أهميته.

المبحث الثالث: معنى كلمة التوحيد.

المبحث الرابع: شروط «لا إله إلاَّ الله».

المبحث الخامس: مفهوم العبادة.

المبحث السادس: بعض الأمور التي تنافي أصل التوحيد، وفيه:

١ـ نداء الأموات والاستغاثة بهم.

٢ـ الذبح لغير الله.

٣ـ النذر لغير الله.

المبحث السابع: بعض الأمور التي تنافي كمال التوحيد، وفيه:

١ـ تعليق التمائم والأوتار.

٢ـ التبرك بالأحجار والأشجار.

٣ـ الحلف بغير الله.

٤ـ قول ما شاء الله وشئت.

المبحث الثامن: مبحث التوسل.

المبحث التاسع: شبه حول التوسل والجواب عنها.

المبحث العاشر: الشفاعة.

الفصل الثالث: موقفهم من توحيد الأسماء والصفات، وفيه تمهيد

وسبعة مباحث:

المبحث الأول: مذهبهم في الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: مفهوم الإلحاد في الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: أنواع الصفات.

المبحث الرابع: القواعد العامة في الأسماء والصفات.

المبحث الخامس: عقيدتهم في بعض الصفات، وفيه:

١ـ صفة العلو والاستواء.

٢ـ صفة الكلام.

٣ـ صفة اليد.

المبحث السادس: رؤية الباريء في الآخرة.

المبحث السابع: المعية.

أما **الباب الثالث**: فعن جهودهم في تقرير مسائل الإيمان وأحكامه، واشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الإيمان، حقيقته، وزيادته، ونقصانه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى الإيمان وحقيقته.

المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

الفصل الثاني: العلاقة بين مسمَّى الإيمان والإسلام.

الفصل الثالث: حكم مرتكب الكبيرة، وما يتعلق بها من مسائل، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

المبحث الثاني: حد الكبيرة والصغيرة.

المبحث الثالث: حكم مرتكب الكبيرة.

أما **الباب الرابع**: فعن جهودهم في تقرير الإيمان بالملائكة والكتب والرسل، وما يتعلق بها من مسائل، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الإيمان بالملائكة.

الفصل الثاني: الإيمان بالكتب.
الفصل الثالث: الإيمان بالرسل، وما يتعلق به، وفيه خمسة مباحث:
المبحث الأول: تعريف النبي والرسول.
المبحث الثاني: حاجة البشر للرسالة.
المبحث الثالث: معنى الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام.
المبحث الرابع: عصمتهم عليهم السلام.
المبحث الخامس: بعض خصائص النبي ﷺ وفيه:
١ـ ختم النبوة. ٢ـ عموم الرسالة.
٣ـ الإسراء والمعراج. ٤ـ الشفاعة العظمى.
أما **الباب الخامس**: فعن جهودهم في تقرير الإيمان باليوم الآخر، وفيه ثلاثة فصول:
الفصل الأول: الإيمان بأشراط الساعة.
الفصل الثاني: الإيمان بالموت وما بعده.
الفصل الثالث: الإيمان بالبعث وما بعده.
أما **الباب السادس**: فعن جهودهم في تقرير الإيمان بالقضاء والقدر، وفيه فصلان:
الفصل الأول: معنى الإيمان بالقضاء والقدر.
الفصل الثاني: الإيمان بخلق أفعال العباد.
الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث
ثم **ملحق**: ترجمت فيه لكل علم من علماء البلد الحرام الذين ذكرت.
ثم **الفهارس**: فقد قمت بعمل فهارس علمية.

وهناك بعض العلماء السلفيين الأفاضل ـ الذين كان لهم قدم صدق في الدعوة إلى العقيدة السلفية في هذه الفترة في البلد الحرام، ولكن لم يذكروا في البحث لعدة أسباب، فمنهم من لم أقف له على ترجمة[1]،

---

(١) مثل: عمر بن علي الفاروق ومحمد تكر الأدماوي، وموسى الكشناوي. وقد ذكرهم الشيخ عمر فلاتة.

ومنهم من لم أقف له على أثر مكتوب للاستفادة منه(١). وأنا إن كنت لم أذكرهم في هذا البحث فجهلي بهم لا يضيرهم شيئًا وما قدموه في هذا السبيل سيجدوه عند الله في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى. وهناك علماء كان لهم جهود مشكورة في الرد على أهل البدع والضلال وأهل الملل والنحل الأخرى وعلى شبهات التغريب الوافدة لم يدخلوا في مادة البحث نظرا لكثرة هذه الجهود وحاجتها إلى رسالة أخرى وقد اقتصرت على الموضوعات التي وافقت عليها المجالس الرسمية.

وأخيرًا فإنني أشكر الله تعالى على أن وفَّقني لإتمام هذا البحث ويسَّر لي أسباب ذلك بمنّه وفضله، ثم أشكر أستاذي وشيخي الشيخ الفاضل د/ عبدالله الدميجي على ما قدَّمه لي من توجيه ونصح وتسديد ومساعدة كان لها أكبر الأثر في تصحيح بحثي وتوجيهه فجزاه الله خيرًا.

ولا يفوتني أن أشكر المناقشين الكريمين على تقبلهما مناقشة هذه الرسالة، وأسأل الله أن ينفعني بعلمهما وما يقدمانه من توجيهات وتصويبات.

كما لا يفوتني أن أشكر كل من استفدت منه بنصيحة أو فائدة علمية أو إعارة كتاب أو مراجعة أثناء التصحيح، وأخص بالشكر أبناء وتلاميذ علماء البلد الحرام الذين قدَّموا لي المساعدة في الحصول على بعض المراجع فلهم مني جميعًا الشكر والتقدير.

وكذلك أشكر جامعة أم القرى ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين، وفي قسم العقيدة خاصة على ما قدَّموه لي من مساعدة وتمكين فجزاهم الله خير الجزاء. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

عبدالمحسن بن ردَّة الله بن حمدي الحربي

---

(١) مثل: محمد حسن الصيني، وعثمان الحسين مدرس، وأحمد علي أسد الله، وسعد وقاص، وصالح الفلسطيني، وعبيدالله السندي، وعبيدالله الدهلوي، وعبدالملك بن إبراهيم، وعبدالرحمن ابن محمد الشعلان، ومظهر حسين.

تمهيد

البلد الحرام أول قطر شعَّ فيه نور الهداية المحمدية، ورفعت فيه مشاعل الحق والعرفان، وخفقت على ربوعه رايات الإسلام، ودوَّت في جنباته كلمة التوحيد، وزهق الباطل وأهله إن الباطل كان زهوقًا، حيث قام نبي الهدى ﷺ بنشر الإسلام وتجديد ما اندرس من معالم الحنيفية السمحة بعد إمام الحنفاء إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، ثم سار الخلفاء الراشدون على منهج النبي ﷺ في الدلالة والإرشاد وتعليم الناس أمر دينهم دون فلسفة أو تعقيد، ثم دالت الدول وانتقل مركز الخلافة من الحجاز إلى غيره من البلاد، وتولى السيطرة والنفوذ الحكام العبيديون والأيوبيون والمماليك والعثمانيون وغيرها من الدول، وفي القرن العاشر الهجري تمت السيادة للدولة العثمانية على سائر البلاد العربية، وقد كانت الدولة العثمانية منذ أوائل القرن الثاني عشر الهجري في حكم الزوال حيث أصبح السلطان العثماني ليس له من الأمر شيء، وإنما الذي يدير دفة الحكم بعض الوزراء الذين كان أصلهم من عناصر أجنبية أوربيةمن يهود الدونمة وماسون سالونيكا المتظاهرين بالإسلام[(١)]

وكان الحجاز يحكمه الأشراف تحت سلطان الدولة العثمانية، وكانت المنازعات بين حكام الأشراف على أشدِّها حتى قتل الأخ أخاه وأهدرت الدماء، واستحلت الحرمات، وكانت مدة ولاية الواحد منهم قصيرة لا تتجاوز السنة أو السنتين وانشغل الحكام عن تعليم الناس أمور دينهم حتى فشا الجهل وظهرت البدع والخرافات وانتشر البناء على القبور والاستغاثة بها[(٢)]؛ فمن ذلك ما يُفعل عند قبر أبي طالب من استغاثة عند حلول المصائب ونزول الكوارث، وكذلك ما يفعل عند قبر

---

(١) انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة لمحمد كمال جمعة ص(١١، ١٢).

(٢) تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران (٢/ ٨٠-٩٣).

المحجوب[١] من التماس الشفاعة، وما يفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ في «سَرِف» وعند قبر خديجة في «المعلاة» من اختلاط النساء بالرجال والاستغاثة ورفع الأصوات وما يفعل عند قبر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في الطائف من أمور تشمئز منها النفوس، حيث يقف المكروب والخائف متضرعًا مستغيثًا، وينادي أكثر الباعة في الأسواق: «اليوم على الله وعليك يا ابن عباس» وما يُفعل عند قبر النبي ﷺ من أمور شركية كتعفير الخدود والانحناء والسجود واتخاذه عيدًا ومن توجه للقبر بخضوع وتذلل حتى إنه نُقِش على الحُجرة التي على القبر بعض أبيات نهج البردة[٢].

وأمَّا ما يفعل في جدّة عند ما يزعمونه قبر حوَّاء[٣] فهو أشدَّ وأنكىٰ، واستمرَّ الوضع كذلك حتى كلَّم الشيخ أحمد بن عيسى رحمه الله الشريف عون بأن يهدم القباب فهدمها وأزال ما كان في الحجاز من تشييد للقبور إلاَّ ما كان من قبر حوَّاء وخديجة وابن عباس فإنه تركه مخافة تشويش السلطان عبدالحميد العثماني[٤].

ثم أعاد القبوريون أكثر تلك القباب لما كانت عليه إلى أن استولى الملك عبدالعزيز رحمه الله ومن معه من جيش الإخوان ـ رحمهم الله ـ على مكة سنة (١٣٤٣هـ) وهدموا ضريح السيدة خديجة، وبيت السيدة فاطمة، والمولد النبوي، لاحتفاء الأتراك بها زمن دولتهم[٥].

---

(١) هو محمد عثمان بن محمد أبوبكر بن عبدالله الميرغني المحجوب، ولد بمكة عام (١٢٠٨هـ) وتتلمذ على علمائها وغلب عليه التصوف، وهو مؤسس الختمية. توفي بالطائف (١٢٦٨هـ)، وأقيم على قبره ضريحًا وأصبح مزارًا. انظر: الأعلام (٦/ ٢٦٢)، وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان (١/ ٢٩٥، ٢٩٦).

(٢) انظر: تاريخ نجد لحسين بن غنام ص(١٦، ١٧)، ومرآة الحرمين (١/ ٥٩)، إبراهيم رفعت الباشا، والمشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية ص(١٤ـ٢٢).

(٣) وهذا القبر المنسوب لحواء لا يثبت ولا يستند بدليل شرعي ولا تاريخي معتبر.

(٤) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين (١/ ٧٥) محمد بن عثمان القاضي.

(٥) تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديان، وذكر حوادث الزمان (٣/ ٩١) =

ومما كان يحدث في الحجاز بدعة المقامات للمذاهب الأربعة يقول الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فحدثت بدعة المقامات الأربعة في الحرمين فكنت أرى الحنفي لا يقتدي بالشافعي، ويجلس فيما بين الصفوف ينتظر جماعة مذهبه»[١]. إضافة إلى ما كان يحدث من إحياء لليلة المولد النبوي وعاشوراء وليلة النصف من شعبان، والسابع والعشرين من شهر رجب، وما ينفق عليها من أموال وما يحدث فيها من منكرات ومخالفة صريحة لنصوص الكتاب والسنة[٢].

كما أُلفت بعض الكتب والرسائل في الرد على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والافتراء عليه رَحِمَهُ اللَّهُ بما هو منه بريء، وتقرير الممارسات الشركية والبدعية التي تقام عند الأضرحة والقبور وغيرها[٣].

وفي عام (١٣٢٦هـ) أصدر الدستور العثماني استيفاء ضريبة خاصة على دفن الموتى وقدرها (خمسة ريالات) لتصرف على إصلاح القبور واستحضروا شيخ القبوريين ليبلّغوه استيفاء ذلك من أصحاب الموتى فرفض وعاونه الناس على ذلك الرفض واشتبكوا مع جند الأتراك في عدة مواقع من الأسواق، وقُتل وجُرح من الفريقين عدد غير كبير، ثم استطاع الأتراك بمساعدة بعض الأشراف إخماد الفتنة بعد ساعات من نشوبها[٤].

ومما كان يحدث من البدع في الحجاز بدعة المحمل[٥] حيث كان يفد المحمل الشامي والمصري إلى مكة في أيام الحج، وكان المحملان

= إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن، ط: الأولى، مطبعة النور.

(١) مختصر ترجمة حال محمد سلطان المعصومي ص(٥٧).

(٢) مرآة الحرمين (٢/ ٣١٣-٣٣٠).

(٣) مثل الدرر السنية في الرد على الوهابية.

(٤) تاريخ مكة ص(٥٦٠).

(٥) المحمل: اسم لشبه هودج من خشب تحيط به ستائر محمول على جمل بداخله كسوة الكعبة. انظر: الرحلة الحجازية (٢/ ٢٢٤) لمحمد السنوسي.

يستقبلان في جدة ومكة استقبالاً رسميًا، وكان إذا وصل ركب أحدهما أناخ جمل المحمل بجوار باب النبي في حفل عام تعزف فيه موسيقى مكة والمحمل، ثم يُنقل على أكتاف الرجال من باب النبي إلى المسجد حيث يستقر كل محمل في مكانه المخصص بين باب النبي وباب قايتباى ويبقيان كذلك إلى يوم السفر فيخرج كل منهما في يومه المحدد ليحتفلوا بتوديعه بعد أن يطوف الجمل به عدة طوفات في الشارع أمام باب علي[(١)].

وخلاصة الأمر أن الوضع في الحجاز كان غارقًا في الانحراف إلى أن دخل الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ مكة فجمع بين علمائها وعلماء نجد وأخذوا يتباحثون في مسائل الخلاف العقدي، واتفقوا في هذه المسائل على نحو ما يلي:

١ـ اعتقاد أن الله واحد في ربوبيته، وواحد في ألوهيته، وواحد في أسمائه وصفاته، فلا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت ولا مدبر للأمور سواه، ولامعبود بحق في الوجود إلاَّ هو وهذا معنى «لا إله إلاَّ الله».

له الأسماء الحسنى والصفات العليا، كما أثبتها لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله، بلا تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل، وأنه فوق سمواته على عرشه.

٢ـ اعتقاد أن عبادة غير الله شرك، وأن دعاء غيره من الأموات والغائبين وحبه كحب الله وخوفه ورجاءه، ونحو ذلك شرك أكبر.

٣ـ اعتقاد أن الشفاعة ملك لله وحده، وأنها لا تكون إلاَّ لمن أذن له ورضي عنه.

٤ـ اعتقاد أن التوسل إلى الله إنما يكون بطاعته وطاعة رسوله، أما السؤال

---

(١) المصدر السابق ص(٥٧٦، ٥٧٧).

بجاه النبي أو جاه أحد من خلقه فإنه حرام.

٥ـ اعتقاد أن زيارة القبور تنقسم إلى ثلاثة أنواع: شرعية وبدعية وشركية. فالشرعية: هي التي يقصد بها: تَذَكّر الآخرة والدعاء للميت واتباع السنة.

والبدعية: هي التي يقصد بها: عبادة الله عند القبور.

والشركية: هي التي يقصد بها: تعظيم القبور ودعاء أصحابها والذبح لها أو النذر لها.

٦ـ اعتقاد أن البناء على القبور بدعة.

٧ـ اعتقاد أنه لا يجوز الحلف بغير الله.

٨ـ اعتقاد أن أفضل المخلوقين وأكملهم نبينا محمد ﷺ، وقد وصفه الله بالعبودية في أشرف المقامات، ونهى ﷺ عن إطرائه.

٩ـ اعتقاد أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

١٠ـ عدم تكفير أحد من أهل القبلة بمجرَّد المعصية.

١١ـ اعتقاد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما جاءت به الشريعة واجب[(١)].

كما أصدر علماء المدينة النبوية فتوى حول هذا الهدف إعذارًا وتنصُّلاً مما كان يفعله العامة من أمور شركية وبدعية تتنافى مع العقيدة الصحيحة على النحو التالي:

١ـ أن البناء على القبور ممنوع إجماعًا لصحة الأحاديث الواردة في منعه.

٢ـ أن اتخاذ القبور مساجد، والصلاة فيها ممنوع مطلقًا، وإيقاد السرج عليها ممنوع.

٣ـ أن ما يفعله الجهال عند الأضرحة من التمسح بها وتقبيلها والتقرُّب

---

(١) انظر: مجلة المنهل السنة ١٤، ١٣٧٣هـ (٣/ ١٥٧)، وتاريخ مكة ص(٦٤٠)، وتاريخ أمراء البلد الحرام ص(٤٤٤)، ونداء عام من علماء بلد الله الحرام في معتقد أهل الإسلام، اعتنى به: محمد بن عبدالعزيز الأحمد.

لها بالذبح والنذر، ودعاء أهلها مع الله ممنوع شرعًا لا يجوز فعله أصلاً.

٤ـ أن التوجه إلى الحجرة النبوية عند الدعاء الأولى منعه[١].

هذا ما قرّره علماء الحرمين ـ رحمهم الله ـ من إنكارهم لما يفعله الناس في الحرمين الشريفين، وقد كتبوا في ذلك الرسائل والمؤلفات بيانًا منهم لدين الله عز وجل وإعذارًا إلى الله، وإنكارًا لما يفعله الناس في الحرمين الشريفين رحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

---

(١) مجلة المنهل: السنة الرابعة عشر من عام (١٣٧٣هـ) (٣/١٥٨).

الباب الأول

جهودهم في بيان مصادر العقيدة

الفصل الأول

موقفهم من مصادر السَّلف

وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: **موقفهم من كتاب الله العزيز.**

المبحث الثاني: **موقفهم من السنة المطهرة.**

المبحث الثالث: **موقفهم من الإجماع.**

المبحث الرابع: **موقفهم من الأدلة العقلية الصحيحة.**

المبحث الخامس: **موقفهم من الفطرة.**

تمهيد

«المصدر: مأخوذٌ من الصدرِ وهو نقيض الورد، وصدر عنه يصدر صدرًا ومصدرًا، والصدر عن الشيء: الرجوع، ويقال: صدر القوم عن المكان: أي رجعوا عنه»[(١)].

ومنه قول الله تعالى: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾[(٢)]، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قرأ ابن عامر وأبوعمر (يَصْدُر) من صدر وهو ضدّ ورد: أي: يرجع الرعاء، والباقون (يُصْدِر) بضم الياء من أصدر أي: حتى يصدروا مواشيهم من وردهم»[(٣)].

ومن هذا يتبيَّن لنا أن كلمة «مصدر» تعني الشيء الذي يرجع إليه القوم، فيأخذون منه ويعتمدون عليه، وأن لكل قومٍ مصادر يرجعون إليها، ويصدرون عنها في اعتقاداتهم وآرائهم، وأن مصادر أهل السنة والجماعة التي عنها يصدرون وعليها يعتمدون وإليها يرجعون عند الاختلاف وينزلون على حكمها في مسائل الاعتقاد والأحكام؛ تتلخص فيما يلي:

المصدر الأول: الكتاب العزيز، الذي هو كلام الله المنزَّل، غير مخلوق، الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[(٤)].

المصدر الثاني: السُّنَّة المُطَهَّرة، التي هي وحيٌ من رب العالمين على خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ

---

(١) لسان العرب (٤/ ٤٤٥) مادة (صدر) بتصرف.
(٢) سورة القصص، الآية: ٢٣.
(٣) تفسير القرطبي (١٣/ ١٧٨).
(٤) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[1].

المصدر الثالث: الإجماع، والمقصود به إجماعُ سَلف الأمة في القرون الثلاثة المفضَّلة الأولى.

وهذه الثلاثة المصادر الأصلية، هي موازين أهل السُّنَّة والجماعة، يَزِنُون بها كل شيءٍ من الاعتقادات والأحكام، فما دلَّت عليه اعتقدوه، وما نفته نَفوه، وفيما يلي بيان موقف علماء البلد الحرام من هذه المصادر:

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

المبحث الأول
موقفهم من كتاب الله العزيز

وهو كلام الله منزلٌ غير مَخْلُوق، منه بدأ، وإليه يعود، المُتَعَبَّدُ بتلاوته، المكتوب في المصحف من أوَّل سورة الفاتحة إلى آخر سورة النَّاس.

هو أس الأساس، وأصل الأصول، الذي عليه الاعتماد في تقرير مسائل الاعتقاد والأحكام، وكيف لا يكون كذلك، وهو المنبع الثر، والمورد العذب، وقد قال الله عنه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكلُّ من بلغه هذا القرآن فقد أُنذر به، وقامت عليه الحجة»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... وكان من أعظم ما أَنْعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ أنه لا يُقبل من أحدٍ قط أن يُعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البيِّنات أن الرَّسول جاء بالهدىٰ ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم... فكان القرآن هو الإمام الذي يُقتدىٰ به...»[(٤)].

ولقد كانت عناية بعض علماء البلد الحرام بكتاب الله عناية فائقة كحال

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٩.
(٢) مختصر الصواعق، للموصلي (١/ ٧٥).
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٩.
(٤) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨، ٢٩).

جميع علماء أهل السنة والجماعة، حيث اعتمدوا عليه في تقرير مسائل الاعتقاد والأحكام، فلا تكاد تجد مسألة من مسائل الاعتقاد إلاَّ وقد استدلوا عليها من الكتاب العزيز، والمتصفِّحُ كتبهم يجد ذلك واضحًا جليًّا.

وعلى سبيل المثال أننا حين نجيل النظر في كتابات الشَّيخ أبوبكر ابن محمد عارف خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ نجده يكرر ويؤكد أن اعتماده على الكتاب العزيز، ومن ذلك ما جاء في كتابه «ما لابد منه في أمور الدين» من مسائل عقدية مستدلاً عليها من الكتاب العزيز بل إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ صرَّح بأن اعتماده على كتاب الله وذلك حينما قال: «كل ما صح النقل فيه فيما شاهدناه أو غاب عنَّا نعتقده ونعلم أنه صدقٌ وحقٌّ، سواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه»[1].

وهو بهذا يقرر القاعدة المطردة عند السلف ـ رحمهم الله ـ القائلة: «استدل ثم اعتقد» خلافًا لما عليه المتكلمون.

كما نجده قد أفرد بعض المسائل العقدية بمؤلف خاص يذكر فيه الأدلة على هذه المسألة من الكتاب العزيز كما فعل في مسألة الكلام حينما أفردها برسالة خاصة أسماها «تحرير الكلام في الجواب عن سؤال الهندي في صفة الكلام» وقد ذكر في هذه الرسالة الأدلَّة من الكتاب العزيز مقرِّرًا بها مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا يدل على صحة ما ذكرنا من اعتماده على الكتاب العزيز.

بل إنه وضح اعتماده على هذا الأصل في معرض كلامه على صفة الاستواء حيث قال: «لكثرة ما جاء فيه من الكتاب والسنة فقد ذُكر في سبع مواضع من القرآن وأفتىٰ فيه السَّلف جميعهم بقولهم: «الاستواء معلوم والكيف مجهول، فكان كالقاعدة في باب الصفات»[2].

---

(١) ما لابد منه في أمور الدين ص(٧٢).

(٢) المصدر نفسه ص(٣٧).

وهذا المنهاج الذي سار عليه أبوبكر خوقير، لم يكن بدعًا من المناهج إذ هو في ذلك يسير على ما سار عليه السلف ـ رحمهم الله ـ بل إن من جاء بعده من العلماء انتهج هذا المنهاج الذي هو الاعتماد على الكتاب والسنة في تقرير مسائل الاعتقاد، حتى أصبح هذا الأصل هو معتمد علماء البلد الحرام من بعد الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله، فهذا تلميذه عبدالستار الدهلوي رحمه الله يسير على نفس المنهج ويعتمد على نفس الأصل حيث قال: «ومن الفوائد أن الأحكام الشرعية عملية كانت أو اعتقادية إنما تثبت بالحجج الشرعية التي هي الكتاب والسنة والإجماع»[(١)].

وعلى طريقهم سار الشيخ محمد عبدالظاهر أبوالسَّمح رحمه الله فأخذ يقرر أن الاعتماد على القرآن في مسائل الاعتقاد هو الأصل الذي ينبغي الرجوع إليه والعمل به، فقال: «والقرآن قانون سماوي أُنزل للعمل به»[(٢)]، بل إنه رحمه الله أخذ يقرر ضرورة الاعتماد على القرآن إذ فيه الحل لمشاكل المسلمين، وأنه لو كان القرآن لا يمكن فهمه وتدبره وأخذ العقيدة منه لجاء الله بكتاب غيره، حيث قال: «ولو كان هذا القرآن لا يمكن فهمه ولا تدبره لأتى الله بكتاب آخر ينسخه، ورسول آخر يغيره، وهذا مستحيل؛ لأن الرسول خاتم المرسلين، ولا نبي بعده، ولا قرآن بعده أيضًا، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾[(٣)]»[(٤)]، وحينما نتأمل كتابات الشيخ محمود شويل رحمه الله نجد أنه شديد التمسُّك بالاعتماد على هذا الأصل حيث قال عن نفسه: «لأني رجل لا يهمّني شيء في الحياة إلاَّ العمل

(١) مخطوط التحقيق المصون في علم الغيب بما كان ويكون لوح رقم (٦).
(٢) كرامات الأولياء، ص(٥٠).
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣.
(٤) حياة القلوب بدعاء علاَّم الغيوب ص(٦٥).

بكتاب الله وسنة رسوله»[١].

وكاد أن يكون الشيخ محمد بن سلطان المعصومي رَحِمَهُ اللهُ أوضح من جلىٰ هذه المسألة ـ مسألة الاعتماد على الكتاب والسنة ـ حتى إنه أفردها بمؤلف خاص بها أسماه «هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة» عرض فيه ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنَّة والاستقاء منهما، فقال رَحِمَهُ اللهُ: «والحق الواجب أن يكون القرآن أصلاً يُحمل عليه المذاهب والآراء في الدين فما وافقه فمقبول، وما خالفه فمردود»[٢].

بل إننا نجده ينص في كتبه على تقرير هذا الأصل حتى كاد أن يكون سمةً بارزةً في كتبه، فنجده قد تعرض له في كتابه «أوضح البرهان في تفسير أم القرآن» فبيَّن في أكثر من موضع من هذا الكتاب اعتماده على هذا الأصل، فمن ذلك قوله: «إنه يرشدنا بعد الفهم إلى الاعتقاد والعمل بموجبه مع بيان حكمة التشريع في العقائد والأخلاق والأحكام؛ لأنه هدًى ورحمةً وتبيانًا لكل شيء»[٣] وذلك حينما كان يتحدث عن القرآن.

والمعصومي رَحِمَهُ اللهُ ذكر أن اعتماده على القرآن الكريم في جل كتبه منها: «حبل الشرع المتين»[٤] و«هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة»[٥]، و«حكم الله الواحد الصمد في الطلب من الميت المدد»[٦]، و«تمييز المحظوظين»[٧]، و«البرهان الساطع في

(١) منزلة الحديث من الدين ص(٣٥).
(٢) هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة، ص(٩١).
(٣) أوضح البرهان في تفسير أم القرآن ص(٧).
(٤) انظر: ص(١٩، ٢٠).
(٥) انظر: (ص٤٠، ٤١، ٨٢، ٨٥).
(٦) انظر: ص(٤٣).
(٧) انظر: ص(٢٦٢، ٣٢٤، ١٠٦).

تبرء المتبوع من التابع»[١]، و«أجوبة المسائل الثمان»[٢].

لذا نجد أن المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ من أكثر علماء البلد الحرام تعرضًا لتقرير هذا الأصل والاعتماد عليه في استقاء العقيدة الصحيحة من منبعها الصافي.

وحينما نواصل السير مع علماء البلد الحرام حول تقرير هذا الأصل نجد أن الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ يطالعنا بكتاباته حول هذا الأصل فيقول: «ولا سبيل إلى استرداد سعادة العالم وسلامته إلاَّ بالرجوع إلى كتاب الله القرآن واتباع أحكامه»[٣].

بل إننا نجده يعتمد الرجوع إليه في مسألة من أهم مسائل العقيدة ألا وهي مسألة القضاء والقدر، وذلك حينما تعرض لها بمؤلف أفرده فيهاأسماه «هل الله مستبدّ»[٤] فقرر اعتماده على القرآن فقال: «وبالرجوع إلى كتاب الله القرآن فتح الله عليَّ برأيٍ صائبٍ في هذا الباب، فوجب عرضه على الناس في هذه الرسالة»[٥].

ومن جملة من قرَّر هذا الأصل الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ اللَّهُ فقال ـ في معرض كلامه على أفعال العباد ـ: «وما دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسوله هو الحق والصَّواب»[٦]. وهذا تقريرٌ منه لاعتماد هذا الأصل والاستدلال به على مسألة من أهم مسائل العقيدة.

ومِمَّن تعرض لتقرير هذا الأصل الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث أفرد له فصلاً من كتابه «القائد إلى تصحيح العقائد» أوضح فيه أن الشرع هو معتمده في تقرير مسائل العقائد وذكر أن الشَّرع

---

(١) انظر: ص(٢٣).
(٢) انظر ص(٣١).
(٣) جوهر الدين، ص(٤).
(٤) هذا التعبير لم يرد عن السلف لا إثباتا ولا نفيا، فالأولى التعبير بغيره.
(٥) هل الله مستبد ص(٦).
(٦) حاشية عقيدة أهل السنة والجماعة ص(٢٢).

معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلامه عن مآخذ العقائد: «وأمَّا المأخذ الثاني وهو الشرع فما عسىٰ أن يقال فيه، وإنما هو كلام الله ـ عز وجل ـ وكلام رسوله لا يخشىٰ فيه جهل ولا خطأ ولا كذب، ولا تدليس ولا تقصير في البيان ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[1]»[2]، وأخذ يقرر أنه يكفي للمعرفة العلم بكتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ﷺ فقال: «يكفي للمعرفة العلم بكتاب الله وسنة رسوله بدون حاجة إلى التعمق والمنطق والفلسفة»[3].

وفي هذا بيان لمنهجه الذي يسير عليه في العقيدة، إذ أن معتمده كتاب الله وسنة رسوله ضاربًا بذلك صفحًا عن تعمُّق أهل الكلام والفلاسفة.

ومن بين من اعتمد على هذا الأصل الشيخ محمد مخدوم رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قرَّر أن العمل بالكتاب العزيز والسُّنَّة المطهرة سلامة في الدين وعصمة في المعتقد فقال في معرض حديثه عن الهجرة: «فلا يحل لأحد من أهل الإسلام ترك الهجرة لزينة الدنيا وزخارفها وليكن المهم عنده سلامة دينه والعمل بكتاب ربه وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم»[4].

بل إنه رَحِمَهُ اللَّهُ دعا إلى الرجوع إلى كتاب الله والاعتصام به في أي زمان ومكان، فقال: «كان يجب علينا أن نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبل إقامتنا في مكة المكرمة والمدينة المنورة»[5].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.
(٢) التنكيل (٢/ ٢٢٠).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٣٦).
(٤) الهجرة ص(٦).
(٥) التفكير فريضة إسلامية ص(٦٢).

وهذا يدل على اعتصامه بكتاب الله والدعوة إلى الرجوع إليه في جميع الأحوال والأوقات إذ هو العصمة من الزلل والمَنْجَىٰ من الهلكة.

وإننا حين نتأمل في كتابات الشيخ محمد عبدالمؤمن الفلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ نجد أنه تعرض لهذا الأصل، فأخذ يقرر المسائل ويستدل عليها به، بل إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ صرح صراحة أن القرآن هو المرجع عند الاختلاف فقال في معرض حديثه عن وجوب الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله: «والرد إلى الله إلى القرآن والرد إلى الرسول هو بنفسه في حياته وإلى سنته من بعد مماته وجاز أن يُقال لنا أهل القرآن والحديث حينئذٍ؛ لأن أعمالنا عليهما قولاً وفعلاً واعتقادًا بخلاف من يخالفهما»[(١)].

ولذا نجده يدعو في أكثر من موضع في كتابه «السيف القاطع للنزاع»[(٢)] إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة.

ومِمَّن ذكر هذا الأصل وقرَّره واعتمد عليه الشيخ أبومحمد عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد أوضح أن اعتماده على الكتاب العزيز ومرجعه عند الاختلاف إليه حيث ذكر في عقيدته التي ذيَّل بها أحد كتبه[(٣)] موضحًا فيها استمساكه بما عليه السَّلف من الاعتماد على القرآن كأصل أول في استقاء العقيدة، فقال: «فإن عقيدتي هي عقيدة السَّلف الصالح من أهل السنة والجماعة من الفقهاء والمحدِّثين، وهي عقيدة العمل بالكتاب والسنة وحملهما على ظاهرهما من دون تأويل أو تحريف فيهما»[(٤)]، وفي هذا بيان لصحة مشربه في استقاء العقيدة، وذلك لأن ما اعتمد عليه في بيان عقيدته هو ما اعتمد عليه السَّلف من أهل السنة

---

(١) السيف القاطع للنزاع ص(٢١).
(٢) انظر: ص(١٢٠، ١٢٩، ١٣٠).
(٣) هذه عقيدتي وترجمتي.
(٤) المجموعة الثالثة من رسائل الشيخ المحدث أبي محمد عبدالحق الهاشمي ص(١٢٧).

والجماعة من قبل، وفي هذا عصمة من الزلل، وذلك لعصمة المصدر المعتمد عليه.

ومِمَّن تعرض لتقرير هذا الأصل الشيخ محمد عبدالرزَّاق حمزة رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد قرَّر في أكثر من موضع من كتبه هذا الأصل، وأوضح أنه هو المرجع لمسائل العقائد والأحكام، بل إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ اعتمده في الرد والمناظرة مع المخالفين لمنهج السَّلف، فنجده يدعو ويحضّ المسلمين على التوجُّه إلى كتاب الله واستقاء العقيدة منه، دون غيره، حيث قال: «وليس بين المسلمين اليوم إلى يوم القيامة وبين العز والسؤدد ومزاحمة ركب الحياة سوىٰ التوجُّه إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم، والاهتداء بهما والعلاج بأدويتهما في تصحيح ما فسد من عقائدهم وأعمالهم»(١).

بل إننا نجد أنه تعرض له في أكثر من كتاب من كتبه، من بينها كتابه الذي رد فيه على أبي ريّة، وأسماه «ظلمات أبي ريَّة أمام أضواء السنة المحمدية»(٢) وهو في هذا الكتاب يقرر هذا الأصل ويعتمده في الرد على المخالف.

ومن جملة علماء البلد الحرام الذين تعرَّضوا لهذا الأصل بالتقرير والاعتماد الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث تعرَّض له في كتاباته بالإيضاح والدعوة للاعتماد عليه فقال: «فعليك بتدبر القرآن والاستقلال باتباع ما قام الدليل عليه من الوحي»(٣). وأخذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبيّن أن من صفات عباد الله المهتدين الاعتماد على القرآن والرجوع إليه في كل صغيرة وكبيرة، قال: «فهدىٰ الله الذين آمنوا ولم يردوا أحاديثها إذ جعلوا القرآن والسنة نصب أعينهم وأمامهم مجتهدون في تدبرهما

---

(١) حول ترحيب الكوثري بنقد تأنيبه ص(٣٣).

(٢) انظر: ص(٣٧، ٦٩، ٧٠، ٩٤).

(٣) أصول السير المحمدية ص(١٤١).

والبحث فيهما ورد الخلاف إليهما في كل مسألة»[١]، وهو بهذا يقرر أن الاعتماد على القرآن سلامة من الضلال.

ولعل الشيخ عبدالله خياط رحمه الله من أبرز من أوضح هذا الأصل حيث تعرض له في خُطَبه بالمسجد الحرام داعيًا المسلمين للتمسك به والاعتماد عليه فقال: «والقرآن الكريم وسنة رسول الهدىٰ قد أوضحا طريق الفلاح لكل من ألقىٰ السمع إليهما واهتدىٰ بنورهما»[٢].

وبهذا يتبين لنا أن علماء البلد الحرام سائرون على منهج السلف في استقاء العقيدة من منبعها الأصيل، وهم بذلك خير خلف لمن سلف من أهل السنة والجماعة.

---

(١) الطواغيت المقنعة (ص٢٦، ٢٧).

(٢) الخطب في المسجد الحرام ـ المجموعة الأولى ص(٤٩).

المبحث الثاني
موقفهم من السُّنَّة المطهرة

السُّنَّة في اللغة: الطريقة أو السيرة، سواء كانت محمودة أو مذمومة[(١)]

وعرَّفها الأصوليون بأنها: ما نُقِلَ عن النبي ﷺ، من: قولٍ، أو فعلٍ، أو تقرير[(٢)].

وعرَّفها المحدِّثون بأنها: ما أُضيف إلى النبي ﷺ، قولاً، أو فعلاً، أو تقريرًا، أو صفة خُلُقيَّة، أو خَلْقيَّة أو أيامًا[(٣)].

والسُّنَّة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع التي عليها المعوّل في مسائل الاعتقاد والأحكام، وهي قرينة الكتاب العزيز، لا فرق بينهما، إذ هما وحي من رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾[(٤)].

وهي حُجة قاطعة في مسائل الاعتقاد والأحكام، دلَّ على حجيَّتها الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

فأمَّا الأدلة على حجيتها من الكتاب ما يلي:

منها: الأمر الصريح في القرآن الكريم بطاعة الرسول ﷺ في أكثر من سبعين موضعًا في القرآن الكريم، وقد قرن الله تعالى طاعته بطاعة رسوله، وجعل طاعة رسوله طاعة له. قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝﴾[(٥)].

---

(١) لسان العرب، باب النون فصل السين (١٣/ ٢٢٥)، المصباح المنير ص(٢٩٢).
(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للإمام الشوكاني (١/ ١٥٥).
(٣) فتح المغيث شرح ألفية الحديث، للسخاوي (١/ ١٣).
(٤) سورة النجم، الآية: ٣، ٤.
(٥) سورة النساء، الآية: ٨٠.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾[١].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا شامل لأصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد، ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله»[٢].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِۚ﴾[٣]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنزل على نبيه الحكمة، كما أنزل عليه القرآن، وامتن بذلك على المؤمنين، والحكمة هي: السُّنَّة، كما قال غير واحد من السلف، وهو كما قالوا»[٤].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[٥].

كما دلت السُّنَّة على حجيتها بنفسها.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن سعدي (٥/ ٢٠٧، ٢٠٨).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٤.

(٤) مختصر الصواعق (٢/ ٤٤٢).

(٥) سورة النور، الآية: ٦٣.

عن المقدام بن معديكرب، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ألَا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه. . .**» الحديث[١].

وعن عُبيدالله بن أبي رافع، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «**لا ألفينَّ أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري، مما أَمَرت به، أو نهيت عنه فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**»[٢].

كما دلَّ الإجماع على حجيَّة السُّنَّة، حيث أجمعت الأمة على حجيتها، وأنها قاضية بما قضىٰ به القرآن، وفيها زيادة بيان.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السُّنَّة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام»[٣].

إذا تبين أن السُّنَّة حجة شرعية علىٰ مسائل الاعتقاد والأحكام، وأنها كالقرآن في ذلك، فلا غرابة أن نجد أن علماء البلد الحرام اعتمدوا عليها كمصدر ثانٍ من مصادر التشريع، وإنك حين تجيل النظر في كتبهم تجد أنهم استدلوا بها على ما قرروه من مسائل، بل إنهم نصّوا في كتبهم على أنها هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، ويتضح ذلك من ثنايا ما سطروه من تآليف وكتابات حفظها لهم التاريخ، فمن ذلك ما قاله الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أن السُّنَّة هي الميزان الذي توزن به الأقوال والأعمال، فقال في معرض كلامه عن علم الظاهر وعلم الباطن:

---

(١) رواه أبوداود في سننه، كتاب السنة، باب لزوم السنة، حديث رقم (٤٥٩١) (٦/ ٢٣١).

(٢) رواه أبوداود في سننه، كتاب السنة، باب لزوم السنة، حديث رقم (٤٥٩٢) (٦/ ٢٣١).

(٣) إرشاد الفحول، ص(٣٣).

«فتلخص من ذلك أن الميزان هو الشرع، فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي ﷺ لم يترك شيئًا يقرب إلى الجنة إلا وقد حدَّث به ولا شيء يبعد عن النار إلا وقد حدث به»(١). وفي هذا برهان واضح جلي على أنه معتمد على السنة كاعتماده على القرآن. بل إننا نجده يقرر في كتبه المسائل العقدية مستدلاً عليها من الكتاب والسنة، كما فعل في كتابه «إرشاد الضال في توسل الجهال».

وهذا عبدالستار الدهلوي رحمه الله يقرر أن الأصل المعتبر، المعتمد عليه في بيان مسائل العقيدة، إنما هو: الآيات، والأحاديث. فقال رحمه الله: «إن الأصل المعتبر، الذي يتوقف عليه إثبات المسألة، إنما هي: الآيات، والأحاديث»(٢). وذلك حينما كان يقرر حقيقة شخص النبي ﷺ، وهو بذلك يضرب صفحًا عمَّا قرره أرباب التصوف، ويقرر مذهب أهل السُّنَّة والجماعة مستقيًا مذهبهم من الكتاب والسنة.

بل إننا نجد الاعتماد على الكتاب والسُّنَّة سمةً بارزة في كتابات علماء البلد الحرام، فنجد الشيخ أباالسمح رحمه الله يقرر أن الدين هو: ما قاله الله ورسوله، ضاربًا صفحًا عمَّا قاله أهل البدع والضلال، فقال:

«الدين قال الله قال رسوله   لا قول مبتدعٍ وفعل ضلال»(٣)

بل إنه قرر في نونيته أن طاعة الله ورسوله هي الأولىٰ فقال:

«واللهُ أولىٰ أن نُطيع كتابه   ورسوله المبعوث للتبيان»(٤)

وهل طاعة الرسول إلاَّ باقتفاء أثره، والتمسك بسنته.

وممّن أَبَانَ أهمية السنة: الشيخ محمود شويل رحمه الله، حيث دعا إلى التمسُّك بالسُّنَّة فقال: «ويتعاهد كلهم على العمل بالقرآن، وما كان

---

(١) التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق مخطوط ص(٨).
(٢) التحقيق المصون في علوم الغيب بما كان ويكون، لوحة (٥).
(٣) حياة القلوب بدعاء علام الغيوب، ص(٩٣).
(٤) القصيدة النونية، ص(٩٩).

عليه الرسول»(١).

ومن العلماء الأعلام الذين برزوا في الدعوة إلى الاعتماد على السُّنَّة وترك غيرها من الآراء ـ الشيخ محمد بن سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ فإنه كان داعية إلى التمسك بالسُّنَّة، ويظهر ذلك في كتابه النفيس الذي سمَّاه «هل المسلم ملزم باتباع مذهب معيَّن»، قرر فيه الاعتماد على الكتاب والسُّنَّة، وترك التقليد، فقال في بيان أساس دين الإسلام الذي أصله الاعتماد على الكتاب والسُّنَّة: «هذا هو دين الإسلام الحق، وأصله وأساسه الكتاب والسُّنَّة، فهما المرجع في كل ما تنازع فيه المسلمون، ومن ردَّ التنازع إلى غيرهما؛ فهو غير مؤمن، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾(٢)»(٣)، بل إنه قد تعرَّض لهذه المسألة في ثنايا هذا الكتاب في أكثر من موضع(٤). وتعرَّض ـ أيضًا ـ في أكثر من كتاب من كتبه لهذه المسألة بالإيضاح والبيان، فقال في مفتاح الجنة: «فليس لأحدٍ أن يدين دينًا، أو يشرع شرعًا، ويقول: هذا فَرْض، أو سُنَّة، أو مستحب، أو له فضل وثواب، إلاَّ إذا ثبت وصح عن رسول الله ﷺ، **لأن رسول الله ﷺ لا ينطق عن هواه، بل هو عن وحي رب العالمين**»(٥). وقال في موضع آخر من نفس الكتاب: «فطُرُق الدين والعبادات الصحيحة إنما هي ما بيَّنه الذي خلق الخلق على لسان رسوله محمد ﷺ، فمن زاد على هذا، أو نقص، فقد خالف الحكيم الخلاق العليم»(٦). وقد كرر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر هذا الأصل في أكثر من موضع من هذا

---

(١) منزلة الحديث من الدين، ص(٣٦).

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٣) هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين، ص٤٠.

(٤) انظر: ص(٦٠، ٨٢، ٨٥، ٨٨).

(٥) مفتاح الجنة، ص(٩).

(٦) مفتاح الجنة، ص(٥٨).

الكتاب[١].

وكذلك تعرَّض لتقرير هذا الأصل في جملة من كتبه، منها على سبيل المثال: كتاب «حكم الله الواحد الصمد»[٢]، وكتاب «تمييز المحظوظين»[٣]، وكتاب «أجوبة المسائل الثمان»[٤]، وكتاب «ترجمة المعصومي»[٥]، وكتاب «حبل الشرع المتين»[٦]. وكتاب «أوضح البرهان في تفسير أم القرآن»[٧]. وهو في جميع هذه الكتب يقرر اعتماده على الكتاب والسُّنَّة، إما صريحًا أو مفهومًا من كلامه واستدلالاته بهما على ما يذكره من مسائل.

وممن قرر هذا الأصل، وذكر أن اعتماده عليه، الشيخ عبدالحميد الخطيب رحمه الله، فقد ذكر أن الأصول المرجوع إليها هي الكتاب والسُّنَّة، وذلك حينما كان يتحدث عن القرآن، وأنه هو الميزان للأمور كلها، وكذلك السُّنَّة، ذكر أنها ميزان ـ أيضًا ـ في العقائد وغيرها، فقال رحمه الله:

وهو الذي منه أخذنا ديننا ... وبه سنبلغ أرفع الدرجات

إن ما تبعنا في العقائد سنة ... الهادي من التسليم والطاعات[٨]

وهو بهذا يقرر أصول الإسلام المعتمدة عند أهل السُّنَّة والجماعة قاطبة. إذ هما المرجع في جميع المسائل.

وما قرره الخطيب في هذه المسألة هو بعينه ما قرره الشيخ

---

(١) مفتاح الجنة، انظر: ص(٩، ١٥، ٣٦).

(٢) انظر: ص(٣١، ٤٣).

(٣) انظر: ص(٢٢٢، ٢٦٢، ٢٦٧، ٣١٢).

(٤) انظر: ص(٣٣).

(٥) انظر: ص(٦١، ٧٢، ٧٣).

(٦) انظر: ص(١٩، ٢٠، ٢٣).

(٧) انظر: ص(٢٠٢).

(٨) أسمى الرسالات، ص(٢٦٧).

محمد بن مانع رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد بيَّن أن أصول الإسلام هما: الكتاب والسُّنَّة، فقال: «وأما الأصل الأول: فهو القرآن، وأما الثاني: فهو سُنَّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(١)].

ولعل الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ من أبرز من جلىٰ هذا الأصل، وبيَّن أنه حُجة، وذلك يظهر في اهتمامه بكتب المحدثين السابقين، وما عقده من ردود على من أنكر الاحتجاج بالسُّنَّة، فقد أخذ ينافح عن السنة ويذب عنها الشبه، كما فعل مع أبي رية ومن نحا نحوه من أئمة الضلال، حيث ذكر في كتابه «التنكيل» أن معتمده هو الكتاب والسنة، فقال: «وإنما ندين بما ثبت بالمأخذين السلفيين عالمين أنه لا يلزم الحق إلا حق، فكل ما ثبت بالمأخذين السلفيين فهوحق. .»[(٢)]. بل إنه ذكر في أكثر من موضع من هذا الكتاب هذا الأصل، فقال: «كان من المعلوم المقطوع به في عهد السلف الصالح أن أثبت ما يحتج به في العقائد وغيرها كلام الله تعالى وكلام رسوله»[(٣)].

وبهذا يتضح لنا أن المعلمي ممن أبلى بلاءً حسنًا في تقرير هذا الأصل واعتماده عليه.

وممن قرر هذا الأصل واعتمده، الشيخ محمد مخدوم رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث بيَّن أن الحق الذي يجب اتباعه والتمسك به هو ما وافق قول الله تعالى، وقول رسوله، ونبذ كل ما خالف ذلك، فقال: «والحق، هو ما يوافق قول الله تعالى، ورسوله، والباطل ما خالف ذلك»[(٤)]. بل إنه ترك ما كان عليه من تعصب للمذهب الحنفي اتباعًا للدليل الصحيح من الكتاب والسنة، كما ذكر في أكثر من موضع من كتبه، ومما علقه على

---

(١) حاشية الواسطية، ص(٢٨).
(٢) التنكيل (٢/ ٣٨١).
(٣) التنكيل (٢/ ٢٧٩).
(٤) الردود اللامعة على البوتي ومن شايعه، ص(٤).

«قرة العينين برفع اليدين في الصلاة»[١]. وهو دارج في ذلك على ما درج عليه السلف من اتباع الدليل وترك التعصب والتقليد.

وممن سار على هذا المنهج، وقرر أن السنة أصل يجب الرجوع إليه، والإيمان بجميع ما ورد فيها، وأنها كالقرآن في الاستدلال، الشيخ محمد الفلاني رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: «ويجب الإيمان بجميع ما ورد من السنة، كما يجب الإيمان بما نزل من القرآن، لأن السنة تبينه وتوضحه وتدل عليه»[٢]. وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أن الطريق الموصل إلى النجاة هو طريق الرسول أما ما عداه من الطرق فهي سبل شيطان. فقال: «وكل طريق غير طريق الرسول باطل، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣]»[٤]، بل إنه رَحِمَهُ اللَّهُ أخذ على عاتقه الدعوة إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة في كل صغيرة وكبيرة، حاثًّا على الرجوع إليهما والاستدلال بهما، فقال في معرض حديثه عن جزاء صاحب البدعة، وذلك حينما علّق على حديث «**كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»[٥]: «إذ لا يجوز لمسلم أن يعمل عملاً حتى يعلم له دليلاً من الكتاب والسُّنَّة خوفًا من هذا الحديث»[٦]. وتعرض كذلك لتقرير هذا الأصل في كتابه العظيم «السيف المسلول لاستقامة دين الرسول»[٧]،

(١) انظر: قرة العينين، للإمام البخاري، ص(٣٧).
(٢) السيف القاطع، للنزاع، (ص٢٤).
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٤) كتاب التوحيد، ص(٧٩).
(٥) رواه مسلم، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة (٢/ ٥٩٢)، ح/ ٨٦٧، وابن ماجه في المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين ص(٤٢)، والدارمي في المقدمة، باب: اتباع السنة (١/ ٤٤).
(٦) القبض والإرسال، ص(٦).
(٧) انظر: ص(٣٦، ٨٢، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٣، ١٤٧، ١٥٥، ١٥٦، وغيرها).

فقد ذكر هذا الأصل في أكثر من موضع، وهو بهذا التقرير يحرر مذهب السلف في الاعتماد على هذا الأصل.

وممن دعا إلى الاعتماد على هذا الأصل، الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث تعرَّض في ردِّه على أبي رية إلى تقرير هذا الأصل، وأنه هو المصدر الثاني من مصادر التشريع، وإن شرق بذلك أهل الأهواء والبدع، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونقول لهذا الشاك المتشكك المشكك في أصل دين الإسلام الثاني -حديث النبي ﷺ-، كما نقول لغلاة الرافضة المشككين في القرآن، القائلين: بأنه قد ضاع منه نصوص خلافة عليٍّ بزعمهم، نقول لهم جميعًا: إن البشرية جميعًا لم تشهد دينًا حُفِظَت أصوله من القرآن والسُّنَّة كما شهدت لدين الإسلام»[(١)]، بل إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر في كتابه «ظلمات أبي رية» من تقرير هذا الأصل وذكر الأدلة عليه من الكتاب والسُّنَّة والإجماع، فقال: «تقدم لنا ذكر ما جاء في الكتاب والسُّنَّة والإجماع من ضرورة الأحاديث لبيان القرآن، وأنها الأصل الثاني من أصول الإسلام لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[(٢)]»[(٣)].

وتعرَّض لتقرير هذا الأصل في أكثر من موضع من هذا الكتاب[(٤)]، وأخذ ينافح ضد دعوات المغرضين الداعين لرد السنة، كما هو واضح من ردوده على أبي رية والكوثري. وهذا يدل على تمسكه بالسُّنَّة والدعوة إلى العمل بها.

بل إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعرَّض لبيان أن خبر الآحاد حجة في الأصول

---

(١) ظلمات أبي رية، ص(٦٩).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.
(٣) ظلمات أبي رية، ص(٨٧).
(٤) ظلمات أبي رية، انظر: ص(٩٤، ٢٨٦، ٢٨٩).

والفروع وبيَّن أن التفرقة بين الأصول والفروع والاحتجاج عليها بخبر الواحد لم توجد إلا حينما نبت في المسلمين نوابت أهل البدع والأهواء والكلام فقال في معرض حديثه عن السلف رحمهم الله: «فالحديث الصحيح عندهم حجة في الأصول والفروع على حدٍ سواء في الإيمان والعقائد والأعمال الصالحة ولم توجد التفرقة بين الأصول والفروع بدعوى أنه حديث آحاد وظني إلا عندما نبت في المسلمين أهل البدع والأهواء والكلام المبتدع. . .» إلى أن قال: «إن الاحتجاج بالحديث الصحيح وتصديق رواية العدل الثقة أثبته الكتاب الكريم والسنة النبوية المتواترة واتفقت عليه فطر الخلائق وعقولهم في كل زمان ومكان فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ﴾ الآية[١]، فقبل شهادة رجلين مرضيين من الشهداء أو رجلاً وامرأتين ولم يرد شهادتهما بدعوىٰ أنها شهادة آحاد ظنية ولابد من التواتر»[٢].

وممن بيَّن هذا الأصل من علماء البلد الحرام، الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي، حيث ظهر اهتمامه بالسُّنَّة والدعوة إليها، واضحًا في كتابه «تيسير الوحيين»، فقد دعا فيه إلى ضرورة التزام السُّنَّة، فقال: «يجب على كل عامل متقرب بعمله إلى الله أن يطلب عليه الدليل قبل أن يدخل فيه ويعمله من كتاب الله أو سُنَّة رسوله الثابتة عنه بطريق العدل، كما يجب عليه الانقياد والعمل بكل ما جاء عن الله ورسوله علم حكمته أم لا»[٣]. وتعرَّض لهذا الأصل في أكثر كتبه، فمنها على سبيل المثال «الطواغيت المقنعة»[٤]، و«شبهات الإلحاد»[٥]، و«أصول

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(٢) ظلمات أبي رية، ص(١٨، ١٩).
(٣) تيسير الوحيين ص(٤٣).
(٤) انظر: ص(٢٦، ٢٧، ٧٧).
(٥) انظر: ص(٥، ٤٧).

السيرة»[(١)]، وهذا دليل قاطع على اعتماده على هذا الأصل وتمسكه به والعمل بما جاء فيه، كما هو واضح من ثنايا المسائل التي قررها في هذه الكتب.

كما نجده قد أفرد كتابًا من مؤلفاته أبان فيه أن السُّنَّة حجة شرعية، سواء كانت خبرًا متواترًا، أو آحادًا لا فرق بينهما. وذكر الأدلة على حجية خبر الآحاد من الكتاب والسُّنَّة، وأقوال أهل العلم، فقال في معرض كلامه عن آية الأحزاب: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ﴾، وآية: ﴿۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[(٢)]: «وفي الآيتين كفاية لمن نصح نفسه، وفيهما دلالة قطعية على أن الإسلام ورسوله ﷺ وصحابته، لم يفرقوا بين العقائد والفروع البتة، وأنهم يقبلون الأخبار من أهل الأمانة والصدق والعدالة في جميع ما يتقربون به إلى ربهم سواء منها الآحاد والتواتر، وكتبهم وسيرتهم تشهد لما قلنا عنهم»[(٣)]، ومما يدل على حرصه على تقريرها أنه أفرد لها كتابًا مستقلاً سماه «رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد» وانبرى ينقض شبهاتهم واحدة تلو الأخرى.

ولعل الشيخ عبدالله خياط رحمه الله من أبرز مَن دعا إلى الالتزام بالسُّنَّة والسير معها والاستدلال بها، فقال في معرض كلامه عن السُّنَّة وتحكيمها والرضىٰ بحكمها: «بل يجب ألا يقع في النفس حرج أو امتعاض لقضاء قضىٰ به الرسول ﷺ، أو حكم قرره، ذلك لأن الله ـ تعالى ـ عصمه من الخطأ في الحكم، فلا يحكم إلا بالحق، ولا يقضي إلاَّ بما يريه الله أنه الصواب عن طريق الوحي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ

---

(١) انظر: ص(١٤١).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٣) رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد، ص(٤٥).

عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝﴾[1]»[2]، وأخذ في بيان أن السُّنَّة مصدر من مصادر التشريع، وذلك من خلال مقالاته التي ينشرها على صفحات الصحف والمجلات، فقال في مجلة «الوعي»: «إن السُّنَّة مصدر من مصادر التشريع، فلا مندوحة إذا للمسلمين عن اتباع السُّنَّة والأخذ من مشكاة النبوة والتجافي عن تقديم الأهواء»[3].

ومن خلال ما تقدم بيانه؛ يتضح لنا أن علماء البلد الحرام سائرون في استقاء العقيدة من مصادرها الأصلية، الكتاب والسنة، كما كان السلف رحمهم الله، ولعلَّ برهان ذلك واضح من خلال ما ذكر من النقول من كتبهم، والله أعلم.

* * *

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.
(٢) تأملات في دروب الحق، ص(٣).
(٣) مجلة الوعي، عدد(١٣٧)، غرة جمادى الأولى (١٣٩٦هـ)، ص(٨٥).

المبحث الثالث
موقفهم من الإجماع

الإجمـاع: «هو اتفاق مجتهدي عصر من العصور من أمة محمد ﷺ على أمر ديني»[١].

والإجماع عند العلماء، ثالث مصادر الشريعة الإسلامية؛ وذلك لأنه إجماع أهل العلم من أمة محمد ﷺ، وقد دلَّ على حجيته الكتاب والسُّنَّة.

أما دلالة الكتاب عليه؛ فقد وردت النصوص في بيان أن الإجماع حجة شرعية.

من ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[٢].

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولىٰ، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا؛ فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفًا لهم، وتعظيمًا لنبيهم، وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك، قد ذكرنا منها طرفًا صالحًا في كتاب أحاديث الأصول. ومن العلماء من ادعىٰ تواتر معناها، والذي عوّل عليه الشافعي رحمه الله في الاحتجاج على كون الإجماع حجة

---

(١) انظر: مختصر ابن اللحام ص(٧٤).
(٢) سورة النساء، الآية: ١١٥.

تحرم مخالفته هذه الآية الكريمة بعد التروي والفكر الطويل وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها»[١].

وقال القرطبي رحمه الله: «قال العلماء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾، دليل على صحة القول بالإجماع»[٢].

ومن الأدلة على حجية الإجماع قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[٣].

قال الشوكاني رحمه الله: «فأخبر سبحانه عن كون هذه الأمة وسطًا، والوسط من كل شيء خياره، فيكون تعالىٰ قد أخبر عن خيرية هذه الأمة، فلو أقدموا على شيء من المحظورات لما اتصفوا بالخيرية، وإذا ثبت أنهم لا يقدمون على شيء من المحظورات وجب أن يكون قولهم حجة»[٤].

كما دلَّت السُّنَّة على أن الإجماع حجة شرعية مقبولة، فعن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»**[٥].

ولا شك أن الإجماع حجة شرعية ودليل معتبر، كما أن الكتاب والسُّنَّة أدلة معتبرة. ومن خالف الإجماع؛ فكأنما خالف الكتاب والسُّنَّة.

ومن خلال مطالعة كتب علماء البلد الحرام؛ نجد أنهم سائرون على ما سار عليه السلف الصالح من الاحتجاج بالإجماع، واعتباره دليلاً

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٦٨).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٤٨).
(٣) سورة البقرة، الآية: (١٤٣).
(٤) إرشاد الفحول (١/ ٣٠١).
(٥) رواه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين (٣/ ١٥٢٣) ح/ ١٧٠، وأبوداود كتاب: الفتن والملاحم، باب: ذكر الفتن ودلائلها (٤/ ٤٥٠)، ح/ ٤٢٥٢.

من الأدلة الشرعية.

فهذا الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحتج بالإجماع، ويعتبره حجة شرعية، كما دلَّ على ذلك ما ذكره في ثنايا كتابه «ما لابد منه في أمور الدين» من نقل الإجماعات عن السلف محتجًا بها على ما ذكره من مسائل. فقال في مسألة معية الله ـ عز وجل ـ مع خلقه: «اتفق الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وسائر أئمة الدين على أن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ الآية[1]، ليس معناه أنه مختلط بالمخلوقات، وحال فيها، ولا أنه بذاته في كل مكان، بل هو ـ سبحانه وتعالى ـ مع كل شيء بعلمه وقدرته ونحو ذلك، وهو مستوٍ على عرشه بائن من خلقه»[2].

كما ذكر في موضع آخر إجماع السلف على أن الولي لا يبلغ درجة النبي مهما بلغت به الأمور، فقال: «وأجمعوا على أن الولي لا يبلغ درجة النبي، ولا عبرة بمن شذ»[3]، بل إنه تعرض لذكر الإجماع والاحتجاج به في أكثر من موضع من كتبه، حيث تعرَّض له في كتاب «فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال»[4]، وكتاب «التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق»[5]، وكتاب «ما لابد منه في أمور الدين»[6].

وهو بهذا يقرر أن الإجماع دليل معتبر، كما أن القرآن والسُّنَّة أدلة معتبرة. وسار على هذا المنهج تلميذه الشيخ عبدالستار الدهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث كان يقرر أن الإجماع حجة في مسائل الاعتقاد وغيرها، فقال: «فإن معرفة كُنْه ذاته تعالىٰ ومعرفة حقائق أسماءه وصفاته تعالىٰ

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.
(٢) ما لابد منه في أمور الدين، ص(٣٠، ٤٠).
(٣) ما لابد منه في أمور الدين، ص(٦٣).
(٤) انظر: ص(٧).
(٥) انظر: ص(٦٦).
(٦) انظر: ص(٣٧، ١١٧).

وتفاصيل علوم غيوبه التي لا يعلمها إلا هو، مما وقع الإجماع على أنه اختص به الله ذاته العلية ولم يطلع عليه أحدًا أصلاً»[١].

وممَّن اعتمد على الإجماع الشيخ محمد أبوالسمح رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث نقل إجماع السابقين من السلف على إثبات الكرامة لأولياء الله تعالى فقال: «قد اتفق السلف والخلف على ثبوت الكرامة لأولياء الله»[٢] كما أوضح أن الإجماع حجة، حيث استدلَّ به على مسألة الكرامة فقال: «إن إكرام الله لعباده الأبرار ثابت بالعقل والنقل بالكتاب والسنة والإجماع، ولا ينقض الكرامة إلاَّ مخذول»[٣].

وممن أكثر الدعوة إلى الرجوع إلى الإجماع مع الكتاب والسُّنَّة، الشيخ محمد بن سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد دعا في جل كتبه إلى التمسك بالإجماع، فقال في كتابه «أجوبة المسائل الثمان»: «فالخير كله إنما هو في التمسك والعمل بالكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف هذه الأمة، والاجتناب كل الاجتناب عن المحدثات في الاعتقادات والمعاملات؛ لأن كل الدين قد كمل تمام الكمال بشهادة ذي الجلال وحكمه ـ عز وجل ـ بذلك ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[٤]»[٥]، وقد تعرَّض للإجماع والاستدلال به في أكثر من كتاب، حتىٰ كاد أن يكون صبغة كتبه، فتعرض له في «هدية السلطان إلى مسلمي بلاد اليابان»[٦]، و«البرهان الساطع في تبرء المتبوع من التابع»[٧]،

(١) التحقيق المصون في علم الغيب فيما كان وما يكون، لوحة (١١).
(٢) كرامات الأولياء، ص(٤، ٥).
(٣) المصدر نفسه، (ص٤).
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٥) أجوبة المسائل الثمان في السنة والبدعة والكفر والإيمان، ص(٣١).
(٦) انظر: ص(٤٧، ٧٧، ٨١، ٨٢).
(٧) انظر: ص(٩، ٢٣، ٣١).

و«ترجمة المعصومي»[١]، و«الرد الوافي على تعليقات حامد الفقي»[٢].

وهو بهذا يقرر ما قرره السلف من قبل، أن الإجماع حجة، ومصدر من مصادر التلقي عند أهل السُّنَّة والجماعة، ولم يكن هذا المنحىٰ الذي نحاه المعصومي بدعًا من القول بل سبقه إليه سلف الأمة الأخيار، وتبعه من جاء بعده من العلماء الأبرار في كل مكان وزمان.

وكان من بين هؤلاء الشيخ ابن مانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد قرر حجية الإجماع واستدل به على مسألة هي من أعظم المسائل وهي الإيمان بالله واليوم الآخر، فقال في معرض حديثه عن الإيمان باليوم الآخر وما فيه: «وأمور هذا الباب الذي مناطه السمع من الكتاب والسنة وإجماع السلف، فكل ذلك حق يجب اعتقاده والإيمان به لصحة النقول به، فلا يُرد شيء من ذلك لثبوته عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه»[٣].

وممن اعتمد على هذا الأصل واستدلَّ به في باب الرد والمناظرة، الشيخ محمد مخدوم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث ذكر أن ما قرره البوتي من مسائل يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة، فقال في معرض كلامه عن قول البوتي، أنه يعمل بآراء ساداته وكبراءه، رادًا عليه: «هذا هو الظاهر من نصوص القرآن والأحاديث، وعن عمل أصحاب رسول الله ﷺ وإجماع أئمة السلف»[٤]. قال ذلك في تقريره أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، وهذا هو مذهب السلف بعينه في الإيمان.

ومن جملة العلماء الذين اعتمدوا على هذا الأصل، الشيخ محمد

---

(١) انظر: ص(٧٥، ٨١).
(٢) انظر: ص(٥٠).
(٣) الكواكب الدرية لشرح الدرة المضيئة في عقد أهل الفرقة المرضية، ص(٥٩).
(٤) الردود اللامعة على البوتي ومن شايعه، ص(٥).

الفلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد قرر أن الأصول المعتمد عليها هي الكتاب والسنة وما كان عليه الخلفاء الأربعة والصحابة الأبرار وجميع العلماء، فقال مُعرضًا بعقيدة المشركين في تفسير كلمة التوحيد وبيان أن تفسيرهم لها باطل: «ويرون أن هذا هو معنىٰ لا إله إلا الله، لأن معناه عندهم لا خالق ولا رازق ولا موجود إلا الله، وأصبحت هذه العقيدة فاسدة بإجماع المسلمين الموحدين بالأدلة القاطعة من كتاب وسنة»(١).

ومن جملة علماء البلد الحرام الذين قرروا أن الإجماع مصدر من مصادر التشريع، الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث تعرض لتقرير هذا الأصل في ثنايا رده على أبي رية، فقال: «فنرد عليه بإجماع خيار الأمة من الصحابة والتابعين على أن هذه الأحاديث المدونة في صحاح الكتب وسننها ومسانيدها هي أحاديثه ﷺ، كما اعترف بذلك من نقله عن شيوخ الدين وكفىٰ بهم حجة»(٢)، وقد أكثر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الاستدلال بالإجماع في كتابه «ظلمات أبي رية»(٣)، وهذا يدل على اعتماده عليه كمصدر من مصادر التشريع يجب الاحتجاج به في التقرير والرد.

وعلى هذا المنوال سار الشيخ عبدالله خياط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد دعا إلى السير على ما سار عليه السلف، فقال: «يجب اتباع السلف والسير على النهج الذي درجوا عليه في عموم العبادات وفي باب الأسماء والصفات»(٤).

والحاصل أن علماء البلد الحرام اعتمدوا على الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة كمصادر أصلية في تقرير مسائل الاعتقاد وغيرها من

---

(١) السيف المسلول لاستقامة دين الإسلام، ص(٩).
(٢) ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية، ص(٧١).
(٣) انظر: ص(٢٥٧، ٢٨٧، ٢٨٨).
(٤) اعتقاد السلف، ص(٧).

المسائل، وهم بهذا يسيرون على ما سار عليه الأوائل من أهل السنة والجماعة.

والإجماع المعتبر في كل مسألة هو إجماع أهل العلم دون غيرهم. يقول ابن القيم: «فإن الاعتبار في الإجماع على كل أمر من الأمور الدينية بأهل العلم به دون غيرهم»[١].

❊ ❊ ❊

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص(٤٦٥).

المبحث الرابع
موقفهم من الأدلة العقلية الصحيحة

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العين والقاف واللام أصل الكلمة»[١].

«والعقل مأخوذ من عقال البعير؛ لأنه يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل»[٢].

وقال الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم»[٣].

العقل السليم، والفطرة المستقيمة، مصدران ثانويان من مصادر الاستدلال عند أهل السنة والجماعة، وقد استدل بهما علماء البلد الحرام كمصادر ثانوية في تقرير مسائل الاعتقاد. فهذا الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرر أن العقل مصدر من مصادر الاستدلال، ولكنه ليس من المصادر الأصلية، وإنما من المصادر الثانوية، فقال في أثناء حديثه عن الصفات الذاتية: «صفات الذات مما استحقه تعالى في الأزل وفيما لا يزال، فمنها ما ثبت بنص الكتاب والسنة كالوجه واليد والعين، ومنها ما ثبت كذلك واقترنت به دلالة العقل من استحالة أضداده، وهي الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام ويسميه المتأخرون بالصفات الثبوتية وصفات المعاني والصفات العقلية ويسمون ما سواها: بالصفات الخبرية»[٤]. ومراده بالعقل ههنا العقل المجرد السالم من لوثة المتكلمين أو توهيمات الفلاسفة، وفُهم هذا من خلال ما ذكره في

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (عقل) (٤/ ٦٩).

(٢) التعريفات للجرجاني ص(١٥).

(٣) المفردات، مادة (عقل) (٢/ ٤٤٤).

(٤) ما لابد منه في أمور الدين، ص(٣٣).

موضع آخر أن العقل ليس مصدرًا بإطلاق وإنما إذا كان موافقًا لما دل عليه الكتاب والسنة، وبهذا يُعلم أنه حينما اعتمد على العقل إنما هو سائر على منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال، وكذلك فعل أبوالسمح رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما ذكر حال كثير من المنتسبين إلى الإسلام، وأن دينهم تقليد الآباء، والسير وراء العادات، فأخذ يبين لهم أن هذا المنهج غير صائب، واستدل على ذلك بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية، وأيَّد ما ذكره بالعقل، فهذا دليل على أنه حينما يستدل بالعقل، إنما يستدل به في موافقة الكتاب والسنة. ومعلوم لدىٰ كل ذي عقل أن العقل الصحيح لا يعارض النص الصريح فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فإذا أردت إرشادهم إلى الحق وتنويرهم بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية، وأيدت ذلك بالمعقولات، لم يزدادوا إلا ضلالاً ونفورًا، إلا مَنْ أراد الله هدايته وشرح صدره، وهم أقل من القليل»[١]. وقد بيَّن أن العقل حجة على كرامات الأولياء، وذلك في كتابه «كرامات الأولياء»، حيث قال: «إن إكرام الله لعباده الأبرار ثابت بالعقل والنقل. . . إلى أن قال: و أما بالعقل، فإذا كان الله لا يكرم أولياءه وأحبابه فمن يكرم»[٢]. وذكر أيضًا في كتابه «حياة القلوب بدعاء علام الغيوب» أن المحتج بالقدر محجوج بالعقل والنقل[٣].

وممن ذكر أن العقل حجة، الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، فقد بيَّن أن العقل السليم ميزان من موازين الشريعة، توزن به الآراء والأقوال والاعتقادات، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحذيره من رؤساء الطرق وبيان دسائسهم: «إنما يُعرف ذلك بميزان الكتاب والسنة، وما يثبته

---

(١) حياة القلوب بدعاء علام الغيوب، ص(٥٣).
(٢) كرامات الأولياء، ص(٤، ٥).
(٣) انظر: حياة القلوب، ص(٦٢).

العقل السليم»(١)، بل إنه دعا طالب الحق أن ينظر في كتب العلماء، ولا يكن إمَّعة، يأخذ كل ما يجد، بل عليه أن يستعمل عقله في التمييز بين الصحيح والسقيم، فقال: «فعليك أيها الطالب للحق بمطالعة كتب العلماء المحققين، وتفهم ما فيها، واستعمال العقل، وترك التقليد والتعصب لمذهب أو فرقة أو طريقة»(٢). وهو حينما يذكر العقل، ويحث على استعماله؛ إنما يعني بذلك العقل الصحيح، ويتبيّن ذلك من موقفه من العقل الذي أُصيب بانحراف مساره، وسيأتي بيانه في موضعه ـ إن شاء الله ـ(٣).

❊ ❊ ❊

---

(١) أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، ص(٧٣).
(٢) مفتاح الجنة، ص(١٥).
(٣) انظر ص(٦١).

المبحث الخامس
موقفهم من الفطرة

أما الفطرة، فالمقصود بها على الصحيح، الإسلام، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، فقال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(١)]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ حول هذه الآية: «وسنذكر في الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة. . . إلىٰ أن قال: الدين والفطرة: الإسلام. . . ثم ذكر حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود يولد إلَّا على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو يُنصّرانه أو يمجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**»[(٢)]»[(٣)].

وفي هذا الحديث بيان أن الفطرة هي الإسلام، لأنه لو كانت غير الإسلام لقال: أو يُمسلمانه.

وبهذا يتبين لنا أن الفطرة هي الإسلام، والفطرة التي هي مصدر من مصادر الاستدلال، إنما يعنى بها الأمر الفطري الجبلي التي جبلت عليه النفوس من استحسان الحسن واستقباح القبيح، كما هو منهج أهل السنة والجماعة، وقد استدل بها علماء البلد الحرام، كما استدل بها غيرهم، فهذا الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ يذكر مآخذ العقائد، وأن الفطرة من هذه المآخذ، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «مآخذ العقائد الإسلامية

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام (٣/ ٢١٩) الفتح.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٢).

أربعة سلفيان، وهما الفطرة والشرع، وخلفيان وهما: النظر العقلي المتعمق فيه، والكشف التصوفي»[١].

وهو بهذا يبين أن الفطرة مصدر من المصادر التي يُعتمد عليها في ذكر مسائل الاعتقاد.

وممن بين أن الفطرة من المصادر، الشيخ محمد مخدوم رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال في رده على البوتي: «هل من العقل والفطرة الإنسانية أن يعتقد ويعمل خلاف الكتاب والسنة»[٢].

وهم سائرون على ما سار السلف من قبل بأن الفطرة دالة على بعض المطالب الدينية كدلالتها على توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات. فقد دلَّت الفطرة على علو الله على خلقه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما كونه عاليًا على مخلوقاته بائنًا عنهم فهذا أمر معلوم بالفطرة الضرورية التي يشترك فيها جميع بني آدم»[٣].

والحاصل أن مصادر الاعتقاد التي يعتمد عليها السلف رحمهم الله، خمسة مصادر، هي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.

أما القياس فهو محل خلاف بين أهل العلم، هل يصلح أن يكون مصدرًا من مصادر الاعتقاد أو لا يصلح؟ وذلك لأن القياس أنواع لا يصلح منها في باب الاعتقاد إلا قياس الأولىٰ بينما قياس الشمول والتمثيل لا تصلح أن تستعمل في حق الله تعالى. وبسط القول في حجية القياس على مسائل الاعتقاد ليس هذا موضع ذكره. والله أعلم.

***

---

(١) التنكيل (٢/ ٢١٨).
(٢) الردود اللامعة على البوتي ومن شايعه ص(١٥، ١٦).
(٣) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٥).

الفصل الثاني

موقفهم من مصادر الخلف

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **موقفهم من العقل المجرد.**

المبحث الثاني: **موقفهم من علم الكلام والفلسفة.**

المبحث الثالث: **موقفهم من مصادر المتصوفة:**

١ ـ موقفهم من الرؤى والمنامات.

٢ ـ موقفهم من الكشف والإلهام والوجد.

تمهيد

بعد أن تبين لنا موقف علماء البلد الحرام من مصادر السلف، وأنهم سائرون على طريقتهم دارجون على منهجهم في استقاء العقيدة من منابعها الصافية.

بقي لنا أن نبين موقفهم من مصادر الخلف الذين خالفوا أهل السنة والجماعة، وجانبوا الحق والصواب.

وقبل أن نتكلم في هذه المسألة نود أن نشير إلى أنه بالرجوع إلى كتب المعاجم اللغوية، نجد أن كلمة «خلف» يُقصد بها عدة معانٍ.

قال ابن فارس: «الخاء واللام والفاء، أصل الكلمة والخَلَف ما جاء بعد»[١].

وخلاصة هذه المعاني، ما يلي:

١ ـ (الأخذ من الخَلْف، ومنه خلف فلان، أخذه من خلفه)[٢].

٢ ـ (القائم بالأمر بعد من خلفه منه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠﴾[٣])[٤].

٣ ـ الشيء المتروك، ومنه خلف الشيء، أي تركه خلفه.

٤ ـ المتأخر.

٥ ـ (ما أخلف عليك بدلاً مما أخذ منك)[٥].

والحاصل أن الخَلْف بسكون اللام يطلق ويراد به من جاء بعد

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة «خلف» (٢/ ٢١٠).

(٢) قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية (ص١٠٨).

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٦٠.

(٤) المفردات، ص(١٥٥).

(٥) الفروق في اللغة، ص(٣٠٨).

الأول سواء كان خلفه في الشر أو في الخير. بينما كلمة «خَلَفَ» بفتح اللام لا تستعمل إلا في الخير[(١)].

وحينما تطلق كلمة «خلف» يقصد بها من تغيرت عقائدهم بلوثات علماء اليونان أو توهيمات الفلاسفة، فأصبحوا يتعمقون في مسائل الاعتقاد بهذا المنظور، ويبحثون في الجوهر والأعراض، من غير طائل ولا فائدة.

بل إنهم أصَّلوا لهم أصولاً وجعلوا لهم قواعد تخالف ما كان عليه السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ، وقد سمىٰ بعض العلماء هذه الأصول بالطواغيت[(٢)]، وتناولها بالرد والتفنيد، وتتلخص هذه الأصول فيما يلي:

١ ـ قولهم: إن نصوص الوحي أدلة لفظية، وهي لا تفيد اليقين.

٢ ـ قولهم: إذا تعارض العقل والنقل، وجب تقديم العقل، لأنه لا يمكن الجمع بينهما، ولا إبطالهما، ولا تقديم النقل، لأن العقل أصل له.

٣ ـ قولهم: إن آيات الصفات وأحاديث الصفات مجازات لا حقيقة لها.

٤ ـ قولهم: إن أخبار رسول الله ﷺ الصحيحة التي رواها العدول وتلقتها الأمة بالقبول، لا تفيد العلم، وغايتها أنها تفيد الظن.

ومن مصادر الخلف التي سنتعرض لها ما يلي:

---

(١) الفروق اللغوية، للعسكري، ص(٢٥٧).

(٢) وقد تناول هذه الطواغيت بالرد والتفنيد الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه «الصواعق المرسلة».

المبحث الأول
موقفهم من العقل المجرد[(١)]

من أبرز من قدَّس العقل، وجعله مهيمنًا على الشرع، المتكلمون من معتزلة وأشاعرة وغيرهم، فهم وإن اختلفت أفكارهم؛ إلا أنهم جعلوا العقل أساس المعرفة، ومصدر التلقي المعصوم، الذي يُرجع إليه عند التنازع، ويكون الرد إليه عند الاختلاف، حتىٰ إن الرازي صنَّف مصنفًا في تقديس العقل، قال في ثناياه: «الفصل الثاني والثلاثون في أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية فكيف يكون الحال فيها؟. اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك، فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة:

١ ـ إما أن يصدق مقتضىٰ العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين، وهو محال.

٢ ـ وإما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين، وهو محال.

٣ ـ وإما أن يصدق الظواهر النقلية، ويكذب الظواهر العقلية، وذلك باطل».

إلى أن قال في نهاية المطاف ما يريد تقريره. . .

٤ ـ «ولما بطلت الأقسام لم يبقَ إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية»[(٢)].

وقد تناول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما جاء في هذا الكتاب بالرد والإبطال، فصنَّف فيه مصنفًا أسماه «بيان تلبيس الجهمية في

---

(١) المقصود من العقل المجرد، المجرد من دلالة الكتاب والسنة وليس العقل الهلامي.
(٢) أساس التقديس، ص(٣٣١).

تأسيس بدعهم الكلامية»، فجاء في هذا الكتاب علىٰ قواعدهم فنقضها، فخر عليهم السقف من فوقهم.

ولقد عرفنا فيما تقدم[١] أن العقل الصحيح لا يعارض النص الصريح، وكلامنا هـٰهنا منصب علىٰ العقل الذي اعترته الآفات فأصبح صريعًا لا يستطيع نجاة نفسه، فكيف ينقذ غيره.

ولقد وقف علماء البلد الحرام ضد هذا العقل، فتكاثرت نصوصهم في الحديث عنه، وأنه لا يستطيع لوحده أن يستقل بتقرير مسألة أو نفيها. حيث بيَّن الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن العقل قاصرٌ عن إدراك نفسه، فكيف يدرك غيره، وأن له حدًّا محدودًا لا يستطيع تجاوزه، فضلاً أن يقرره فقال: «العقل قاصر عن إدراك نفسه، وله حد محدود، ولا يعرف حقيقته تعالى ـ أي الله عز وجل ـ إلا هو، والعجز عن إدراكها إدراك قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[٢]، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[٣]، فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك»[٤]. وهو بذلك يبين أن العقل لا يستطيع أن يدرك نفسه فضلاً عن ذات الله العليّة. بل إن العقل له حدود لا يستطيع تجاوزها، وليس في وسعه معرفتها استقلالاً.

كما قال الشيخ أبوالسمح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله تعالىٰ لمَّا خلق الخلق اقتضت حكمته ورحمته أن يرسل رسلاً لبني البشر يعلمونهم ما لا تستقل به عقولهم، ولا تصل إليه أفكارهم بسهولة»[٥]، وهو بهذا يبين لنا أن العقل ليس في وسعه معرفة الحكمة التي من أجلها خلق الله الخلق،

---

(١) انظر: ص(٥٢).
(٢) سورة طه، الآية: ١١٠.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٤) ما لابد منه في أمور الدين، ص(١٧).
(٥) حياة القلوب بدعاء علام الغيوب، ص(٦٢).

فكان من رحمة الله أن أرسل الرسل، وأنزل الكتب لبيان ذلك، وبيان ما تعجز العقول عن إدراكه، والوصول إليه من كل ما يحتاج إليه البشر في معاشهم ومعادهم. والإنسان حينما يقدم عقله ورأيه علىٰ الوحي يرديه ويرده إلى أسفل السافلين، بل إن المؤمن لا يقدم عقله على الوحي كما قال محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن من شرط المؤمن ألا يرىٰ رأيه وعقله واختياره فوق رأي النبي ﷺ ويكون مستسلمًا لما أتىٰ به رسول الله ﷺ»[١].

وممن أبان موقفه من العقل: الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد بيَّن أن العقل البشري متفاوت في الفهم، وأنه ليس بإمكانه إدراك كثير من المخلوقات الغيبية فضلاً عن ذات الله، فقال: «لما كانت العقول البشرية مخلوقات متفاوتة في الفهم والإدراك، وكانت جميعها قاصرة عن إدراك كثير من حقائق المخلوقات الغيبية، كان طبيعيًا أن لا تستطيع الوصول إلىٰ إدراك حقيقة الله تعالى، ولذلك نهىٰ رسول الله ﷺ الناس عن التفكير في ذات الله، لأن ذلك ما لا يمكن أن تصل إليه أفكارهم، ويؤدي بهم إلى التردي والزلل... إلى أن قال: وليس هذا حجر علىٰ حرية الفكر، ولا تضييق علىٰ العقل؛ ولكنه إيقاف له عند حده، وإشفاق عليه من الاستمرار في بحث لا طائل تحته، وليس في مقدور العقل أن يصل إليه نظرًا لطبيعة خلقه، وفي هذا عصمة له من الضلال، وتوجيه إلى ما يؤدي بالنفس إلى الكمال»[٢]. كما أبان رَحِمَهُ اللَّهُ أن العقل إذا أطلق له العنان فإنه يسبب الاختلاف في العقائد والأحكام، وربما أردىٰ صاحبه في هوة سحيقة لا يستطيع الخروج منها، فقال: «وقد دلتهم التجارب على أن هداية العقل لا تكفي لحل هذه المشاكل النفسية، ولا تضمن لهم حياة الاستقرار الهنية، بل قد أدَّت بهم إلىٰ الاختلاف في

---

(١) تمييز المحظوظين، ص(٢٦٦، ٢٦٧).
(٢) أسمى الرسالات، ص(٢٥١).

العقائد والأحكام والتباغض والانقسام، فظلوا يتوقعون أن تصل إليهم الهداية، إلى كل ذلك من الله تعالى عن طريق رؤيتهم له أو إرساله ملائكة من قبله لتنوير بصائرهم»(١).

كما بين أن العقل لا يستطيع أن يدرك كل شيء مهما علا وارتفع، وذلك لأنه له حد محدود، فلا يستطيع معرفة بعض أمور الغيب، حيث قال في معرض كلامه عن اليوم الآخر والحياة البرزخية:

إن الحياة هناك نوع آخر   قد جلّ عن فهم وعن خطرات
عبثًا نحاول كشفها بعقولنا   فعقولنا محدودة القوات
ولقد جهلنا ما يصيب نفوسنا   في يومنا هذا من الصدمات
فمن المحال هنا إحاطة عقلنا   علمًا بيوم البعث والميقات(٢)

ولقد أبان الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ أن العقل إذا قُدِّس وترك له العنان؛ فإنه قد ينكر الثابت من السُّنَّة كما فعل العقلانيون. فقال في معرض كلامه عن الرسول ﷺ: «وما أنكر الثابت من هذا له أحد أو لغيره إلا لغلوّه في تقديس العقل وظنه أنما خرج عن السنن الطبيعية يجب رده وكلا الأمرين من قبيل المذموم عند العقلاء وفي الشرع، فلا يحل رد الحق الثابت عن الله ورسوله»(٣).

---

(١) أسمى الرسالات، ص(٢٧٨).
(٢) مناجاة الله، ص(١٤، ١٥).
(٣) أصول السيرة، ص(٣٥)، «قاله في معرض كلامه عن إثبات الآيات للنبي ﷺ».

المبحث الثاني
موقفهم من علم الكلام والفلسفة

لقد وقف علماء البلد الحرام من علم الكلام موقف المعارض له، حيث تواتر النقل عنهم بذمِّه، وأنه ليس طريقًا للمعرفة.

قال الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ اللهُ: «ولقد أرسل الله ـ تبارك وتعالى ـ رسله، وأنزل كتبه، وفرض شرائعه معرضًا عن علم الكلام والفلسفة»(١). كما أوضح أن علم الكلام ليس من صراط المنعم عليهم، وإنما هو من صراط أهل الضلال، فقال: «فمن الواضح الذي لا يخفىٰ على أحد أن علم الكلام والفلسفة ليسا من صراط المنعم عليهم، بل هما من صراط المغضوب عليهم والضالين، فثبت بهذا أوضح ثبوت أن الشرع لم يقتصر على الإعراض عن الكلام والفلسفة، بل حذر منهما ونفَّر عنهما»(٢).

وممن أبان موقفه من علم الكلام وعلمائه: الشيخ أبومحمد عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ اللهُ، حيث قال في الرد على الرازي في تحامله على الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ، فقال: «وهذا المسكين الرازي لمَّا كان مغمورًا في بحر علم المنطق والمعقول، وكان مائلاً عن العلم المنقول، تحامل على الإمام ابن خزيمة هذا التحامل القبيح بغير حُجة، وما استحيا أن يستعمل مثل هذه الكلمات في حق مثل هذا الإمام الذي اتفقت الأمة المحمدية وأئمتها على إمامته وجلالة قدره، وتقدمه في علم الحديث، وعلى صحة اعتقاده. فالذي نعتقده ونقوله بلا خلاف: أن من سمىٰ كتاب التوحيد لابن خزيمة كتاب الشرك ووصف مصنفه بقلة الفهم

---

(١) التنكيل (٢/ ٢٢١).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٢٢٢).

ونقصان العقل، ووصمه بوصمة الجهل فهو بعيد عن مدارك علم الحديث، عفا الله عنك أيها الرازي كيف وقعت في هذه الخساسة؛ فلعل السبب فيه أنك لست من فرسان هذا الميدان، إنما مُليء دماغك من منطق الطغيان وفلسفة اليونان. . . إلى أن قال: وقلت حين قرأت كلامه في التفسير، ورأيت تحامله على هذا الإمام الكبير:

أسأت الظن في شيخ جليل	وقد حطَّ الرواحل في النعيم
يقول بقول أسلاف كرام	وحُدْتَ عن الطريق المستقيم
لقد عيّبت يا رازيّ سفرًا	بعيب الشرك والجرم الجسيم
ستعلم يوم تدعىٰ مع كتاب	وتوقف للحساب مع الغريم
لقد سماك أهلك فخر دين	ومالك حظ ذا الفخر العظيم
علقتَ بمنطق اليونان حتىٰ	شربتَ ضلاله شُربًا كهيم»[١]

وممن وقف ضد علم الكلام، وأبان أنه أوهام: الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال في معرض رده على أبي رية: «إن الظنون هي أوهام المتكلمين من جهمية ومعتزلة وأشاعرة وروافض، هي التي أفسدت على الأمة دينها وفرقتهم شيعًا وأحزابًا، وجعلت بأسهم بينهم، ومكنت أعداء الإسلام منهم التتار والصهيونيين وغُزاة أوروبا، ولا عزة للمسلمين إلا بمراجعة دينهم، وحرق تُرَّهات الرازي وأمثاله»[٢].

ومن هذا يتبين لنا موقف علماء البلد الحرام من علم الكلام الذي اعتمد عليه من حاد عن الصراط المستقيم من أشاعرة ومعتزلة وجهمية وغيرها من الطوائف.

---

(١) كتاب التوحيد، ص(٧٥، ٧٦).
(٢) ظلمات أبي رية، ص(٣٢١).

المبحث الثالث
موقفهم من مصادر المتصوفة

ومن الخلف الذين خالفوا الكتاب والسنة: المتصوفة، حيث جعلوا لهم مصادر مستقلة عن غيرهم يستقون منها بدعهم وضلالاتهم، وهم بهذا يخالفون أهل السنة والجماعة في أصل من الأصول العظيمة، ألا وهو مصدر التلقي. فمصادر المتصوفة مصادر مستقلة، عليها يعتمدون، وعنها يصدرون، تتلخص هذه المصادر فيما يلي:

١ـ موقفهم من الرؤى والمنامات:

الرؤى والمنامات مصدر مهم عندهم بنوا عليه كثيرًا من بدعهم وترّهاتهم، واعتقدوا عن طريقها ما يرون، وما يوحي إليهم الشيطان في المنام، حتى قال قائلهم ـ وهو أبوالفتح الشاوي ـ في تقرير هذا الأصل الذي اعتمدوا عليه: دخلتُ المسجد الحرام يومًا، فطرأ عليَّ حال، وأخذني عن نفسي، فلم أقدر أن أقف ولا أجلس، لشدة ما بي، فوقعت على جنبي الأيمن تجاه الكعبة المعظمة، وأنا على طهارة، وكنت أطرد عن نفسي النوم، فأخذتني سِنَة بين النوم واليقظة، فرأيت النبي ﷺ في أكمل صورة، وأحسن زي من القميص والعمامة، ورأيت الأئمة: الشافعي، ومالكًا، وأباحنيفة، وأحمد، ـ رحمهم الله ـ يعرضون عليه مذاهبهم واحدًا بعد واحد، وهو ﷺ يقررهم عليها، ثم جاء شخص من رؤساء المبتدعة ليدخل الحلقة، فأمر النبي ﷺ بطرده وإهانته، فتقدمت أنا وقلت: يا رسول الله! هذا الكتاب ـ أعني إحياء علوم الدين ـ معتقدي ومعتقد أهل السُّنَّة والجماعة، فلو أذنت لي حتى أقرأه عليك، فأذن لي فقرأت عليه من «كتاب قواعد العقائد».

بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب قواعد العقائد، وفيه أربعة

فصول: الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السُّنَّة، حتى انتهيت إلى قول الغزالي: وأنه تعالى بعث النبي الأمي القرشي محمدًا ﷺ إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس. فرأيت البشاشة في وجهه ﷺ ثم التفت وقال: أين الغزالي؟ وإذا بالغزالي واقف بين يديه، فقال: ها أنا ذا يا رسول الله، وتقدم وسلم، فرد عليه السلام، عليه الصلاة والسلام، وناوله يده الكريمة، فأكبَّ عليها الغزالي يقبلها ويتبرك بها، وما رأيت النبي ﷺ أشد سرورًا بقراءة أحد عليه مثل ما كان بقراءتي عليه الإحياء، ثم انتبهت والدمع يجري من عيني من أثر تلك الأحوال والكرامات، وكان تقريره ﷺ لمذاهب أئمة السنة، واستبشاره بعقيدة الغزالي وتقريرها نعمة من الله عظيمة؟ ومنّةٌ جسيمة، نسأل الله تعالىٰ أن يحيينا على سنته، ويتوفانا على ملّته، آمين»[(١)].

وممن سار على هذا المنهج من المتأخرين: أحمد بن محمد المرزوقي المكي[(٢)]، حيث قال: «إنه رأى النبي ﷺ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ واقفون حوله، وقال له ﷺ: اقرأ منظومة التوحيد التي مَنْ حفظها دخل الجنة، ونال المقصود من كل خير، ووافق الكتاب والسُّنَّة، فقال له: وما تلك المنظومة يا رسول الله؟ فقال الأصحاب له: اسمع من رسول الله ما يقول، فقال رسول الله ﷺ: قل: «أبدأ باسم الله والرحمن»

(١) تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، لعبدالقادر بن عبدالله العيدروس، (٥/ ٤).

(٢) هو أحمد بن محمد بن رمضان بن منصور، أبوالفوز الحسيني المرزوقي المالكي المكي المولود سنة (١٢٠٥هـ)، المدرس بالمسجد الحرام، وأحد أئمة المتصوفة، له عدد من التصانيف، منها: «متن عقيدة العوام» وشرحها «تحصيل نيل المرام» و«بلوغ المرام لبيان ألفاظ مولد سيد الأنام» و«عصمة الأنبياء». وغيرها، ومن تلاميذه: أحمد دهان وأحمد دحلان، توفي عام (١٢٦٢هـ)، ودفن بالمعلاة ولم يعقب إلا ابنة واحدة.
انظر المختصر من كتاب نشر النور والزهر ص(١١٣، ١١٤)، والأعلام (١/ ٢٤٧)، وكشف الظنون (٣/ ١٩٧، ٢٣٦)، (٤/ ١١٦).

فقال: أبدأ باسم الله والرحمن.. إلى آخرها، وهو قوله:

وصحــف الخليــل والكليــم　　　　فيهــا كــلام الحكيــم العليــم

ورسول الله ﷺ يسمعه، فلما استيقظ من منامه قرأ ما رآه في منامه فوجده محفوظًا عنده من أوله إلى آخره، ثم رأى النبي ﷺ مرة ثانية وقت السحر في المنام، فقال له النبي ﷺ: اقرأ ما جمعته ـ أي في قلبك ـ فقرأه من أوله إلى آخره، وهو واقف بين يديه ﷺ، وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ واقفون حوله يقولون: آمين. بعد كل بيت من هذه المنظومة. فلما ختم قراءته قال النبي ﷺ: وفقك الله تعالىٰ لما يرضيه، وقبل منك ذلك، وبارك عليك، وعلىٰ المؤمنين، ونفع بها العباد، آمين»[(١)].

وأكثر من يصرح المتصوفة بالتلقي عنه منامًا: الله ـ سبحانه وتعالى ـ، والنبي ﷺ، وجبريل عليه السلام، والخضر، بل إنه بلغ بهم الحد أن تلقوا منامات عن مشايخهم المقبورين، فأصبحت هذه المنامات ـ في زعمهم ـ حق لا يمارىٰ فيه، وعدل لا يُحاد عنه، بل إنهم قدَّموها على صريح الكتاب والسُّنَّة، وهذا هو الفارق بينهم وبين أهل السُّنَّة والجماعة، فأهل السُّنَّة والجماعة اعتمادهم علىٰ ما جاء عن الله ورسوله، وما أجمعت عليه الأمة، وما المنامات عندهم إلاَّ مبشرات لا تؤخذ منها الأحكام، بخلاف هؤلاء الذين يجعلون المنامات والرؤىٰ مستندًا، عليها يعتمدون، ومنها يتلقون.

ولقد وقف علماء البلد الحرام من هذا المصدر موقف المعارض له، المنكر الاعتماد عليه. فقال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا أن الرؤىٰ لا تعتبر حجة شرعية يعتمد عليها، ويستدل بها، فقال: «وأما ما وقع له من الشفاعة في المنام وكذا لغيره، فلا يصح للاستدلال فضلاً عن أن يكون دليلاً قطعيًا، فليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن

(١) عقيدة العوام، ص(١٠، ١١).

يكون مشروعًا مأمورًا به»[(١)].

كما بيَّن أن الرؤىٰ لا ينبني عليها حكم شرعي، لأنها قد تكون من الشيطان، فقال: «ولسنا ننكر الرؤيا الصالحة، ولكنا نقول: لا ينبني عليها حكم شرعي، لأنها قد تشتبه على الرائي، أو تكون من تحزين الشيطان، أو مما يحدث به الرجل نفسه»[(٢)].

ولقد بيَّن الشيخ محمد عبدالظاهر أبوالسمح رَحِمَهُ اللَّهُ أن المنامات لا تصلح أن تكون دليلاً في مقابل نصوص الوحي، فقال: «أما ما يستدلون به من المنامات في مقابلة هذه النصوص القرآنية من أنهم دعوا فلانًا في حاجة، فقضيت، وأن فلانًا اعترض على فلان الولي فجاءه في المنام ووبخه، فهذه المنامات وأمثالها، من الخيالات الشيطانية، لا يثبت بها حكم شرعي، ولا يتمسك بها إلا ضال غوي، ومعلوم أن المنامات ليست وحيًا إلا عند الرسل المعصومين، أما غيرهم من البشر فلا، وعلى هذا إجماع أهل الأصول أن المنامات لا يثبت بها حكم شرعي، نعم، ورد أن الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح من المبشرات، يراها أو ترىٰ له. وقد أضل الشيطان خلقًا كثيرًا بهذه الرؤىٰ، ولا حول ولا وقوة إلا بالله»[(٣)].

ولقد أوضح الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ أن الطرق كلها مسدودة إلا طريق محمد ﷺ، فقال: «ومحمد خاتم النبيين، لا نبي بعده، ولم يبق طريق إلى الله تعالى إلا اتباع محمد ﷺ، فما أمر به من العبادات أمر إيجاب أو استحباب، فهو مشروع، ومرغوب فيه، وما لم يأمر به، ولم يفعله، فلا يقال إن هذا مستحب، أو مشروع، إلا بدليل شرعي، ولا يجوز أن تثبت شريعة بحديث ضعيف، فضلاً عن منكر، أو

---

(١) فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال، ص(٤٩).
(٢) المصدر نفسه، ص(٥٠).
(٣) الأولياء والكرامات، ص(٤٦).

موضوع، أو كشف، أو إلهام، أو نوم، أو خيال، أو آراء الرجال»[١].

وقد بيَّن الشيخ محمد مخدوم رَحِمَهُ اللَّهُ أن الرؤىٰ لا تصلح أن تكون دليلاً. فقال في معرض نقده لمن تبع طريق الآباء والأجداد، وظن أنهما طريق السعادة، واستدل على ذلك بالمنامات فقال: «وقد كان دليلهم على ذلك رؤياهم في المنام، والبعض أكد ديانته بقوله: إني لا أقتدي إمامًا من غير مذهبي، وإن اقتديت بمذهب آخر فعلي أن أُعيد الصلاة»[٢].

وبهذا يتبين لنا أن علماء البلد الحرام لا يقرون هذا المصدر الذي هو الرؤىٰ والمنامات، ولا يعتبرونه من الأدلة الشرعية التي يمكن الاستناد عليها، والقول بموجبها، وذلك لما يعتري النائم من أمور لا يعلمها إلا الله. وأهل السُّنَّة والجماعة لا يعتبرون الرؤىٰ والمنامات مصدرًا من مصادر التشريع، وإنما يستأنس بها كما ذكر الشوكاني في كتابه «إرشاد الفحول»[٣].

٢ـ موقفهم من الكشف، والإلهام، والوجد:

الكشف: وهو من المصادر المهمة عندهم، والكشف كما يعرِّفه أهل الاصطلاح: «هو الاطلاع علىٰ ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية، وجودًا وشهودًا»[٤].

والكشف أرفع درجات التلقي عند الصوفية، وهو الطريق الموصل لليقين عندهم.

والإلهام: قال الجرجاني: «هو ما يلقىٰ في الروع بطريق الفيض، وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير

---

(١) مفتاح الجنة، ص(٣٦، ٣٧).
(٢) التفكير فريضة إسلامية، ص(١٧).
(٣) انظر: ص(٢٨٧ إلى ٢٩١).
(٤) معجم مصطلحات الصوفية، ص(٢٢٥).

استدلال بآية ولا نظر في حجة، وهو ليس بحجة عند العلماء إلا عند الصوفية»[(١)].

وله عندهم طريقان:

عن طريق الله، وعن طريق المَلَك.

أما الوجـد: فقد اختلفت عبارات المتصوفة في تحديده، كما اختلفت عبارات الأشاعرة في الكسب. وقد لاحظ الغزالي ذلك، فحاول أن يخرج من عباراتهم بخلاصة للوجد فقال: «والأقاويل المقررة في السماع والوجد كثيرة، ولا معنىٰ للاستكثار من إيرادها، فلنشتغل بتفهيم المعنىٰ الذي الوجد عبارة عنه، فنقول: إنه عبارة عن حالة يثمرها السماع، وهو وارد حق عقيب السماع، يجده المستمع من نفسه»[(٢)]، وحينما ننظر في كتب علماء البلد الحرام نجد أنهم لا يعتبرون هذه الأشياء المذكورة أدلة شرعية يمكن الاعتماد عليها، والسير بموجب ما تقرره. فقال الشيخ عبدالستار الدهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض حديثه عن الإلهامات والكشوف التي يعتمد عليها المتصوفة: «فإذا انحط إلهامهم في حق الغير عن درجة الظن ـ أيضًا ـ فبالأولىٰ لا يبلغ درجة الاعتبار في باب الاعتقاديات جدًا، وكذلك الكشف لا يؤخذ به في باب الاعتقاديات أصلاً، كما لا يخفىٰ على الفَطِن الخبير، وإن جاز أخذه في غيرها بطريق الآداب إذا لم يخالف الشرع»[(٣)]. وهو بهذا يوضح لنا أن الإلهام والكشف لا يحتج بهما على مسائل الاعتقاد، لأنهما لا يفيدان العلم.

كما بيَّن الشيخ محمد عبدالظاهر أبوالسمح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المكاشفة لا تعتبر دليلاً، فقال: «يعتقد الكثير من أهل هذا الزمان أن الإخبار بالغيوب من المكاشفة، والمكاشفة دليل عندهم على الكرامة والولاية، وهذا

---

(١) التعريفات للجرجاني، ص(١٥).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٢٦٨).

(٣) التحقيق المصون، لوحة (٥).

ليس بصواب على إطلاقه، قال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[١]، وقال جل شأنه: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[٢]. . . إلى أن قال: فيعتقد فيهم بعض الغافلين أن ذلك كرامة ومكاشفة، وهذا دليل في زعمهم على الولاية، وأن صاحب هذه المكاشفة من أولياء الله، وهذا غلط، واعتقاد باطل، وما هذا ومثله بدليل على الولاية لله، وذلك أن الله تعالى عرّف أولياءه بغير الإخبار بالغيوب، والمكاشفات، فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[٣].

فوصفهم بالإيمان والتقوى، ولم يقل: الذين يعلمون الغيب ويخبرون به، ولا الذين يأتون بخوارق العادات، ولا الذين يلبسون المرقعات، ويصيحون في الطرقات»[٤].

وممن وقف ضد هذه المصادر: الشيخ محمود شويل رحمه الله، حيث قال في معرض ردِّه على شكيب أرسلان: «فأين يكون تبيينه؟ أيكون فيما عليه أذواق الطريقيين، ووجدانات الصوفيين، واعتقادات الفلاسفة المتهافتين، الذي يجب علينا أن نحاربهم في معتقداتهم»[٥].

وقال الشيخ محمد سلطان المعصومي رحمه الله مبينًا أن الإلهام ليس مصدرًا من مصادر المعرفة: «قال العبد الضعيف: وقد صرح العلماء بأن الإلهام ليس من أسباب المعرفة بالأحكام، وفي العقيدة النسفية: والإلهام ليس من أسباب معرفة الحق بشيء عند أهل الحق، وكذلك الرؤيا في المنام خصوصًا إذا خالفا كتاب العليم العلام أو سنة محمد

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٢) سورة الجن، الآية: ٢٦، ٢٧.
(٣) سورة يونس، الآيتان: ٦٢، ٦٣.
(٤) الأولياء والكرامات، ص(٦، ٧، ٨).
(٥) منزلة الحديث من الدين، ص(٧).

ﷺ»[١]. كما أوضح رَحِمَهُ اللَّهُ أن الشريعة لا تثبت بأمثال هذه الأمور ـ أي الإلهام والكشف والوجد ـ فقال: «ولا يجوز أن تثبت شريعة بحديث ضعيف، فضلاً عن منكر أو موضوع، أو كشف أو إلهام أو نوم أو خيال أو آراء الرجال لأن الثواب عند الله، ولا يعلم ما عند الله وأن في الأمر الفلاني ثوابًا إلا بإعلام الله وذلك لا يكون إلا بواسطة محمد رسول الله ﷺ»[٢].

وحينما نتأمل كتابات الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ، نجد أنه قد أسهب في هذه القضية حيث عقد لها في كتابه «القائد إلى تصحيح العقائد»[٣] فصلاً كاملاً بيّن فيه الموقف الصحيح من مصادر المتصوفة، وأن الكشف والإلهام ليسا من المصادر المعتمد عليها عند أهل السنة والجماعة، فقال بعد كلامه الطويل عن الكشف: «هذا والشرع يقضي بأن الكشف ليس مما يصلح الاستناد عليه في الدين، ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**»[٤] . . . إلى أن قال: «وفيه حجة على أنه لم يبق مما يناسب الوحي إلا الرؤيا، اللهم إلا أن يكون بقي ما هو دون الرؤيا، فلم يعتد به، فدل ذلك أن التحديث والإلهام والفراسة والكهانة والكشف، كلها دون الرؤيا، والسر في ذلك أن الغيب على مراتب. . . إلى أن قال: فالكشف إذًا تبعٌ للهوىٰ فغايته أن يؤيد الهوىٰ ويرسخه في النفس ويحول بين صاحبه وبين الاعتبار والاستبصار فكأن الساعي في أن يحصل له الكشف إنما يسعىٰ في أن يضله الله ـ عز وجل ـ ولا ريب أن من التمس الهدىٰ من

(١) أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، ص(٣٨٦، ٣٨٧).
(٢) مفتاح الجنة، ص(٣٧).
(٣) وهو عبارة عن جزء من كتاب التنكيل.
(٤) رواه البخاري، كتاب: التعبير، ب: المبشرات (١٢/ ٤٦٤) الفتح، ح/ ٦٩٩٠.

غيرالصراط المستقيم، مستحق أن يضله الله ـ عز وجل ـ»[١] . كما بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ الطريقة التي يسلكها المتصوفة ليحصل لهم الكشف، فقال: «كالذي يصوم ويقوم ليكون من أهل الكشف فيطلع على العجائب والمغيبات، فيلتذ لذلك، ويعظم جاهه بين الناس، وكذلك يتعبد ليحصل له الكشف، فيصفو إيمانه ويستريح من الوسوسة ومدافعة الشهوات، فإن هذه الطريقة غير مشروعة، ومن شأنها أن تجرَّ إلى تعاطي الأسباب الطبيعية لتقوية النفس وإن كانت منهيًا عنها في الشرع كما هو معروف في بدع المتصوفة، ومن حصل له الكشف بهذا الطريق فهو مظنة أن يضعف إيمانه أو يزول؛ عقوبة له على سلوكه غير السبيل المشروع، وحتى لو كشف له عن شيء مما يجب الإيمان به فشاهده، لم ينفعه هذا الإيمان، كما يعلم مما تقدم، وإنما المشروع أن يجاهد نفسه ويصرفها عن الشبهات والوساوس مستعينًا بطاعة الله تعالى والوقوف عند حدوده مبتهلاً إليه ـ عز وجل ـ أن يثبت قلبه بما شاء ـ سبحانه ـ، فهذا إنما يحمل على اتباع الشرع والاهتداء بهداه»[٢] .

ولقد أوضح الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ السبب في تعاطي هذه الأشياء، وذلك من أجل أن تروج مقالاتهم فقال: «فمنهم من تعاطاها ليروج مقالاته المنكرة بنسبتهاإلى الكشف والإلهام والوحي»[٣]

وممن أوضح أن الكشف والإلهام ليسا من مصادر أهل السنة والجماعة: الشيخ محمد مخدوم رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: «والحال أن عقيدة الخلف والإلهام ليست من أسباب المعرفة عند أهل الحق، ومن أي باب دخل هذا العلم بين أهل القرآن»[٤] .

---

(١) التنكيل (٢/٢٥٨، ٢٥٩).
(٢) المصدر السابق (٢/٢٠٨).
(٣) المصدر السابق (٢/٢٥٧).
(٤) التفكير فريضة إسلامية، ص(٣٩، ٤٠).

ولقد أوضح الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الاستناد إلى الذوق والوجد ليس له أصل عن النبي، ولا صحبه، ولا التابعين. فقال: «وقد نشأ عن تفرق المسلمين على طلب الخلافة مذهب يقال له مذهب الصوفية، وجعلوا أساسه والميزان لقبوله أذواقهم ومواجيدهم، وبهذا اخترعوا لعامة المسلمين دينًا جديدًا ليتعبدوا به فمن لم يقبل ذلك منهم قالوا له: لا تعرف الذوق والوجدان، ولست من أهل طريقنا ومذهبنا ولا يعرفه إلا أهل الذوق. وهذا المذهب لا يعرف له أصل عن النبي ﷺ ولا صحبه ولا التابعين»[1].

ومن هذا يتبين لنا أن علماء البلد الحرام وقفوا من مصادر المتصوفة موقف الناقد لها، كما كان السلف رحمهم الله يقفون من هذه المصادر.

وقد بلغ المتصوفة شأوًا عظيمًا في الانحراف عن منهج السلف، حتى إنهم جعلوا الأشياخ والأقطاب والأوتاد مصادر يتلقون عنها ويخضعون لها.

وعلماء البلد الحرام لم يتركوا هذه المصادر، بل تعرضوا لها بالنقد والإيضاح، فقال الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمن خالفوا السلف: «وأما الخلف الذين خالفوا الله، وخالفوا أمره، وخالفوا رسول الله ﷺ، وخالفوا سنته، وخالفوا السلف الصالحين، وتركوا العمل بكتاب الله، الهادي إلى سعادة الدارين، وجهلوا معانيه، واتخذوا دينهم هزوًا ولعبًا، واعتمدوا على الخرافات ودجل الدجالين، واعتقدوا أن أرواح الأولياء تعينهم وتمدهم، وأن الأقطاب والأوتاد تتصرف في العالم وتحفظه، فبنوا الأربطة والخاقانات، واشتغلوا بالخرافات والخزعبلات، بل الشركيات والبدعيات والضلالات»[2]، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ

---

(١) الطواغيت المقنعة، ص(١١٢).

(٢) تمييز المحظوظين، ص(١٦١، ١٦٢).

مبينًا أثر الصوفية على الناس وأنهم هم الذين غيروا عقائد الناس وأفسدوا عقولهم بالترهات والخيالات: «وأما غيرهم من أدعياء العلم والدين والزهد والتقوى، فهم وإن سوَّدوا الدفاتر وألَّفوا الأساطير وصنَّفوا الكتب. ولكنهم مخلطون ولعقيدة الأنام مخربون، قد ملؤوا الدنيا بالخرافات، وأفسدوا العقول بالترهات والخيالات، ولقبوها بالتصوف وزينوها بالتفلسف فصار التقيّ عندهم من يدعو غير الله، ويعبد من دون الله، وينذر لغير الله، ويرجو غير الله، ويخاف غير الله، مسميًا إياه بالأقطاب والأبدال والنجباء والأوتاد ورجال الغيب، فبذلك أشركوا بالله شركًا أكبر، وهم لا يشعرون، وقد لعبت بهم الشياطين وهم لا يفهمون»[1].

ولقد بيَّن الشيخ محمد عبدالمؤمن الفلاني رَحِمَهُ اللَّهُ أن التفويض لا يكون إلا لله لا لشيخ ولا ولي، فقال في معرض حديثه عن التفويض للشيخ: «وأما على ظاهر كلامك هذا فلا يجوز لطالب أن يرد على شيخه ولو كان على الباطل، ولو خالف كل الكتاب والسنة، فهذا باطل مردود على قائله كائنًا من كان، ولا يجوز مطلق التسليم لشيخ من الأشياخ إلا إذا كان كلام الشيخ أو فعله موافقًا لكتاب رب العالمين أو سنة نبيه ﷺ، وإلا فهيهات هيهات، والتفويض نوع من أنواع العبادة لا يكون إلا لله»[2].

ومن خلال ما ذُكر يتبين لنا أن علماء البلد الحرام لم يرتضوا مصادر الخلف، ولم يستندوا إليها، بل إنهم تعرضوا لها بالرد والتفنيد. والله أعلم.

---

(١) تمييز المحظوظين، ص(٣٤١، ٣٤٢).
(٢) السيف المسلول، ص(١٢٢، ١٢٣).

الباب الثاني
جهودهم في تقرير التوحيد وتوضيحه

الفصل الأول: **توحيد الربوبية.**
الفصل الثاني: **توحيد الألوهية.**
الفصل الثالث: **توحيد الأسماء والصفات.**

الفصل الأول
توحيـد الربوبيـة

وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: **تعريف توحيد الربوبية.**

المبحث الثاني: **دلالات توحيد الربوبية.**

١ ـ دلالة الفطـرة.

٢ ـ دلالة الخلق والآفاق.

تمهيـــد

التوحيـــد:

لغـة: مصدر وحَّد يوحد توحيدًا، أي جعله واحدًا أو اعتقده واحدًا[(١)].

واصطلاحًا: يتوقف على تحديد نوعه.

ومن العلماء من يرىٰ أنه واحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في مُلكه وأفعاله، لا شريك له، وواحد في إلٰهيته وعبادته لا ندَّ له[(٢)].

وقد دلَّت نصوص الشرع على هذا المعنىٰ، فمن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[(٣)]، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كل ما في القرآن من الأمر بالعبادة فالمراد به التوحيد. وروىٰ ابن جرير بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾[(٤)]، أي: وحدوا ربكم»[(٥)].

أما السُّنَّة، فقد ورد لفظ صريح دال على هذه الكلمة من حديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ، في إحدىٰ الروايات أنه قال: «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله»[(٦)].

---

(١) القاموس المحيط، مادة «الواحد» (١/ ٤٧٧).

(٢) الدر النضيد، ص(٨).

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٥) تفسير ابن جرير (١/ ١٩٦).

(٦) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (١٣/ ٤٣٠) الفتح ح/ ٧٣٧٢.

وعندما نتأمل في كتب العلماء الأوائل، نجد أنهم قد قسَّموا التوحيد إلى أقسام عدة، وخلاصة تلك الأقسام، أن التوحيد منقسم إلى ثلاثة أقسام: **توحيد الربوبية، وتوحيد الإلٰهية، وتوحيد الأسماء والصفات.**

ومن العلماء من قسَّمه إلى قسمين:

١ ـ توحيد المعرفة والإثبات، وهو شامل لتوحيد الربوبية، والأسماء والصفات.

٢ ـ توحيد الإرادة والقصد والطلب، وهو شامل لتوحيد الإلٰهية. كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى.(١)

وقد دلَّت نصوص الوحي على هذا التقسيم، كما عُلمت هذه الأقسام بطريق التتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسُّنَّة. والاستقراء دليل معتبر.

ولقد جرىٰ علماء البلد الحرام على هذا التقسيم، فقسَّموا التوحيد إلى تلك الأقسام الثلاثة، فقال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما سُئل عن أقسام التوحيد: أنه منقسم إلى ثلاثة أقسام: «ثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الصفات»(٢).

وعلى هذا التقسيم سار الشيخ أبوالسمح رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال في نونيته رادًّا على من أنكر أنواع التوحيد الثلاثة:

ويقول المفرق هناك فقل له	لا فرق عند الصم والعميان
أما الأُلى بصروا ففرق عندهم	بين الثلاثة بمحكم القرآن
ولذا أقام الله ما اعترفت به	فرق الضلال أدلة للثاني(٣)

---

(١) ذكره ابن تيمية في التدمرية ص(٥)، وذكره ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٣٣).

(٢) ما لابد منه في أمور الدين، ص(٢٢).

(٣) نونية أبي السمح، ص(١٠٠، ١٠١).

وممن قسَّم التوحيد إلى هذه الأقسام: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال في معرض حديثه عن ما ينافي التوحيد، قال: «وغير ذلك مما ينافي التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد ربوبية، وتوحيد إلهية وعبادة، وتوحيد الأسماء والصفات»[١].

وممن نصَّ على هذا التقسيم: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع، فقال: «إذا قيل لك: كم أقسام التوحيد؟ فقل: ثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات»[٢].

كما ذكر هذه الأقسام في كتابه الكواكب الدرية[٣].

ولقد بيَّن الشيخ محمد الفلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الأقسام في أكثر كتبه[٤]، فقال: «اعلم - رحمك الله - أن التوحيد على ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد العبودية، وتوحيد الأسماء والصفات»[٥].

كما ذكر هذا التقسيم: الشيخ عبدالله بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال: «اعلم أن التوحيد الذي دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة، وأجمع عليه سلف الأُمة، ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات»[٦]

كما يُفهم هذا التقسيم من أكثر من واحد من علماء البلد الحرام، فمنهم على سبيل المثال: الشيخ عبدالحميد الخطيب[٧]، ومحمد سلطان المعصومي[٨]، وعبدالرحمن بن يحيىٰ المعلمي[٩]، ومحمد

---

(١) البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع، ص(٤٥).
(٢) القول السديد، ص(٣، ٤، ٥).
(٣) انظر: ص(٧).
(٤) كتاب التوحيد، ص(٥٤)، وكتاب السيف المسلول، ص(٧).
(٥) السيف القاطع للنزاع، ص(١٢).
(٦) كتاب التوحيد، ص(١٦).
(٧) جوهر الدين، ص(٤).
(٨) مفتاح الجنة، ص(٧١)، وحكم الله الواحد الصمد، ص(١٦).
(٩) كتاب العبادة، لوحة (٢٦) وما بعدها.

مخدوم[١]، وسليمان بن عبدالرحمن الحمدان[٢]، وعبدالعزيز بن راشد النجدي[٣]، وعبدالله خياط[٤] ـ رحمهم الله ـ.

وأنواع التوحيد الثلاثة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية والأسماء والصفات، كما أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللهُ في بيان هذه العلاقة بين أنواع التوحيد: «هي في الحقيقة متلازمة غير منفكة، فلا يتم الإيمان إلاّ بها جميعها»[٥].

وتتضح هذه العلاقة بما يلي:

الدعاء: هو العبادة، فمن دعا غير الله فقد أشرك في توحيد الإلهية، وهذا الداعي حينما دعا غير الله ظنّ أن ذلك المدعو يملك الضر والنفع، وهذا شرك في الربوبية لأنه اعتقد أن هناك من يملك الضر والنفع غير الله، وهذا الداعي حينما يدعو فإنه لابد أن يثني على المدعو بما لا يستحق، وهذا الثناء شرك في توحيد الأسماء والصفات.

وبهذا يتبين لنا أن من أخلّ بواحد من أنواع التوحيد فقد أخلّ بها جميعًا، والله أعلم.

---

(١) الردود اللامعة، ص(١٣).
(٢) الدر النضيد، ص(٨).
(٣) تيسير الوحيين، ص(٤٥).
(٤) دليل المسلم، ص(٦٣).
(٥) ما لابد منه في أمور الدين، ص(٢٣).

المبحث الأول
توحيــد الربوبيــة

قد عَرَّف علماء البلد الحرام هذا النوع من التوحيد بعدة تعريفات، لا تخرج في جملتها عن تعريف السلف ـ رحمهم الله ـ لهذا النوع، فقال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان هذا النوع من التوحيد: «إفراده تعالى باعتقاد أن لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت ولا موجد ولا معدم إلاَّ الله تعالى»[١].

كما بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ ضد هذا النوع من التوحيد، فقال: «هو أن يجعل لغيره معه تدبيرًا، والربوبية منه سبحانه لعباده، والتألّه من عباده له»[٢]. وبيَّن أن هذا النوع من التوحيد أقرَّ به المشركون كما حكى الله عنهم في كتابه، فقال: «حكىٰ الله عنهم في إثباتهم توحيد الربوبية في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ . . .﴾ الآية[٣]، وقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾[٤]، إلى غير ذلك من الآيات، مما يتضمن الاحتجاج على منكري الإلٰهية بإثبات الربوبية والملك»[٥]. وهو بهذا يبين أن هذا النوع من التوحيد أقرَّ به المشركون، لكنه لم ينفعهم، ولم يدخلهم في الإسلام، كما بيَّن تضمنه الاحتجاج على منكري الألوهية

---

(١) ما لابد منه في أمور الدين، ص(٢٢).
(٢) المصدر نفسه، ص(٣١).
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.
(٤) سورة يونس، الآية: ٣١.
(٥) ما لابد منه في أمور الدين، ص(٢٤).

بإثبات الربوبية.

وعلى هذا المنوال سار الشيخ أبوالسمح رَحِمَهُ اللَّهُ حيث بيَّن هذا التوحيد فقال: «وذلك أن مشركي العرب يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، لا شريك له في ذلك، وقد ذكره الله تعالى في كتابه العظيم، في غيرما آية، وأقامه حجة عليهم في كثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾»[1]، كما بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذا النوع من التوحيد الذي اعترف به المشركون، لم ينفعهم عند الله تعالى، ولم يدخلهم في دائرة الإسلام، ثم بيَّن أن المشركين السابقين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة بعكس مشركي زمانه فإنهم يشركون في الرخاء والشدة، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ولئن سألت المشركين من الذي ... ذرأ البرية ما له من ثانِ
قالوا جميعًا ربنا لكنهم ... لم يفردوه بخالص القربانِ
وخلاصة الزلفىٰ لديهم أنهم ... يدعون غير الله بالإحسان
ولقد أتى في الذكر أن دعاءهم ... في الكرب كان لربنا الرحمنِ
وإذا أتى فرج وشاموا برقة ... عادوا إلى الكفران والعصيان
لكن قومي في الرخاء وضده ... يدعون غير الله بالإحسان
يدعون أمواتًا غدوا تحت الثرىٰ ... ما إن لهم في ذا الورى من شانِ
والله كاشف كل كرب قادر ... وسواه ذو عجز فقير فانِ»[2]

ثم جاء من بعدهم الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ، فسار على منهجهم في تقرير هذا النوع من التوحيد، فقال: «رأيت أن أضع هذه

---

(١) حياة القلوب، ص(٣٤).

(٢) القصيدة النونية، لأبي السمح، ص(٩٧).

الرسالة عن جوهر الدين لدعوة الناس أجمعين إلى ما أمر الله به نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام، وسائر الأنبياء والمرسلين بدعوتهم جميعًا إليه، وهو معرفة الله وتوحيده بأفعاله»(١).

وممن بيَّن توحيد الربوبية وجلَّاه: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال في تعريفه لتوحيد الربوبية: «وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمر إلاَّ الله وحده، كما قال تعالى في سورة يونس: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ . . .﴾ الآية»(٢)، كما قال في تعريفه للرب: «والرب هو المالك المتصرف ويطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى، ولا يستعمل الرب لغير الله، إلاَّ بالإضافة، فيقال: رب الدواب، كذا فأما الرب فلا يطلق إلاَّ على الله ـ عز وجل ـ»(٣).

كما وضَّح رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذا التوحيد أقرَّ به المشركون ولكنه لم يدخلهم في دائرة الإسلام، حيث قال: «اعلم أن المشركين الذين دعاهم النبي ﷺ للإيمان كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كما بيَّن الله تعالى في كتابه، ولم يدخلهم ذلك التوحيد في الإسلام، بل قاتلهم رسول الله ﷺ إلى أن يقروا بتوحيد الألوهية وهو معنىٰ لا إله إلاَّ الله»(٤).

كما تعرَّض رَحِمَهُ اللَّهُ لبيان هذا التوحيد في أكثر كتبه، منها على سبيل المثال: «حكم الله الواحد الصمد»(٥)، و«تمييز المحظوظين»(٦)،

---

(١) جوهر الدين، ص(٤).
(٢) مفتاح الجنة، ص(٤١، ٤٢).
(٣) أوضح البرهان، ص(٩٦).
(٤) مفتاح الجنة، ص(٧١).
(٥) انظر: ص(٦٦).
(٦) انظر: ص(٢٣، ٦٩، ٧٥).

و«أوضح البرهان»[١].

كما أوضح الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ اللَّهُ هذا التوحيد وعرَّفه وجلَّاه، فقال: «فتوحيد الربوبية ألاَّ خالق ولا رازق إلاَّ الله»[٢].

ولقد وضَّح الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ توحيد الربوبية توضيحًا تامًا حيث عرَّف الرب فقال: «مالكهم ومدبرهم فكيف يعبد ربهم شيئًا آخر في الكون مربوبًا لله تعالى مخلوقًا له تعالى، موقوفًا على تدبيره سبحانه»[٣].

كما وضح إقرار الأمم السابقة بهذا التوحيد من لدن إبراهيم إلى مشركي العرب، وأنهم لم ينازعوا في هذا النوع من التوحيد، حيث قال عن مشركي العرب: «إنهم كانوا يعترفون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق والمدبر إلى غير ذلك...»[٤]. ثم ذكر الآيات الدالة على توحيد الربوبية، وقال معقبًا عليها: «ففي هذه الآيات أن المشركين كانوا معترفين بوجود الله ـ عز وجل ـ وأنه الذي يرزقهم من السماء والأرض والذي يملك السمع والأبصار والذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، والذي يدبر الأمر...»[٥].

وممن عرَّف هذا النوع من التوحيد: الشيخ محمد المرزوق الفلاني رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال في معرض حديثه عن أنواع التوحيد: «فأما توحيد الربوبية، فهو الاعتقاد بأن الله هو الخالق الرازق، وهو ـ أي توحيد الربوبية ـ فعل الخالق الرازق»[٦].

كما عرَّفه بتعريف آخر قريبًا من الأول قال فيه: «فعل الرب، وإن

---

(١) انظر: ص(٢٩، ٣١، ٩٩، ١٠٠).
(٢) القول السديد، ص(٤).
(٣) العبادة، لوحة(٢٦) مخطوط.
(٤) المصدر نفسه، لوحة (٤٦٣).
(٥) المصدر نفسه، لوحة (٤٦٣).
(٦) السيف المسلول، ص(٧).

شئت قلت: توحيده بفعله، وإن شئت قلت: أن نعتقد بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر الحي القيوم، لا تأخذه سِنَة ولا نوم».

ما معنىٰ قولك: فعل الرب؟

معناه: كل ما يفعله الله فهو توحيد الربوبية، مثل: الخلق، الرزق، الحياة، والممات»[١].

ثم بيَّن رَحِمَهُ اللهُ أن هذا النوع من التوحيد لا ينفع صاحبه إذا لم يأت بتوحيد العبودية، فقال: «لا ينفع أحدهما صاحبه - يعني نوعي التوحيد - دون الآخر لأن المشركين يعرفون الربوبية معرفة حقًا، ولكن لم ينفعهم ذلك دون العبودية، وجاءهم النبي ﷺ بالعبودية، وأمرهم بالإقرار بالربوبية وبالاعتقاد بها، وقاتلهم لإثبات العبودية»[٢].

وهو بهذا يبين لنا حد توحيد الربوبية، وأنه لا غنىٰ لنوع عن آخر من أنواع التوحيد، بل إنها متلازمة، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلٰهية ويستدعيه. وتوحيد الإلٰهية يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

كما أوضح الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ اللهُ توحيد الربوبية وعرَّفه بقوله: «توحيد الربوبية، أعني رد الأمر كله له، من إضافة خلق العلوي من السماوات وما فيها، وتصريف شأنها وتدبير أمرها وملكها، والسفلي من الأرض ومن عليها وما فيها وإيجاد كل شيء سواه، وسوق الأرزاق والإحياء والإماتة، وتنظيم الكون على النظام الذي هو عليه من أول وجوده إلى نهايته، الجميع ملك لله يقر به كله المكلفون من مؤمن وكافر»[٣].

كما بيَّن هذا النوع من التوحيد: الشيخ عبدالله بن حميد رَحِمَهُ اللهُ

---

(١) كتاب التوحيد، ص(٥٤).

(٢) المصدر نفسه، ص(١٤، ١٥).

(٣) تيسير الوحيين، ص(٤٥).

حيث قال: «أما توحيد الربوبية فقد اعترف به المشركون الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ ولم يدخلهم في الإسلام، فهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المتصرف في هذا العالم بما تقتضيه حكمته وإرادته، ومجرد الاعتراف بهذا لا يكون به الإنسان مسلمًا، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[1].

كما أوضح الشيخ عبدالله خياط رحمه الله هذا النوع من التوحيد، فقال: «توحيد الربوبية، وهو توحيد الله بأفعاله مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الأمور وإنزال الغيث، ونحو ذلك، وهذا النوع أقرَّ به الكفار على عهد رسول الله ﷺ، ولم يُدخلهم في الإسلام، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾[2]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾[3]»[4].

وهذه المعاني التي ذكروها قد دلت عليها نصوص الوحي، بل إن القرآن الكريم قد حشد الأدلة الدالة على هذا النوع في أكثر من سورة، من بين ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[5]، وقوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ

(١) كتاب التوحيد، ص(٢٠).

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٨٤، ٨٥.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

(٤) اعتقاد السلف، ص(٦، ٧).

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[1].

وهذا يدل على أهمية هذا النوع من التوحيد، وإن كان لا ينازع فيه إلاَّ شذاذ البشرٍ، ولكن في الأزمنة المتأخرة تسرب الخلل إلى هذا النوع من التوحيد أيضا، كما تسرب إلى أخويه من قبل، فأصبح الناس وإن كانوا مقرِّين بتفرد الله ـ عز وجل ـ بالخلق والتدبير والضر والنفع والإعطاء والمنع؛ إلاَّ أنهم يغفلون عن ذلك فيظنون أن بيد البشر الرزق أو الضر أو النفع، وهذا خلل في توحيد الربوبية.

(١) سورة النمل، الآيات: ٦٠ ـ ٦٤.

المبحث الثاني
دلائل توحيد الربوبية

لهذا النوع من التوحيد دلالات كثيرة تدل على أن الله تعالى موجد متفرد بأفعاله، مثل: الخلق، والإحياء، والإماتة، وغير ذلك، فمن بين هذه الدلالات ما يلي:

١ـ دلالة الفطرة:

والفطرة يقصد بها: الخِلقة التي خلق الله البشر عليها، وهي الإسلام، كما دل على لك قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[١]، وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مولود يولد إلّا على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**»[٢].

ولذا نجد علماء البلد الحرام يذكرون هذه الدلالة على توحيد الربوبية، وأن الله ـ عز وجل ـ هو الخالق. كما قال الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رحمه الله: «يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية جبلّي، مفطور عليه المؤمن والكافر، كما نبّه الله عليه بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ﴾[٣]، وأن هذا ليس هو الذي دعت إليه الرسل أممهم، وأنه لا يفيد المقر به ما لم

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) تقدم تخريجه، ص(٥٤).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

يضم إليه إخلاص الدعاء لله الذي هو الدين والعبادة، كما سماه الله سواء في السراء والضراء مع الطاعة والانقياد له رغبة ورهبة دون من سواه من كل شيء إذ هذا لازم المربوب لربه وهذا هو الذي خلق الله له الإنس والجن وأنزل الشرائع وأرسل الرسل»[١]. وهو بهذا يوضح أن توحيد الربوبية أمر فطرت عليه قلوب العباد جميعًا.

كما بين ذلك الشيخ عبدالله بن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «توحيد الربوبية قد فطرت على قبوله والاعتراف به قلوب بني آدم فلم ينكره إلاَّ شذاذ قليلون من بني آدم، ففرعون القائل: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[٢]، والقائل: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[٣]، معترف في نفس الأمر بوجود الخالق الموجد لهذا العالم كما حكى الله عنه»[٤]. وهو بهذا يوضح أن قلوب بني آدم مفطورة على الإقرار بهذا التوحيد، ولا أدل على ذلك من اللجأ إلى الله عند حلول النوازل.

٢ـ دلالة الخلق والآفاق:

إن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم وصوره فأحسن صوره، ولو أمعن الإنسان النظر في نفسه، والكون من حوله؛ لظهر له ربوبية الله لهذا الكون وما فيه، ولذلك نجد أن علماء البلد الحرام قد استخدموا هذه الدلالة للاستدلال بها على وجود الله وربوبيته للكون وما فيه. كما وضح ذلك الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال مجيبًا على سؤال: بأي شيء يعرف الإنسان ربه؟ فقال: «بآياته ومخلوقاته فكل صنعة تدل على صانعها، والإنسان وحده من مصنوعات الله تعالى، فالله ربه الذي رباه وربىٰ جميع العالمين بإيجاده ونعمائه، ولأجل ربوبيته استحق

---

(١) تيسيرالوحيين، ص(٤٥، ٤٦).
(٢) سورة النازعات، الآية: ٢٤.
(٣) سورة القصص، الآية: ٣٨.
(٤) كتاب التوحيد، ص(٢٠).

العبادة»[١].

وممن قرر هذه الدلالة وذكرها: الشيخ أبوالسمح رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «في كل شيء من مخلوقات الله دلالة واضحة، وحجج ساطعة قاطعة على وجود الله وقدرته وسائر صفاته»[٢].

وعلى طريقهم سار الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقرير هذه الدلالة، فقال: «لما كان وجود هذه المخلوقات المادية والأفلاك السماوية والمخلوقات الذرية كلها تدل على وجود خالق عظيم لها اختلفوا في تعيينه، دعا الرسول ﷺ الناس إلى وحدانية ذلك الخالق لجميع المخلوقات سواء دُعي الله أو الرب أو الرحمن أو غير ذلك من الأسماء»[٣].

وممن جلىٰ هذه الدلالة وأوضحها: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث ذكرها في أكثر من كتاب من كتبه من بينها كتاب «أوضح البرهان في تفسير أم القرآن»، حيث قال: «ومنهم من كان لا يعرف خالق العالم، وينكر وجوده تعالى، ويعتقد أن الأشياء حادثة بنفسها، توجدها الطبيعة والمادة والدهر، وهم الدهريون والطبعيون والماديون والمنجمون كفرعون وأضرابه، والبلاشفة في هذه الأيام، وقد بيَّن الله ـ عز وجل ـ إثبات وجوده، ودل عليه بوجود مخلوقاته وعجائب مصنوعاته، كما فصله في آيات كثيرة كما قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية[٤]»[٥].

---

(١) ما لابد منه في أمور الدين، ص(١٦).
(٢) حياة القلوب، ص(٨٨).
(٣) أسمى الرسالات، ص(٢٤٥).
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.
(٥) أوضح البرهان، ص(٢٩، ٣٠).

كما تعرض لها في كتابه «حكم الله الواحد الصمد»[١]، و«تمييز المحظوظين»[٢].

ولكثرة دلالات هذا النوع من التوحيد لا تجد أحدًا ينكره إلاَّ شذاذ البشر، حتى فرعون القائل: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ كان مقرًّا في نفسه بوجود الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾[٣]، بل إنه قد أقر بتوحيد الإلـٰهية والعبادة حينما أدركه الغرق فقال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[٤].

وبهذا يتضح لناأن توحيد الربوبية أقرّ به كل الناس حتى المشركين، إلاَّ ما كان من شُذّاذ البشر.

وحينما نجيل النظر في القرآن نجد أنه قد اهتم بهذا النوع من التوحيد، وأطال الحديث عنه حتى إنه ذُكر في أكثر من سورة، وماذاك إلاَّ لأهميته وخطورة الخلل فيه، حتى إن القرآن نوّع في أساليب عرض هذا التوحيد فمرَّة يذكَّر بالخلق والإيجاد، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٥]

ومرَّة بالدعوة إلى النظر والتأمل والتفكر في الكون، وما فيه من عجائب خلق الله ـ عز وجل ـ، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[٦].

---

(١) انظر: ص(٦٦).

(٢) انظر: ص(٦٩).

(٣) سورة النمل، الآية: ١٤.

(٤) سورة يونس، الآية: ٩٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٦) سورة يونس، الآية: ١٠١.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾[١]، ومرة أخرىٰ يدعو إلىٰ النظر في ما يجري في الكون والإنسان من تغير وتحول من طور إلى طور كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾[٣].

والخلل الذي وقع في هذا النوع، هو من باب التشريك كما فعلت المجوس حينما قالوا بالأصلين «النور والظلمة»، وكذلك فعلت الثنوية حينما زعموا أن النور والظلمة خالقان، لكنهم خالفوا المجوس بقولهم أن النور والظلمة أزليان قديمان.

وممن وقع منه الخلل في هذا التوحيد: الرافضة حينما زعموا أن الدنيا والآخرة للإمام، يتصرف فيها كيف يشاء، وكذلك الصوفية الذين يدعون لأوليائهم التصرف في الأكوان، وكذلك القدرية الذين سموا مجوس هذه الأمة.

والإخلال بهذا التوحيد واقع منذ القدم حينما قالت النصارى بالتثليث، وهذه انحرافات خطيرة في توحيد الربوبية الذي هو نوع من أنواع التوحيد الثلاثة المتلازمة المترابطة، فإن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، ومن هنا نلاحظ أن أنواع التوحيد مترابطة، فكل نوع منها يستدعي الآخر، كما تقدم بيانه في نهاية هذه الفصول.

---

(١) سورة الغاشية، الآيات: ١٧ ـ ٢٠.
(٢) سورة الإنسان، الآيتان: ١ ـ ٢.
(٣) سورة فاطر، الآية: ١١.

الفصل الثاني
توحيد الألوهية

وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: **تعريفه.**

المبحث الثاني: **أهميته.**

المبحث الثالث: **معنى كلمة التوحيد.**

المبحث الرابع: **شروط لا إله إلاَّ الله.**

المبحث الخامس: **مفهوم العبادة.**

المبحث السادس: **بعض الأمور التي تنافي أصل التوحيد.**

أ ـ نداء الأموات والاستغاثة بهم.

ب ـ الذبح لغير الله.

جـ ـ النذر لغير الله.

المبحث السابع: **بعض الأمور التي تنافي كمال التوحيد.**

أ ـ تعليق التمائم والأوتار.

ب ـ التبرّك بالأحجار والأشجار.

جـ ـ الحلف بغير الله.

و ـ قول ما شاء الله وشئت.

المبحث الثامن: **مبحث التوسل.**

المبحث التاسع: **شُبه حول التوسّل والجواب عنها.**

المبحث العاشر: **الشفاعة.**

تمهيد

إن توحيد الألوهية هو الأساس في دعوة الأنبياء والمرسلين، وعليه قامت دعوتهم، وبه نادت رسالاتهم، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(١)، ولقد بذل رسل الله وأنبياؤه الغالي والنفيس من أجل إيضاح هذا التوحيد أتم الوضوح، واعتنوا به أشد العناية، وذلك لأنه القاعدة الصلبة لرسالاتهم، وهو الذي من أجله خلق الله الخلق، وخلق الجنة والنار، وقامت سوق الجهاد. ولكون هذا النوع من التوحيد بهذه المثابة والمكانة فقد اعتنى به علماء الإسلام من أهل السُّنَّة والجماعة في القديم والحديث، ومن هؤلاء العلماء علماء البلد الحرام الذين أَوْلَوا هذا التوحيد اهتمامًا كبيرًا فصنفوا فيه المصنفات وكتبوا من أجله الرسائل وتعرضوا له في ثنايا كتبهم وقاموا بالدفاع عنه والذود عن حياضه فألَّفوا رسائل في الرد على من نال منه أو قصر في تحقيقه أو أخل بشيء منه، بل تكاد تقتصر كتاباتهم العقدية على هذا الجانب إلاَّ ما ندر.

وسوف أعرض في هذا الباب جملة من قضايا هذا التوحيد التي عالجوها وبعض المسائل المتعلقة به.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

المبحث الأول
تعريفــــه

لقد تناول علماء البلد الحرام هذا النوع من التوحيد بالتعريف والإيضاح، كما قام غيرهم من علماء أهل السُّنَّة والجماعة، فقال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ في إجابة تساؤل طرحه «ما هو توحيد الألوهية أو الإلٰهية؟».

فقال في إجابته عن هذا التساؤل: «إفراده تعالى بالعبادة والتألّه والخضوع والذل والحب والافتقار والتوجه إليه بالدعاء والطلب، ويقال له ـ أيضًا ـ: توحيد العبودية، أو العبادة، ويسمىٰ ـ أيضًا ـ التوحيد العملي الإرادي»[1]، وهو بهذا يبين لنا حقيقة توحيد الألوهية، وأنه مرتكز على الخضوع مع الذل والحب وهذه الأمور الثلاثة هي أساس توحيد الألوهية ومنطلقات أفعال العباد، فمن جنح وعبدالله بواحد من هذه الأمور فقد جانب الصواب.

كما أننا نلاحظ أنه ذكر أكثر من مسمى لهذا التوحيد، فهو توحيد العبادة وتوحيد الألوهية والتوحيد العملي الإرادي وتوحيد القصد، ومهما اختلفت الأسماء فالحقيقة واحدة، بل إنه تعرض لتعريف هذا التوحيد في أكثر من كتاب من كتبه منها «فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال»[2].

وعلى منواله سار الشيخ أبوالسمح رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال في تعريفه لهذا النوع من التوحيد: «توحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادة»[3].

---

(١) ما لابد منه في أمور الدين، ص(٢٣).
(٢) انظر: ص(٥، ٦).
(٣) حياة القلوب، ص(٣٦).

وفيما ذكره بيان حدّ هذا التوحيد وهو إفراد الله بجميع أنواع العبادة من صلاة وزكاة وصيام وحج ونذر وذبح وخوف ورجاء ورهبة ورغبة وتوكل ودعاء وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله ـ سبحانه وتعالى ـ. ومن صرف نوعًا من أنواع العبادة فقد وقع في الشرك بالله، كما بين رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذا التوحيد هو الحكمة التي من أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وفيه انقسم الناس إلى فريقين موحد ومشرك.

وقال بهذا التعريف وما يقاربه في المعنى جل علماء البلد الحرام منهم: الشيخ «عبدالحميد الخطيب»(١)، و«محمد سلطان المعصومي»(٢)، و«محمد بن عبدالعزيز المانع»(٣)، و«عبدالرحمن بن يحيى المعلمي»(٤)، و«محمد مخدوم»(٥)، و«محمد المرزوق الفلاّني»(٦)، و«عبدالعزيز بن راشد النجدي»(٧)، و«سليمان بن عبدالرحمن الحمدان»(٨)، و«عبدالله بن حميد»(٩)، و«عبدالله خياط»(١٠) ـ رحمهم الله تعالى ـ.

وهم بذلك سائرون على ما سار عليه سلفهم من العلماء ـ رحمهم الله ـ في تعريف هذا النوع من التوحيد.

وهذا التوحيد له مسميات كثيرة فيقال له: توحيد العبادة وتوحيد

---

(١) جوهر الدين، ص(٤).
(٢) تمييز المحظوظين، ص(٤١)، أوضح البرهان، ص(١٢١، ٢٠٢).
(٣) القول السديد، ص(٥)، الكواكب الدرية، ص(٧).
(٤) العبادة، لوحة (٤٨٠).
(٥) الردود اللامعة، ص(٩).
(٦) السيف القاطع للنزاع، ص(١٠، ١٥)، والسيف المسلول، ص(١١)، وكتاب التوحيد، ص(٥).
(٧) تيسير الوحيين، ص(٤٦).
(٨) الدر النضيد، ص(٨).
(٩) كتاب التوحيد، ص(٢١).
(١٠) اعتقاد السلف، ص(٧).

الألوهية، فتوحيد الألوهية باعتبار إضافته لله سبحانه وتعالى فهو المستحق للتأله والتعبد، ويقال له: توحيد العبادة باعتبار أفعال العباد التي يتقربون بها إلى الله من صلاة وزكاة وصيام وحج وغير ذلك، ويقال له: توحيد الإرادة، لأنه مبني على إرادة وجه الله تعالى بالأعمال، وتوحيد القصد لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده، وتوحيد العمل لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده[١].

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص(٢٢).

المبحث الثاني
أهميـة التوحيـد

توحيد الألوهية هو أهم أنواع التوحيد، وهو الغاية من خلق الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾(١)، قال ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ يعبدون: أي: يوحّدون(٢).

ومن أجله قامت سوق الجهاد وفُرّق بين المؤمنين والكافرين.

ولقد بيّن علماء البلد الحرام أهمية هذا التوحيد، وأنه أعظم أنواع التوحيد الثلاثة، حيث قال الشيخ محمد عبدالظاهر أبوالسمح رحمه الله، حيث ذكر في بيان أن رسل الله جاءت داعية لهذا التوحيد: «وهو الذي جاءت به الرسل كلهم ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ، وفيه وقع الخلاف بينهم وبين قومهم، وانقسم فيه الناس قديمًا وحديثًا إلى قسمين، واختلفوا فريقين فمنهم من آمن ومنهم من كفر»(٣).

وقال في موضع آخر: «اعلم وفقني الله وإياك أن الله تعالى ما أنزل الكتب ولا أرسل الرسل إلاَّ ليُعبد وحده وألا يُعبد إلاَّ بما شرع»(٤). وهو بهذا يبين لنا بعضًا من الحكم التي من أجلها أنزل الله الكتب وأرسل الرسل، ألا وهو هذا التوحيد.

وقال ببيان هذه الأهمية لهذا التوحيد جل علماء البلد الحرام، منهم الشيخ محمد بن سلطان المعصومي رحمه الله، حيث قال بعد عرض مطوّل لآيات الكتاب العزيز المتحدثة عن هذا التوحيد: «فكل هذه

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) تنور المقباس من تفسير ابن عباس ص(٥٥٧).

(٣) حياة القلوب، ص(٣٦).

(٤) الأولياء والكرامات، ص(٦٠).

الآيات وغيرها تدلّ دلالة ظاهرة على أن أُسّ الأساس هو توحيد العبادة وإخلاص العمل لله رب العالمين، وإن عبد غيره أو اعتمد وتوكّل على غيره فهو من الهالكين، فتدبروا أيُّها العقلاء، وتفكّروا يا أيها النبلاء»[١]. بل إننا نجده قد تعرّض لبيان أهمية التوحيد في أكثر كتبه، منها على سبيل المثال: «مفتاح الجنة» فقد تعرّض له في هذا الكتاب في أكثر من موطن[٢].

ولعلَّ أوضح من جلَّى هذه الأهمية: الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث لخَّص أهمية هذا التوحيد في جملة من النقاط على النحو التالي:

«١ ـ إن توحيد العبادة هو الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[٣]، حصرت هذه الآية خلق الجن والإنس في غاية العبادة لأن الاستثناء من أعم العلل أي لا سبب لخلق الله لهم إلاَّ إرادة أن يعبدوه»[٤].

٢ ـ أنه أساس الإسلام وأساس جميع الشرائع الحقة، قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[٥]»[٦].

٣ ـ أنه معنى لا إله إلاَّ الله، إذ الجهل بها يلزم به الجهل بمعنى لا إله إلاَّ الله[٧].

٤ ـ أن الجاهل بمعنى لا إله إلاَّ الله يكون جاهلاً بحقيقة التوحيد، ومن

---

(١) أوضح البرهان، ص(٢٠١).
(٢) انظر: ص(٧٣، ٤٩، ٨١).
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٤) التبرك، لوحة (١٥٢).
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.
(٦) العبادة، لوحة (٢).
(٧) المصدر نفسه، لوحة (٢).

كان كذلك يخشى عليه أن يكون مشركًا وهو لا يشعر وأن يعرض له الشرك فيقبله وهو لا يدري، أو أن يرمي غيره من المسلمين بالشرك بغير بينة، وكلا الأمرين خطره شديد، وأمر الشرك ـ نعوذ بالله منه ـ لا هوادة فيه لأحد. قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(1) »(2).

ومما يدل على أهمية توحيد الألوهية: أن قبول الأعمال متوقف عليه، وأنه النوع الذي يتضمن بقية أنواع التوحيد، وحينما نتأمل القرآن، نجد أنه يدور على تقرير هذا التوحيد وبيانه، فهو إما أمر بحق من حقوقه، أو نهي عن ضده، أو بيان جزاء من حققه في الدنيا والآخرة، أو عقوبة من حاد عن تحقيقه في الدنيا والآخرة.

---

(1) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(2) العبادة، لوحة (٢٤).

المبحث الثالث
معنى كلمة التوحيد

إن كلمة التوحيد «لا إله إلاَّ الله» هي أساس الدين وحصنه الحصين، وهي الصراط المستقيم والعُروة الوثقىٰ، وقد دلَّت نصوص الكتاب والسنة على ذلك، فهي مفتاح الإسلام كما قال ﷺ: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلَّا الله**»[(١)]، وهي أول واجب وآخر واجب على المكلف كما قال ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلَّا الله دخل الجنة**»[(٢)]، وغيرها من الفضائل التي تعد ولا تحصىٰ.

وقد تنازع الناس في معنى كلمة الإخلاص قديمًا وحديثًا، فقال المتكلمون: أن معناها: لا خالق إلاَّ الله[(٣)]، أو لا قادر على الاختراع إلاَّ الله، والمشركون وهم مشركون كانوا يقولون إن الله هو الخالق ومع ذلك لم يدخلوا في الإسلام بهذا الإقرار، وهذا مما يبين فساد قول المتكلمين لأنه لو كان معنى «لا إله إلاَّ الله» لا خالق إلاَّ الله؛ لدخل المشركون في دائرة الإسلام، والصواب الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة منذ القدم وإلىٰ الآن أن معنى «لا إله إلاَّ الله» لا معبود بحق إلاَّ الله، وبهذا القول قال علماء البلد الحرام، وعلى رأسهم الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللهُ حيث

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: «فإن تابوا وأقاموا الصلاة» حديث رقم (٢٥) الفتح (١/ ١٠٢)، ورواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: «الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلاَّ الله» (١/ ٢٠٠)، وأبوداود في كتاب الجهاد باب «على ما يُقاتل المشركون» حديث رقم (٢٦٣٧) (٤/ ٢١٦).

(٢) رواه أبوداود في كتاب الجنائز، باب التلقين، حديث رقم (٣١١٤)، (٤/ ٢٦٧)، والحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء (١/ ٦٧٨) حديث رقم (١٨٤٢)، ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٤٧٩).

(٣) اشتقاق أسماء الله تعالى للزجاج ص(٢٦).

قال: «ومعناها ـ يعني كلمة التوحيد «لا إله إلاَّ الله» ـ إفراده بالإلٰهية والعبادة، والنفي لما يُعبد من دونه والبراءة منه، فلو قال: لا رب إلاَّ الله لما أجزأه عند المحققين»[١]، وهذا بيان منه لمعنى كلمة التوحيد، وأنها قائمة على ركنين عظيمين هما: الإثبات والنفي، «فلا إله» نفي الألوهية والعبودية عن غير الله، «إلاَّ الله» إثبات بأن الله هو المستحق للألوهية والعبودية، والإنسان إذا قال «لا إله إلاَّ الله» بمعنى: لا معبود إلاَّ الله فإن هذا فيه إجمالٌ ولابد من تقييده بقول: لا معبود بحق إلاَّ الله، فإن الآلهة المنتشرة بين الناس هي معبودات لهم ولكنها من المعبودات بالباطل.

وبنحو قوله قال الشيخ أبوالسمح رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما المعنى الصحيح لعبارة «لا إله إلاَّ الله» فهو لا معبود بحق إلاَّ الله»[٢]. وهذا بيان منه للمعنى الحق لكلمة التوحيد والذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة.

وعلى طريقتهم ومنهجهم سار من جاء بعدهم من علماء البلد الحرام أمثال الشيخ: محمود شويل رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال مبينًا معنى كلمة التوحيد: «معنى لا إله إلاَّ الله» نفي الألوهية عن كل مخلوق، وإثباتها لله تعالى وحده»[٣]. وهو بهذا يبين ركني الشهادة التي هي النفي في قوله: «لا إله»، والإثبات في قوله: «إلاَّ الله»، فـ«لا إله»: نفت الألوهية عن كل ما سوى الله، «إلاَّ الله» أثبت الألوهية لله وحده، وهذا الأسلوب هو أسلوب القصر وهو أسلوب عربي معروف، والقصر واضح في النفي والاستثناء الوارد في كلمة التوحيد.

وممن أوضح معنى كلمة التوحيد: الشيخ محمد بن سلطان المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «فمعنى لا إله إلاَّ الله: لا معبود بحق إلاَّ الله، لأن الإله هو المعبود المطاع، فإن الإله هو المألوه الذي يستحق أن

---

(١) ما لابد منه في أمور الدين، ص(٢٦).
(٢) حياة القلوب، ص(٣٦).
(٣) كشف تلبيس إبليس، ص(٢).

يُعبد، وكونه يستحق هو بما اتصف من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع»[(١)].

وهنا نلاحظ أن الشيخ المعصومي ذكر معنى الإله وأنه هو المعبود المطاع الذي تألهه القلوب محبة وخوفًا ورجاءً، وذلك لما اتصف به من صفات الكمال.

وممن أوضح معنى هذه الكلمة ـ أيضًا ـ: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: مبينًا معنى الإيمان بالله: «ومعنى الإيمان بالله أن تعتقد أنه هو الإله المعبود الذي لا يستحق العبادة أحد سواه»[(٢)]. وقال في موطن آخر في بيان معنى كلمة التوحيد: «معنى لا إله إلاَّ الله: لا معبود بحق إلاَّ الله «لا إله» نفي، «إلا الله» إثبات، والمعنى أنها تنفي الألوهية عما سوى الله وتثبت العبادة لله وحده لا شريك له، و«وحده» تأكيد للإثبات، و«لا شريك له» تأكيد للنفي»[(٣)].

وممن أوضح معنى كلمة التوحيد ـ أيضًا ـ: الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي رَحِمَهُ اللهُ، حيث بيَّن معنى الإله فقال: «فإن أصح الأقوال في تفسير «إلٰه» قولهم: «معبود، أو معبود بحق»، ثم أخذ يبين أهمية كلمة التوحيد، ومعنى هذه الكلمة فقال: «وأما الإله فهو المعبود، فمن عبد شيئًا فقد اتخذه إلهًا وإن لم يزعم أنه مستحق للعبادة، ومن زعم في شيء أنه مستحق للعبادة فقد عبده بهذا الزعم لأنه يتضمن خضوعًا من شأنه أن يطلب به نفعًا غيبيًا وبذلك جعله إلهًا.. إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: «فشهادة أن لا إله إلاَّ الله بلفظها تنفي أن يكون أحد غير الله ـ عز وجل ـ مستحقًا للعبادة، وتتضمن بمعونة القرائن الالتزام بأن لا يُتخذ غير الله

(١) مفتاح الجنة، ص(٦٢، ٦٣).
(٢) القول السديد، ص(٥).
(٣) القول السديد، ص(٧).

ـ عز وجل ـ معبودًا»[(١)]، وهذا بيان منه لمعنى كلمة التوحيد الذي ينبغي السير عليه والأخذ به، فإن كلمة «إله» معناها: مألوه أي: معبود لا كما يزعم من يزعم أن معناها: خالق.

وعلى هذا المنهج في تفسير كلمة التوحيد سار الشيخ: محمد الفلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال مبينًا معنى كلمة التوحيد: «معناها: لا معبود في السموات ولا في الأرض بحق إلاَّ الله»[(٢)]، وهذا التفسير هو الذي عليه أكثر العلماء، إذ أنهم يرون أنه لابد من إضافة كلمة بحق، وهذا القيد: احتراز من المعبودات الموجودة في الأرض والسماء ـ كما تقدم ـ لأنها معبودات بالباطل، أما المعبود بحق فهو الله سبحانه وتعالى، ومن هنا يتضح لنا فائدة هذا القيد.

وممَّن سار على هذا المنهج في تفسير كلمة التوحيد الشيخ سليمان الحمدان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «أما من زعم أن الإله القادر على الاختراع أو الغني عمَّا سواه، الفقير إليه كل ما عداه، ونحو ذلك، فهذا من لوازم الإلـٰهية، وليس هو المراد بمعنى «لاإله إلاَّ الله»؛ لأن معناها لا معبود بحقٍّ إلاَّ الله، فما أجهل عبَّاد القبور! وما أعظم ما وقعوا فيه من الشرك المنافي لكلمة الإخلاص»[(٣)].

وممن فسر كلمة التوحيد بنحو التفسير السابق: الشيخ عبدالله بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال مبينًا معنى كلمة «إله»: «ومعنى الإله هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع، فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وغيرهم، لم

---

(١) العبادة، لوحة (٤٨٠).
(٢) كتاب التوحيد، ص(١٠).
(٣) الدر النضيد ص(٢٥).

يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث به رسول الله ﷺ، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين»[١]. و هذا بيان منه لمعنى «لا إله إلاَّ الله» عند السلف، ورد على تفسير المتكلمين لهذه الكلمة إذ أنهم يرون أن معنى الإله: هو القادر على الاختراع[٢]، وهذا جنوح في تفسير الإله لأنه لو كان تفسير الإله بمعنى: القادر على الاختراع أو الخالق لدخل المشركون في الإسلام، وذلك لأنهم كانوا مقرين بأن الله هو الخالق، ومع ذلك لم يدخلوا في الإسلام، وهذا كافٍ في بطلان مذهب المتكلمين في تفسير كلمة إله.

وممن فسر كلمة الإله بالمعبود المطاع: الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في معرض حديثه عن معنى كلمة «الإله»: «إذ معنى الإله بلغة العرب هو المحبوب المطاع طاعة عمياء، والمعبود بالتعظيم المطلق لسر غيبي فيه وَهْمًا أو حقيقة رغبة في مدده أو فرارًا من غضبه»[٣]. وهذا بيان منه لمعنى الإله، وأن معناه المعبود. وقال في موضع آخر: «وإنما الإله الذي يستحق الألوهية والعبودية هو الذي أعطى كل مخلوق تركيبته وصورته، وخلقه الذي كونه عليه، وهداه لمصالحه ورزقه»[٤].

وممن أوضح معنى كلمة التوحيد: «الشيخ عبدالله خياط رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «معنى «لا إله إلاَّ الله» نفي الألوهية عن غير الله، وإثبات الألوهية لله وحده قال تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾[٥]، ثم أخذ يبين معنى الإله فقال: «والإله كما قال المحققون من العلماء في تعريفه:

---

(١) كتاب التوحيد، ص(٢٦).
(٢) اشتقاق أسماء الله تعالىٰ «الزجَّاج» ص(٢٦، ٢٧). وبدائع الفوائد (١/ ٢٢).
(٣) تيسير الوحيين، ص(٥٨).
(٤) المصدر نفسه، ص(٦٠).
(٥) سورة الحج، الآية: ٣٤.

هو الذي يطاع فلا يعصىٰ هيبة منه، وإجلالاً ومحبة له، وخوفًا منه، ورجاء لما عنده، وتوكلاً عليه، وسؤالاً ودعاءً له، ولا يصح شيء من هذه الأمور إلاَّ لله ـ عز وجل ـ، فمن أشرك مخلوقًا من المخلوقات في شيء من هذه الأمور مع الله كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول: «لا إله إلاَّ الله»، ثم أخذ يستطرد في بيان معنى كلمة النفي «لا إله» إلىٰ أن وصل إلىٰ معنى كلمة الإثبات «إلاَّ الله» فقال: ««إلا الله»: وهو الذي يحصر الألوهية في الإله الحق الذي يستحق أن يعبد فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، وهو الله سبحانه وتعالىٰ»[١].

ومن خلال ما سبق تقريره من كلام علماء البلد الحرام يتضح لنا أن كلمة التوحيد «لا إله إلاَّ الله» تحتوي على ركني النفي والإثبات فكلمة «لا إله» نفي لكل ما سوى الله من الآلهة المدَّعاة»، «إلا الله» إثبات للمعبود بحق وهو الله، فكل معبود في الوجود غير الله فإنما هو معبود بالباطل.

وهذا الذي قرره علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ هو ما قرره سلفهم من قبل من أهل السُّنَّة والجماعة، أمثال: ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في تفسيره لآية الكرسي في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[٢]: «أي: لا إله سواه، لا معبود سواه، يعني ولا تعبدوا شيئًا سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم»[٣] ونقل عن ابن عباس أنه قال في تفسير لفظ الجلالة «الله»: «ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين»[٤].

وقال البغوي في تفسير لفظ الجلالة «الله»: «معناه أنه مستحق للعبادة دون غيره»[٥].

---

(١) دليل المسلم في الاعتقاد، ص(٢٦، ٢٧، ٢٨).
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (٣/٦).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٨٢).
(٥) معالم التنزيل للإمام البغوي (١/ ٥٠).

ومن خلال ما سبق ذكره عن علماء البلد الحرام في تفسير كلمة التوحيد، مع ما جاء عن علماء السلف ـ رحمهم الله ـ في تفسير لفظ الجلالة «الله»، وأن معناه المعبود المستحق للعبادة يتضح لنا أن كلام علماء البلد الحرام في شرح كلمة التوحيد هو نفس ما جاء عن علماء السلف في بيان معنى لفظ الجلالة.

وسوف يتضح لنا معنى كلمة التوحيد عند كلام السلف عن مفهوم العبادة في المبحث القادم ـ إن شاء الله تعالى ـ.

المبحث الرابع
شروط لا إله إلاَّ الله

إن المتأمل في النصوص الواردة في فضل كلمة «لا إله إلاَّ الله» وما لها من شأن، يجد أن هذه النصوص حملت في طياتها شروطًا وضوابط لابد من تحقيقها، وهذه الشروط هي بمثابة الأسنان للمفتاح كما قال ذلك وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ حينما سئل: أليس «لا إله إلاَّ الله» مفتاح الجنة؟ قال: بلىٰ، ولكن ليس مفتاح إلاَّ له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلاَّ لم يفتح لك[١]، وهذه الشروط لا تصح كلمة التوحيد إلاَّ بها، فمن استكملها والتزم بها نال الفضل المترتب على تلك النصوص.

ولقد أجاد الشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ اللَّهُ حينما نظم هذه الشروط بقوله:

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقًا وردت
فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلاَّ حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبه[٢]

وتفصيل هذه الشروط وأدلتها كما يلي:

١ ـ **العلم**، والمراد به: معرفة معناها نفيًا وإثباتًا وهو المنافي للجهل قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾[٣]، وعن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا في كتاب الجنائز، باب: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله» (١٠٩/٣) فتح، ووصله في تاريخه (٩٥/١)، وأبونعيم في الحلية (٦٦/١)، كما ذكره البغوي في شرح السنة (٤٧/١).

(٢) معارج القبول (٤١٨/٢).

(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.

مات وهو يعلم أنه لا إله إلَّا الله دخل الجنة»[١]

٢ ـ **اليقين المنافي للشك**، والمراد به: أن يكون القائل مستيقنًا بمدلول هذه الكلمة جازمًا لا يداخله ريب ولا شك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾[٢]، أي لم يشكوا فإن الشك من صفات المنافقين، واليقين من صفات المؤمنين، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلَّا دخل الجنة»**[٣].

٣ ـ **القبول المنافي للرد**، والمراد به: قبول ما اقتضته هذه الكلمة بالقلب واللسان، قال الله تعالىٰ مخبرًا عن حال كفار قريش: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾[٤].

٤ ـ **الانقياد المنافي للترك**، والمراد به: أن يكون منقادًا لما دلَّت عليه هذه الكلمة ظاهرًا وباطنًا مسلِّمًا لأحكام الله وأحكام رسوله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[٥].

٥ ـ **الصدق المنافي للكذب**، والمراد به: أن يتواطأ القلب واللسان على القول بهذه الكلمة فيصدق قلبه لسانه، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[٦]، وعن معاذ بن

---

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب: «الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة» (١/ ٥٠) ح(٢٦).

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: «من لقي الله بالشهادتين دخل الجنة» (١/ ٢٢٤).

(٤) سورة الصافات، الآيتان: ٣٥، ٣٦.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٦) سورة العنكبوت، الآيات: ١ ـ ٣.

جبل ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلَّا حرمه الله على النار**»[(١)].

٦ ـ **الإخلاص المنافي للشرك والرياء**، والمراد به: تصفية العمل وتخليصه لله وحده دون سواه، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[(٣)]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلَّا الله خالصًا من قلبه، أو نفسه**»[(٤)].

٧ ـ **المحبة المنافية للبغض**، والمراد بها: محبة هذه الكلمة وأهلها العاملين بها، ومحبة ما دلَّت عليه، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار**»[(٥)]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**»[(٦)]، وفي حديث أنس: «**حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[(٧)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب: «من خص بالعلم قومًا دون قوم» (١/ ٣٠٠).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٣) سورة البينة، الآية: ٥.

(٤) رواه البخاري في كتاب العلم، باب: «الحرص على الحديث» (١/ ٢٥٧).

(٥) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: «حلاوة الإيمان» (١/ ٨٢)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: «خصال الإيمان» (٢/ ١٣).

(٦) رواه البخاري، في كتاب الإيمان، باب: «حب الرسول من الإيمان» (١/ ٨٠) حديث رقم (١٤).

(٧) رواه البخاري،في كتاب الإيمان، باب: «حب الرسول من الإيمان» (١/ ٨٠) حديث=

والدليل الذي استند إليه العلماء في ذكر هذه الشروط هو الاستقراء والتتبع لنصوص الوحي، وحينما يستقريء الإنسان النصوص الواردة في فضل «لا إله إلاَّ الله» يجد أن هناك شرطًا ثامنًا ألا وهو: الموافاة عليها، وذلك لقوله ﷺ: **«من كان آخر كلامه لا إله إلاَّ الله دخل الجنة»**[١].

وحين التأمل فيما كتبه علماء البلد الحرام نجد أنهم ذكروا بعض هذه الشروط كما أوضح ذلك الشيخ «محمد سلطان المعصومي» رحمه الله حيث قال: «ولا إله إلاَّ الله هي كلمة الإخلاص المنافية للشرك، وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك بالله، ولكن لا تنفع قائلها عند الله وفي دار الآخرة إلاَّ بشروط:

الأول: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا.

الثاني: اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشك.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك»[٢].

كما قال في موضع آخر مبينًا أهمية الإخلاص في هذه الكلمة: «فقد شُرِط لقبول هذه الكلمة ونفعها عند الله تعالى كون القائل مخلصًا ومعتقدًا لألوهية ربه»[٣].

كما ذكر رحمه الله بعض الشروط إجمالاً بقوله: «ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب والإذعان لها ومحبتها ومحبة أهلها وبُغض ما خالفها ومعاداته»[٤].

= رقم (١٥)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: «وجوب محبة الرسول ﷺ» (٢/ ١٥).

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٣٣)، (٢٤٧)، عن صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرَّة عن معاذ بن جبل، وصالح وثقه ابن حبان، ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٣) و(٦٧٨) وقال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) مفتاح الجنة، ص(٦٢، ٦٣).

(٣) المصدر نفسه، ص(٣١).

(٤) المصدر السابق، ص(٣٨).

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الشيخ المعصومي ذكر نفس الشروط التي دلَّت عليها نصوص الوحي وذكرها علماء الإسلام من قبل، والشروط التي ذكرها يمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ العلم.

٢ ـ اليقين.

٣ ـ الإخلاص.

٤ ـ الانقياد: وهو ما عبَّر عنه بقوله: «الإذعان لها، والإذعان معناه: الانقياد والاستسلام».

٥ ـ المحبة: وهي ما عبَّر عنها بقوله: «ومحبتها ومحبة أهلها».

٦ ـ الصدق: وهو ما عبر عنه بقوله: «ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب»، وهو معنى التصديق إذ المراد بالتصديق مواطأة القلب للسان.

ومن هنا نلاحظ أن الشيخ «محمد سلطان المعصومي» رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر ستة شروط من شروط لا إله إلاَّ الله، ونلاحظ أنه لم يذكر شرط القبول، وذلك لأن شرط القبول يدخل ضمنًا في شرط الانقياد.

وممن أوضح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلاَّ الله» تمام الإيضاح الشيخ «عبدالرحمن بن يحيى المعلمي» رَحِمَهُ اللَّهُ حيث ذكرها قائلاً:

«١ ـ أن يكون على سبيل الاعتراف للقطع بأن المشرك إذا نطق بها حكاية عن غيره لا يعتد بذلك.

٢ ـ العلم بمضمونها، قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[(١)]، وفي صحيح مسلم عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: من مات وهو يعلم أنه لا إله إلاَّ الله دخل الجنة»[(٢)]، ومعنى العلم

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) سبق تخريجه ص(١١٠).

علم الشخص ذاته، فالتقليد لا يكفي في أمور العقيدة»[١].

٣ ـ التصديق: ودليله عن معاذ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلّا الله صدقًا من قلبه إلّا حرمه الله على النار**»[٢].

٤ ـ ومنها التسليم، ويعبر عنه بالرضا، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[٣].

٥ ـ أن يكون النطق على سبيل الالتزام، أي: أن يعمل طوال عمره بمضمون كلمة التوحيد ولا يخالفها، وأدلته أكثر من أن تحصى، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[٤].

٦ ـ استمرار حكمها، لئلا يحدث من صاحبها ما يخل بموجبها»[٥].

ومن خلال ما سبق نجد أن المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر الشروط التالية:

١ ـ **العلـــم**.

٢ ـ **الصدق**: وهو الذي عبَّر عنه بالتصديق.

٣ ـ **الانقياد**: وعبَّر عنه بقوله: التسليم، ويعبَّر عنه بالرضا.

٤ ـ **الموافاة عليها**: وعبَّر عنها بقوله: «استمرار حكمها لئلا يحدث من صاحبها ما يخل بموجبها».

٥ ـ **اليقين**: وعبَّر عنه بقوله: «أن يكون على سبيل الاعتراف للقطع» لأنه إذا قالها وهو شاك ومتردد، فإنه لا يقبل منه.

---

(١) العبادة، لوحة (٣٨).

(٢) رواه البخاري، في كتاب العلم، باب: «من خص بالعلم قومًا دون غيرهم» (١/ ٣٠٠).

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٥) العبادة، لوحة (٣٨).

٦ ـ **القبول**: وعبَّر عنه بقوله: «أن يكون النطق على سبيل الالتزام أن يعمل طول عمره بمضمون كلمة التوحيد ولا يخالفها»، ومعلوم أن معنى القبول هو مواطأة القلب للسان.

وهو بذلك ذاكر لبعض الشروط فقط، بينما نجده لم يذكر شرطي المحبة والإخلاص.

وممن ذكر هذه الشروط من علماء البلد الحرام: الشيخ محمد الفلاني رحمه الله، حيث قال في جوابه عن سؤال: «هل تنفع لا إله إلاَّ الله قائلها يوم القيامة مطلقًا أو بشروط؟». فقال رحمه الله مجيبًا على هذا التساؤل: «تنفعه يوم القيامة بشروط لا على إطلاقها»، ثم أخذ يبين هذه الشروط بقوله: «الاعتقاد بها في القلب، والتلفظ بها للقادر، ومعرفة معناها، والإخلاص لله بها، والكفر بكل ما يُعبد من دون الله»[1].

ونلاحظ أن الشيخ محمد الفلاني رحمه الله ذكر الشروط التالية:

١ ـ **الإخــلاص**.

٢ ـ **العلم**: وعبَّر عنه بقوله: «معرفة معناها».

٣ ـ **الكفر بكل ما يُعبد من دون الله**.

٤ ـ **اليقين والتصديق**: وعبَّر عنه بقوله: «الاعتقاد بها في القلب، والتلفظ بها للقادر».

ومن خلال ما سبق ذكره من كلام علماء البلد الحرام يتضح لنا أنهم لم يختلفوا في ذكر شروط كلمة التوحيد «لا إله إلاَّ الله»، وإنما كان اختلافهم في التعبير عنها وإدخال بعض الشروط في بعضها الآخر.

وإن كان مؤدى الكلام واحدًا، وهم بهذا سائرون على ما سار عليه سلفهم رحمهم الله في ذكر هذه الشروط.

---

(١) كتاب التوحيد، ص(٣٧، ٣٨).

المبحث الخامس
مفهوم العبادة

ومن مسميات توحيد الألوهية: توحيد العبادة، إذ مداره على الفهم الصحيح لمفهوم العبادة، وبيان حدها، وتسمية هذا التوحيد بتوحيد العبادة تسمية معروفة عند السلف ـ رحمهم الله ـ، ولما كانت العبادة هي لبَّ التوحيد وأساسه، كان لزامًا التعرض لها، وقبل الخوض في بيان مفهوم العبادة عند علماء البلد الحرام يحسن بنا أن نذكر نبذة موجزة عن تعريف العبادة في اللغة والاصطلاح.

تعريف العبادة لغة: قال الراغب: «العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل»(١)، وقال الجوهري: «أصل العبودية: الخضوع والتذلل»(٢).

والعبادة من حيث تعلقها بعموم الخلق وخصوصهم تنقسم إلى قسمين:

١ ـ العبادة العامة: وهي عبادة الملك والقهر وتشمل جميع المخلوقات في السموات والأرض، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾(٣)، وقال تعالى في بيان عبودية السموات والأرض: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾(٤).

٢ ـ العبادة الشرعية: وهي عبادة الذل والخضوع، وهي خاصة

---

(١) المفردات في غريب القرآن (٢/ ٤١٥) مادة «عبد».
(٢) لسان العرب (٣/ ٢٧١) مادة «عبد».
(٣) سورة مريم، الآية: ٩٣.
(٤) سورة فُصلت، الآية: ١١.

بالمؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾[١]، وعند التأمل والنظر في كتب علماء البلد الحرام، نجد أنهم قد تعرَّضوا لهذه المسألة وبيَّنوها بيانًا شافيًا كافيًا، كما قال الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله مبينًا حد العبادة: «هي أقصى غاية الخضوع مع نهاية الحب له تعالىٰ، لكونه الخالق الموجد لعباده، القائم بتربيتهم، وإصلاحهم في كل شيء، ولذلك اتخذوه إلهًا أي: معبودًا، فلفظ «الله»: دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية الجامعة لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العليا، وهو الذي ينكره المشركون مع اعترافهم بأنه الرب الخالق الرازق الذي ترجع إليه جميع الشؤون، فمعناه: الإله الذي تألهه القلوب وتخضع له»[٢]. وهو بهذا يبين لنا المعنى الحقيقي للعبادة، وأنها ترتكز على ركنين مهمين هما: غاية الخضوع مع نهاية الحب، ثم أخذ يبين مبنى العبادة الحقيقي، حيث قال: «اعلم أن مبنى العبادة على الأمر والاتباع، لا على الهوى والابتداع»[٣]، وهذا بيان منه لشرط المحبة الذي من لوازمها الاتباع للنبي ﷺ كما دلَّ القرآن على ذلك، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٤].

وممن بيَّن مفهوم العبادة: الشيخ محمد عبدالظاهر أبوالسمح رحمه الله، حيث قال: «وأما العبادة، فهي غاية الذل والخضوع بين يدي المعبود، وأظهر ما تكون في الدعاء، وهو مخها ولبها»[٥]. وهذا بيان

(١) سورة الزمر، الآية: ١٧، ١٨.
(٢) ما لابد منه، ص(١٧).
(٣) فصل المقال وإرشاد الضال، (٢٠).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٥) الرسالة المكية في الرد على الرسالة الرملية، ص(٢٧، ٢٨).

منه لركن من أركان العبادة، أَلاَ وهو: غاية الذل والخضوع لكنه لم يشر إلى ركن من أهم أركان العبادة، ألا وهو: المحبة، لأن الإنسان قد يخضع ويذل لمن لا يحب، كما يحدث من خضوع للظالم.

كما أوضح الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ تعريف العبادة حيث قال: «والعبادة عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، والعبادة: الإطاعة، فكل من أخذ بقول الغير بلا دليل فقد عبده، ومن أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا»[١].

ومن خلال تعريف المعصومي للعبادة، نلاحظ أنه ذكر ثلاثة أمور للعبادة وهي: كمال المحبة، والخضوع، والخوف. وهو بهذا يبين العبادة الحقة التي تكون عن خضوع ومحبة وخوف، ثم نجد أنه أخذ يبين بعضًا من أنواع العبادة التي يشملها هذا المفهوم الواسع للعبادة، فقال: «فالجامع لعبادة الله وحده إنما هو طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأنواع العبادة التي لا تصلح إلاَّ لله تعالى وحده: الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، وذبح القربان، والنذر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والمحبة، والخشية، والرغبة، والرهبة، والتأله، والركوع، والسجود، والخشوع، والتذلل، والتعظيم، ـ الذي هو من خصائص الألوهية ـ فمن صرف شيئًا من هذه الأنواع لغير الله تعالى فقد أشرك بالله غيره، والشرك في العبادة ينقض الإسلام لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٢][٣].

وعند النظر في هذا التعريف نجد أن الشيخ المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر في هذا التعريف الأفعال المتعبد بها لله سبحانه وتعالىٰ، وهي التي تسمى

(١) مفتاح الجنة، ص(٦٦).
(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٣) مفتاح الجنة، ص(٤٥).

«فعل العابد» أي ما يقوم به من عبادات، وهذه العبادات تنقسم على القلب واللسان والجوارح، كما ذكر ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

وممّن وضَّح مفهوم العبادة: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث طرح سؤالاً مؤدَّاه: «لماذا خلق الله الخلق؟» فقال مجيبًا عن هذا التساؤل: «لعبادته وحده لا شريك له، وعبادته: طاعته باتباع أمره واجتناب نهيه»[٢]. وهذا التعريف باعتبار الأشياء المتعبَّد بها ـ أيضًا ـ.

وممن تعرض لتعريف العبادة: الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث أفردها برسالة خاصة أسماها «العبادة»[٣] تعرَّض فيها لتفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾[٤].

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا حد العبادة: «وتحرير العبارة في معنى العبادة أن يقال: خضوع اختياري يطلب منه نفع غيبي، فإن أُريد بها عبادة الله تعالىٰ زيد بسلطان، وإن أُريد عبادة غيره زيد بغير سلطان»[٥].

وعند التأمل في هذا التعريف، نجد أنه يختص بأحد نوعي العبادة، وهي: عبادة الذل والخضوع، وهذه هي العبادة الخاصة، وذلك لأن قوله: «خضوع اختياري» يخرج العبادة العامة، وهي عبادة القهر التي هي شاملة لجميع المخلوقات.

كما أوضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ مفهوم العبادة في بعض كتبه الأخرىٰ حيث قال: «وعبادته سبحانه هي طاعته بامتثال ما أمر به ورضيه، واجتناب ما نهىٰ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٢٠ ـ ١٢١).

(٢) القول السديد ص(٤).

(٣) وهي رسالة ضخمة تعرض فيها لبيان مفهوم العبادة وأنواعها وهي لا تزال مخطوطة في مكتبة الحرم المكي، ويبلغ عدد أوراقها (٢٢٠) ورقة، ويقوم أحد طلبة العلم بتحقيقها حاليًا.

(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٥) العبادة، لوحة (٤٨٠).

عنه وكرهه»[١]. وهذا التعريف باعتبار النظر إلىٰ فعل العابد، أي: الأشياء التي يتعبّد بها العُبّاد من صلاة، وزكاة، وصيام، ودعاء، وتوكل، ورجاء، وغير ذلك من أفعال العباد.

وممن تعرَّض لبيان مفهوم العبادة في الاصطلاح: الشيخ محمد الفلاّني رحمه الله حيث قال في بيان العبادة: «هي فعل العبد لربه، وإن شئت قلت: امتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه على وجه الإخلاص له»[٢] وتعريفه هذا باعتبار المتعبد به.

وممن بيَّن مفهوم العبادة الشيخ سليمان الحمدان رحمه الله حيث قال: «فهي عبارة عما يجمع كمال المحبة مع غاية الخضوع فلا تكون المحبة بدون خضوع عبادة ولا الخضوع بدون محبة عبادة»[٣].

وممن أوضح مفهوم العبادة: الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله حيث قال: «ومعنى ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وحِّدوا الله، وأفردوه بالتألّه له تعالىٰ، فالعبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، من الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والاستعانة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، إلى غير ذلك من أنواع العبادة»[٤].

وهذا التعريف هو نفسه تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية[٥] رحمه الله، وهو باعتبار المتعبَّد به من الأفعال والأقوال.

وممن بيَّن مفهوم العبادة: الشيخ عبدالله خياط رحمه الله حيث بيَّن معنى التألَّه، والتعبد لغير الله، فقال: «معنى التألّه - يعني لغير الله -

---

(١) التنكيل (٢/ ١٨٩).
(٢) كتاب التوحيد، ص(٥).
(٣) الدر النضيد ص(٩).
(٤) كتاب التوحيد، ص(٢٤).
(٥) العبودية، ص(٢٠).

صرف حق الخالق للمخلوق... وحق الخالق: عبادته وحده دون سواه، والعبادة: هي أقصى غاية الخضوع والتذلل، وهي كالشجرة ذات الفروع الكثيرة، فالصلوات ـ التي فرضها الله على العباد في اليوم والليلة خمس مرّات ـ هي من فروع العبادة[١]...». وهذا التعريف يشمل العبادة بمعنييها: (المتعبد به، والتعبد وحقيقته).

والعبادة في الاصطلاح: تطلق على شيئين:

الأول: التعبد، بمعنى: التذلل لله محبة وتعظيمًا بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه[٢].

الثاني: المتعبَّد به، ومعناه كما قال شيخ الإسلام: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[٣].

ومن خلال ما سبق عرضه من أقوال علماء البلد الحرام في تعريف العبادة، يظهر لنا أنهم لم يخرجوا من تعريفهم للعبادة عن تعريف السلف ـ رحمهم الله ـ حيث نجد أن علماء السلف عرَّفوا العبادة بعدد من التعريفات، وجلُّها لا يخرج عن أن يكون مقصوده أحد المعنيين التاليين، إما أن يكون المقصود به: التعبّد وحقيقته، وإما المتعبَّد به من الأفعال والأقوال، فحينما ننظر في تعريف الإمام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ نجد أنه يعرّف العبادة بقوله: «معنى العبادة: الخضوع لله بالطاعة، والتذلل بالاستكانة»[٤]. وهذا التعريف منصبّ على التعبد وحقيقته، بل إننا نجده يعرّف العبادة بتعريف آخر وهو: «الإسلام الذي أمر الله نبيه ﷺ، وهو إخلاص العبادة والتوحيد لله، وخضوع القلب والجوارح له»[٥].

---

(١) دليل المسلم في الاعتقاد، ص(٢٩).
(٢) المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين (٢/ ٢٥).
(٣) العبودية، ص(٢٠).
(٤) تفسير ابن جرير (١/ ١٩٦).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٦١١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ معرّفًا العبادة بأنها: «كمال المحبة مع كمال الذلّ»[١].

وعند المقارنة بين تعريف ابن تيمية وابن القيم ـ رحمهما الله تعالى ـ للعبادة نجد أن كل واحد منهما عرّف العبادة باعتبار، فابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عرّفها باعتبار المتعبَّد به، وابن القيم عرّفها باعتبار التعبد وحقيقته. ومن هنا يُجمع بين التعريفين، وأنهما ليسا مختلفين اختلاف تضَاد، وإنما اختلافهما من باب اختلاف التنوع.

وممن عرَّف العبادة من علماء السلف المعاصرين: الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «العبادة روحها وحقيقتها: تحقيق الحب والخضوع لله، فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عبادة، فإن حقيقتها ـ أي العبادة ـ الذل والانكسار لله، ولا يكون ذلك إلاَّ مع محبته المحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها»[٢].

وعند المقارنة بين تعريف علماء البلد الحرام للعبادة وعلماء السلف السابقين والمعاصرين نجد أنه لا فرق بين هذه التعاريف في الحقيقة، وإنما الاختلاف بينهم من باب اختلاف التنوع كما هو الحال بين ابن تيمية وابن القيم.

---

(١) الكافية الشافية، ص(٣٢).
(٢) الحق الواضح المبين، ص(٥٩، ٦٠).

المبحث السادس
أمور تنافي التوحيد

والحديث في توحيد الألوهية يجرنا إلى الحديث عن ما يناقض هذا التوحيد أو ينافيه، وعند التأمل في هذه الأمور المنافية للتوحيد نجد أنها تنقسم إلى قسمين:

١ ـ ما ينافي أصل التوحيد وينقضه من أساسه مثل الشرك الأكبر الذي قال الله عنه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1]، وهذا الشرك يخرج صاحبه من الملة، ويوجب له الخلود في النار، وذلك إن مات عليه ولم يتب منه، وهو أنواع كثيرة مثل: الدعاء، والنذر، والخوف، والمحبة، وغير ذلك، ويجمع ذلك كله صرف عبادة من العبادات لغير الله تعالى.

٢ ـ ما ينافي كمال التوحيد، مثل: الشرك الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الملة ولكن ينقص من توحيده، وهو وسيلة للشرك الأكبر، وهو ضروب كثيرة تتمثل في شرك الألفاظ والأفعال والنيات.

وعند النظر والتأمل نجد أن علماء البلد الحرام تعرضوا لهذين النوعين وأطالوا الحديث عنهما، وذلك لبيان أهمية توحيد الألوهية، وتنقيته من الشوائب المتعلقة به. وسوف نذكر هذه الأمور المنافية للتوحيد، وننقل كلام علماء البلد الحرام فيها، وهي على النحو التالي:

أ ـ نداء الأموات والاستغاثة بهم:

وهذه المسألة شاعت وذاعت في الأقطار الإسلامية قديمًا وحديثًا وتبنى الدعوة إليها أصحاب الطرق الصوفية والرافضة حتى إنهما اعتقدوا

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٦.

في أصحاب القبور ما كان من خصائص الله تعالى من علم الغيب وكشف الضر وجلب النفع، وهذا الاعتقاد حدا بالشيعة الرافضة أن يؤلّفوا كتبًا خاصة بزيارة المشاهد وقبور الأئمة، كما صنع ابن النعمان المعروف عندهم بالمفيد كتابًا سماه: «مناسك المشاهد» كما نجد الصوفية قد أقاموا المشاهد والقباب على قبور المعظّمين عندهم، وذلك من أجل إغراء عامة المسلمين حتى وقع في هذه البليّة فئام من المسلمين كثير فأصبحت تسمع الصراخ والنداء عند هذه الأضرحة والقبور طالبين منهم المدد وتفريج الكروب، وهذا الأمر باطل بنص الكتاب العزيز حيث قال الله تعالى ناعيًا على المشركين هذا الفعل: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾[١].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالىٰ ذكره: إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم، لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون. ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾، يقول: ولو سمعوا دعاكم إياهم، وفهموا عنكم أنها قولكم، بأن جعل لهم سمعًا يسمعون به ما استجابوا لكم، لأنها ليست ناطقة، وليس كل سامع قولاً متيسرًا له الجواب عنه، يقول تعالىٰ ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان: فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته، وهو لا نفع لكم عنده، ولا قدرة له على ضركم، وتَدَعُون عبادة الذي بيده نفعكم وضركم وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم»[٢]. بل إن هؤلاء المدعُوّين لا يملكون لأنفسهم نفعًا، ولا ضرًا، ولا موتًا، ولا حياةً، ولا نشورًا، كما قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٣، ١٤.

(٢) تفسير ابن جرير (١٠/ ٤٠٤).

لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾(١).

كما بيَّن الله ـ عز وجل ـ عجز هؤلاء المدعوين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾(٢).

وقبل بيانٍ كلام علماء البلد الحرام في هذه المسألة أحبّ أن أبيِّن أن هناك فرقا بين الاستغاثة والتوسّل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيِّنًا هذا الفرق: «فالمقصود هنا أنه جعل الذي يسأل الله به مستغيثاً به، وهنا قد جعل الاستغاثة بسؤاله فقد جعل المستغيث به مستغيثاً بالله في المعنى، وهذا لا يصحّ إذا أُريد به السؤال به، فإن الله هو مسئول لا مسئول به»(٣).

والمقصود أن المستغاث به مطلوب مدعو، وأما المتوسَّل به فهو غير مطلوب ولا مدعو، وإنما يُطلب به، والمستغيث كذلك طالب من المستغاث به بخلاف توسله بالشخص فإنه طالب به لا منه.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله مبينًا بطلان هذه المسألة: «نداء الأموات وطلب المدد منهم، وقضاء الحاجات، والتوجه إليهم في الطلب من أعماق قلوبهم بأعلى صوتهم ممّا يحرّك البعيد والقريب على جهة الاستنجاد بهم فلا خلاف في تحريمه، وفظاعته، وأنه من أكبر الكبائر ـ عياذًا بالله من الجهل والغرور»(٤).

وهو بهذا يبين حكم طلب المدد والعون من الأموات، وأنه ينافي أصل التوحيد الذي مداره على منتهى التعظيم القلبي لله، واللجوء إليه لطلب تفريج الكروب، وإغاثة الملهوف، ثم نجد الشيخ أبوبكر خوقير

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣.
(٢) سورة النحل، الآيتان: ٢٠، ٢١.
(٣) الاستغاثة في الرد على البكري (١/ ٢٤٥).
(٤) التحقيق فيما يُنسب إلى أهل الطريق، لوحة (٧٥).

رَحِمَهُ اللَّهُ يبيّن لنا أصل هذه المسألة ومنشأها، وذلك في ردّه على الهندي ـ الذي كان يجيز نداء الأموات وطلب المدد منهم ـ فقال الشيخ في ردّه عليه: «ثم انظر إلىٰ قول الهندي، والاستمداد: أي: طلب المدد، وأكثر ما يُستعمل هذا اللفظ في جانب المشايخ المعظَّمين فيقال: استمدد منه، ويقال: مدد يا شيخ، وأظنُّه لم يسر إلى الناس إلاَّ من الهند، فإنهم يقولون للمعاون لرجل من رجال الحكومة «مددكار» فيخرج هذا وأمثاله من التوسّل إلى الاستمداد، ومن الاستغاثة بالغير إلى الاستغاثة من الغير[1]، وبالجملة فإنهم يطلبون من غير الله من الأموات ويسمّون ذلك الطلب توسّلاً واستغاثة»[2]. ومن هذا يتضح لنا موقف الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ من مسألة الاستمداد من الأموات والاستغاثة بهم ـ التي انتشرت عند أرباب الطرق الصوفية والرافضة.

وعلى منواله سار الشيخ محمد عبدالظاهر أبوالسمح رَحِمَهُ اللَّهُ حيث بيّن لنا أن دعاء الميتين؛ وطلب المدد منهم شرك أكبر لا يغفره الله تعالىٰ فقال: «فدعاء الميتين وسؤالهم قضاء الحوائج وتفريج الكربات، والنذر لهم، والاستغاثة بهم، والذبح لهم هو عبادتهم، والعبادة حق الله وفعلها لغيره شرك أكبر لا يغفره الله لمن مات عليه ـ والعياذ بالله ـ كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[3]، وكما قال الله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[4]، وقد قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ

---

(١) الفرق بين الاستغاثة بالغير والاستغاثة من الغير: أن الاستغاثة بالغير هي: أن تجعل بينك وبين المستغاث به واسطة، بينما الاستغاثة من الغير هي الطلب منه مباشرة بدون واسطة، والله أعلم.

(٢) فصل المقال وإرشاد الضال في تتوسل الجهال، ص(٣٣).

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[١]، وهو الذي قال فيه ﷺ حين سُئل: أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»[٢]، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[٣].

وقال الله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾[٤][٥]، مقصوده بيان أن الاستمداد من الأموات، والاستغاثة بهم، والنذر لهم، وغير ذلك من الشرك الذي لا يغفره الله لصاحبه إن مات عليه.

وممن تعرَّض لهذه المسألة: الشيخ محمود شويل رحمه الله، حيث بيَّن زيف دعاوىٰ المبطلين ضد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في زعم أنه لا يكفر من يقول «لا إله إلاَّ الله» إذا دعا غائبًا، أو نادى ميتًا، أو غير ذلك، فقال الشيخ في رده على الحرازي: «نسأله بل نسأل العلماء كافة عن معنى قول الله تعالى من سورة الرعد من كتابه الكريم: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾[٦]، وقوله في سورة فاطر: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[٧]، وقوله تعالى من سورة الأحقاف: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٦٥، ٦٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: «فلا تجعلوا لله أندادًا»، ح(٤٤٧٧)، فتح (٨/٢٠٧). ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: «كون الشرك أقبح الذنوب» (٢/٧٩)، ورواه الترمذي. تفسير سورة الفرقان، ح(٣٣٩٦)، (٩/٢٨).

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٤) سورة الحج، الآية: ٣١.

(٥) الأولياء والكرامات، ص(٥٣، ٥٤).

(٦) سورة الرعد، الآية: ١٤.

(٧) سورة فاطر، الآية: ١٣، ١٤.

مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾[1].

فهذه ثلاث ايات أيها القوم ـ الذين يعقلون ـ ينعي الله تعالى فيها نعيًا صريحًا جليًا واضحًا، على من يدعو غيره تعالى كائنا من كان ذلك المدعو، أو ينادي حيًّا غائبًا، أو ميتا مقبورًا، كائنا من كان ذلك الحي الغائب أو الميت المقبور بالكفر والشرك، وإثبات العبادة إثباتا واضحا بمثل ذلك الدعاء. ومثل تلك الآيات الاف، الآيات في الكتاب العزيز حرّفها تأويل التقليد وغطاها ما صار إليه الناس من اتباع الاباء والأجداد إلىٰ أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلم يُرو عن أحد من علمائهم ـ أي علماء الصحابة والقرون المفضلة ـ ولا أحد من جهالهم أنه نادى ميتًا أو دعا نبيًا أو وليًّا. ومن شك في ذلك فلينقل لنا نقلاً واحدًا صحيحًا ضد ما كتبناه»[2].

ومن هنا يتبين بطلان دعوة أعداء الدعوة السلفية الذين يدَّعون أن دعاء الميتين، والنذر لهم، وطلب المدد منهم ليس من أمور الشرك.

وممن تعرَّض لهذه المسألة الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث أبان زيفها وبطلان ما تذرَّع به أصحاب هذه الدعوة، وذلك بقوله: «إن بعض الجهلاء راحوا يقدسون النبي ﷺ وآله وصلحاءهم الميتين زاعمين أن لهم عند الله من القُرب ما يجعلهم قادرين على تحقيق الآمال وتفريج الكربات، وأن الله قد منحهم حق التصرف في الكائنات، ومنهم من يقول: إن الالتجاء إلى هؤلاء ودعاءهم في الشدائد والملمّات ما هو إلاَّ وسيلة للتقرب إلى الله، لأن لهم من المكانة ما يؤهلهم للشفاعة لديه لمن يشاؤون ويستطيعون بحكم هذه الصلة مع الله أن يرفعوا العذاب عمن يريدون إلىٰ غير ذلك من الترهات. . . إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد أوضحنا خطأ ذلك في أول هذا البحث، وجاء القرآن صريحًا في الرد

---

(١) سورة الأحقاف، الآيتان: ٥، ٦.

(٢) القول السديد في قمع الحرازي العنيد، ص(٣٠، ٣١، ٣٢).

على هذه العقيدة بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[1]، وهذا يدل على أن الأموات مهما كانت درجتهم عند الله لا يملكون نفعًا ولا ضرًا، وأن دعاء كل ما عدا الله من غائب أو ميت شرك بالله يكفر به المدعو يوم القيامة ويتبرأ منه وممن فعله»[2]. وهذا بيان منه لبطلان دعاء الأموات والاستمداد منهم واللجوء إليهم.

وممن جلّى هذه المسألة ـ أيضًا ـ الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث أفردها برسالة خاصة تعرَّض فيها لبيان بطلان ما تذرَّع به أرباب الطرق الصوفية والرافضة بجواز دعاء الأموات والاستنجاد بهم أسماها: «حكم الله الواحد الصمد في الطلب من الميت المدد» قال فيها: «ولا شك أن نداء الميت سواء كان قريبًا أو بعيدًا ولو نبيًا يستلزم اعتقاد سماع الميت نداء المنادي وخصوصًا البعيد النائي، وطلب المدد منه يستلزم اعتقاد أنه يعلم الغيب وأنه يقدر على التصرف والدفع والمنع وخصوصًا إذا كُرّر وأُكّد النداء والطلب، فإنه لا يبقى للتأويل محل وذلك كفر صريح وشرك قبيح، والمتصرف والقادر على كل شيء وعالم الغيب هو الله وحده لا شريك له، إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالاستعانة من الأموات وأهل القبور والأرواح أيًا كان المستعان به ولو كان نبيًا، من شعائر المشركين من المجوس والبراهمة والبوذيين والصابئة والمنجمين، ولا شك أن دعوى علم الغيب لنفسه أو لواحد من بني آدم أيًا كان كفر، ونحن معاشر المسلمين لا نصدق من يدعي شيئًا من علم الغيب، كما لا نصدق العرَّاف والكاهن لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

---

(١) سورة فاطر، الآيتان: ١٣، ١٤.
(٢) أسمى الرسالات، ص(٣٥٢).

ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[١]، وهذا هو عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة والمجمع عليه من السلف الصالحين»[٢].

ونلاحظ من كلام الشيخ رحمه الله أنه بيَّن لنا أصل هذه المسألة وأنها من المسائل الوافدة على دين الإسلام من الأديان الأخرى من بوذية وصابئة ومجوسية وغير ذلك، وأن دعاء الميتين والاستمداد منهم لا يمت إلى الإسلام بصلة، بل هو من الشرك الأكبر الذي يناقض الإسلام من أساسه، كما قال في موضع آخر مبينًا تهافت حجج هؤلاء القوم وبيان زيفها: «وها نحن نسأل هذا الجاهل، أن العارف بالله تعالى الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله وقتما كان حيًّا وهو في بغداد مثلاً وأنت في بومباي مثلاً وناديته من هنا وقلت: يا شيخ عبدالقادر، هل كان يسمع؟

فلابدَّ أن يقول: لا يسمع، فنقول: ومن كان لا يسمع نداء الغائب البعيد وهو حيّ فكيف صار يسمع نداء النائي البعيد وهو ميت منذ مئات السنين، فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين.

يا أيها المسلم العاقل الصحيح، تدبر وتفكر، هل ثبت أن أحدًا من الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ نادى النبي ﷺ في حياته أو بعد مماته من بعيد واستغاث به، ولم يثبت عن أحد منهم أنه فعل مثل ذلك، بل قد ورد المنع من ذلك»[٣].

كما أوضح رحمه الله بطلان ما يفعله أصحاب الضرائح عند ضرائحهم من نذر وتمسح وغير ذلك بقوله: «ولا شك أن طلب الاستغاثة من أرواح الأموات كفر وشرك، ولكن نحن من غلبة الجهل لا نعلم ذلك.

إن الاستمداد من المزارات وأصحاب الضرائح والقبب، أو النذر

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٥.
(٢) حكم الله الواحد الصمد، ص(٧، ٨).
(٣) المصدر نفسه، ص(٩).

إليها عبث وشرك وممنوع في الدين الإسلامي ولكن نحن لا نعرف ذلك»[(١)].

وممن حذَّر من هذا الزيغ والانحراف عن التوحيد: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رحمه الله حيث بيَّن أن دعاء الأموات ونداءهم والاستغاثة بهم من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلاَّ بالتوبة والأوبة منه فقال في تعليقه على متن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: «إن الأحياء هم الذين يدعون للأموات ويسألون الله لهم الرحمة والمغفرة، وقد عكس ذلك عباد الأموات فدعوهم مع الله ومن دون الله، ودعوتهم شرك أكبر مع أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم ولا يستجيبون لهم بشيء، قال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[(٢)]، فسمىٰ هذا الدعاء شركًا، وعباد القبور يدّعون أن الأموات يقربونهم إلى الله زلفى»[(٣)]. وهذا بيان منه لما عليه عباد القبور من الشرك ودعوة غير الله ـ عز وجل ـ، ومع ذلك يزعمون أن ما هم عليه ليس بشرك، وهذا زعم باطل دلَّ على بطلانه الكتاب والسنة.

وممن تعرَّض لهذه المسألة: الشيخ محمد مخدوم رحمه الله وذلك حينما كتب كتابًا في الدفاع عن الشيخ محمد سلطان المعصومي رحمه الله، وذلك حينما تهجم عليه بعض دعاة التصوف في عصره أمثال: عبدالله بن عبدالرحيم البوتي، فقال مخدوم رحمه الله مبينًا ردّ المعصومي رحمه الله على رسالة (آه) مهجوران: «وفيها في عدة مواضع يا غوث غوثان يا شاه شاهان المدد وطلب المدد من الموتى وكذا أمر المهاجرين مثل هذا الطلب فألف الأستاذ رسالة في الرد عليها سمّاها «حكم الله الواحد لمن

(١) المصدر السابق، ص(١٨).
(٢) سورة فاطر، الآية: ١٤.
(٣) حاشية عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، ص(٢٣).

يطلب من الميت المدد» فنبه عن[١] كفر قائل هذا المدد بآيات صريحة وبأحاديث صحيحة، وبأقوال علماء المذاهب الأربعة فنشرها، ومن ذلك الحين إلىٰ يومنا هذا يعترض القبوريون على أستاذنا المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهم يعتقدون أن للأرواح تصرفًا فيجوز طلب المدد منهم»[٢].

ونقل الشيخ لهذا الكلام يبين لنا موقفه من هذه المسألة، وأنه لا يقرها، ويرى أنها من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلاَّ بالتوبة.

وممن تعرَّض لهذه المسألة: الشيخ محمد الفلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال مبينًا ما عليه بعض المنتسبين للإسلام من تجويز دعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلب المدد منهم: «والاستغاثة في الشدائد حق من حقوق الله فمن صرف منها شيئًا لغير الله فقد أدى حقًّا لغير الله من حقوق الله تعالىٰ، وأن الله لا يرضى بالشرك، ومع ذلك ترى كثيرًا ممن يدَّعي العلم والإسلام يصرفون حقوق الله من الدعاء والاستغاثة لغير الله المالك لها، ويدَّعون أن الصالحين وغيرهم ممن يعتقدون أنهم أولياء من صالح وطالح لهم تصرفاتهم في حياتهم وبعد مماتهم على سبيل الكرامة ويستعينون بهم في الشدائد ظنًا منهم أنهم يكشفون عنهم ما بهم من الكربات، وربما أتوا قبر أحدهم من مكان بعيد لأجل طلب الاستغاثة به إن كان ميتًا أو نادوا من مكان بعيد إن لم يستطيعوا الوصول إلى قبره، ينادونه ليقضي لهم حاجاتهم، مدّعين أن لهم كرامات أكبر وأكثر مما كان له في حياته، وأنه يكشف عنهم ما بهم من المصائب، وهذا كله كفر بالله»[٣].

وقال الشيخ عبدالعزيز راشد النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا حكم من دعا غير الله: «فعليك أيها المسلم أن تحتاط لدينك، واعلم أنه ليس من شأن

---

(١) كذا في الأصل، ولعلَّها «علىٰ».

(٢) الردود اللامعة على البوتي ومن شايعه، ص(٥).

(٣) السيف المسلول، ص(٥٨).

العاقل أن يدعو من لا يرجو نفعه ولا يخاف ضره، ولا يستغيث به وبالأخص إذا اشتد عليه الكرب لا ينادي غير الله ولا مع الله كما تهديه فطرته، فكيف إذا كان الله قد نهاه عن ذلك، وتوعد من دعا معه إلهًاآخر يطلب منه ما لا يقدر عليه، فالمؤمن بالقرآن من باب أولىٰ»[١].

وحين التأمل فيما كتبه علماء البلد الحرام نجد أنَّهم انطلقوا في ذلك من كتاب الله ـ عز وجل ـ وسُنَّة رسوله ﷺ ذاكرين منها ما يدل على بطلان دعاء الأموات والاستغاثة بهم، والاستمداد منهم، وهم بذلك سائرون على ما سار عليه سلفهم من علماء أهل السُّنَّة والجماعة في بيان بطلان هذه المسألة.

هناك أمور تنافي أصل التوحيد تعرّض لها علماء البلد الحرام بالبيان والإيضاح، وقبل الحديث عن هذه الأمور يحسن بنا أن نذكر هذه الأمور ونذكر بعض ما يتعلق بها:

أ ـ **الذبح لغير الله**: وصفته أن يُذبح لغير الله بنيّة التقرّب كالذبح للأصنام والصلبان والجن والكعبة وغيرها.

ب ـ **النذر لغير الله**: وهو أن ينذر لغير الله حقًّا من حقوق الله، كأن ينذر للأموات، أو أصحاب القبور شيئًا من المال، أو الذبائح، أو غير ذلك.

وقد تعرَّض علماء البلد الحرام لهاتين المسألتين بالبيان والإيضاح، وأنها من الأمور الشركية.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنًا الأمور التي تنافي التوحيد من أساسه، وذلك في معرض حديثه عن مخالفات التوحيد فقال: «الذبح لغير الله تعالىٰ، النذر لغير الله تعالىٰ، الاستعاذة بغير الله تعالىٰ، الاستغاثة بغير الله تعالىٰ، ودعاء غيره، محبة غير الله كمحبته والخوف

---

(١) الطواغيت المقنعة، ص(٥٥).

منه»[١]. وغرضه من هذا العرض: بيان ما ينافي التوحيد بالكلية.

وممّن حذَّر من هذه الأمور الشركية: الشيخ محمد عبدالظاهر أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث بيَّن أن النذر والنحر عبادة لا يجوز صرفها لغير الله ـ عز وجل ـ، فقال:

«أوليس نذرك للإله عبادة ... أنى يكون لغير عال الشان

وكذاك نحرك والدعاء عبادة ... لا تنبغي لفلانة وفلان

فعبادة المخلوق تأليه له ... عقلاً ونقلاً واضح التبيان

أفبعد تستغيث بميت ... وتصد عن حيّ سميع دان

وتروح تدعو الأولياء تألّهًا ... وتقول يا بدوي يا جيلاني»[٢]

كما بيَّن في هذه الأبيات أنه لا يجوز الاستغاثة بالأموات، ودعوة الأولياء. وهذا بيان منه لبعض الأمور التي تنافي أصل التوحيد.

وممّن تعرّض لبيان هاتين المسألتين: الشيخ محمود شويل رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث بيَّن أن الذبح لغير الله، والنذر لغير الله، ودعاء الميّت والغائب شرك ينافي أصل التوحيد، فقال في معرض دفاعه عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ فيما ينسب إليه من تكفير المسلمين: «فإنما كفر ـ يعني الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ تبعًا للقرآن من دعا غائبًا، أو ميتًا، أو نذر لقبر، أو ذبح لغير الله، وقد قدمنا لك أيها المنصف في صدر هذا البحث ثلاث آيات ومثلها كثير، وكلها يشهد للشيخ «محمد» وصدق ما يدعو إليه.

وإليك أيها المسلم الأدلة على كفر وشرك من ذبح لغير الله تعالى:

قال جل من قائل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[٣]

واتل بعدها أيها المسلم واحكم بيننا وبينه ـ يعني الحرازي ـ قول

---

(١) ما لابد منه، ص(٢٧ ـ ٢٩).

(٢) نونية أبي السمح، ص(٩٧).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

الله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[1].

ثم نسأل من يعقل من أهل العلم عن معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[2]، فهل يجد من يفهم استثناء من هذا القول العام يختص به الحرازي آلهته، وطواغيت قبابه»[3].

وممَّن تعرَّض لذكر هذه المسائل وبيان أنها تناقض التوحيد من أساسه: الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال في معرض حديثه عما يُفعل عند القبور: «وما نراه اليوم من حالة المسلمين واقتفائهم لأثر أولئك القوم - يعني النصارى - في بناء المساجد حول قبور الصالحين، واللجوء إليهم في الملمات، ونذر النذور لهم، وذبح الذبائح قربة إليهم، فكل هذا من عمل الجاهلية الذي ينافي الإيمان ويُعد شركًا والعياذ بالله»[4].

ونلاحظ من كلام الشيخ أنه حينما ذكر هذه المخالفات التي منها: النذر لغير الله والذبح لغيره، بين أنها تنافي الإيمان من أساسه، بل إنها تُعد شركًا.

وممَّن تعرَّض لذكر بعض المخالفات التي تناقض التوحيد من أساسه: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث أطال الحديث عن هذه الانحرافات وذكر من ضمنها النذر لغير الله - عز وجل - فقال

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٦.
(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.
(٣) القول السديد، (ص٣٤، ٣٥).
(٤) جوهر الدين، ص(٣٠).

رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن كثيرًا من الناس يسمّون أنفسهم موحدين وهم يفعلون مثل ما يفعل جميع المشركين من دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر لهم، ولكنهم لا يسمّون أعمالهم هذه عبادة فيفسدون في اللغة كما يفسدون في الدين»(١).

كما بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذه الأشياء ـ أي النذر والدعاء والاستغاثة ـ من أنوع العبادة التي لا يجوز صرفهاإلا لله ـ عز وجل ـ فقال: «والعبادة بأنواعها حق لله وحده، من دعاء، ونذر، واستغاثة، وغيرها من أنواع العبادات، فمن عبد غير الله فقد كفر وأشرك»(٢). أي أن من صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر المناقض للتوحيد من أساسه، وذلك كمن ذبح لغير الله ونذر لغير الله، وغيرها من أنواع العبادة.

كما نجد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يبين لنا خطوات الشيطان التي يستدرج بهابني آدم من الوسائل الشركية، وغيرها فقال: «والنذر للمخلوق من خطوات الشيطان، ونذر المعصية من خطوات الشيطان»(٣).

ثم إن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر من جملة المسائل التي تناقض التوحيد منها على سبيل المثال: مسألة اعتقاد أن أرواح الأنبياء والأولياء تعلم الغيب وتنفع وتضر فقال في معرض حديثه عن أرباب الطرق من المتصوفة مبينًا ما أحدثوه من تغيير للدين وتبديل للملة: «غيروا توحيد الله بالشرك باعتقاد أن أرواح الأنبياء والأولياء ـ خصوصًا روح رسول الله ﷺ ـ تعلم الغيب وتنفع وتضر، وهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله تعالى ما لم يتب منه»(٤). وهذه المسألة من المسائل التي وقع فيها

---

(١) مفتاح الجنة، ص(٢٩).

(٢) تمييز المحظوظين، ص(٢٢٧).

(٣) المصدر نفسه، ص(٢٢٨).

(٤) المشاهدات المعصومة، ص(٥٣).

الخلط عند المتصوفة وغيرهم معرضين عما جاء في القرآن والسُّنَّة من انفراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعلم الغيب، حيث قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾[3]، فعلم الغيب مما اختص الله به نفسه وليس لأحد على ذلك سبيل.

كما أبان الشيخ محمد مخدوم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض المخالفات التي يقع فيها عبَّاد القبور، وهي مما يناقض التوحيد فقال: «فقد ظهر بين أهل السُّنَّة[4] عبدة القبور علنًا باسم الزيارة، والاستمداد من الأرواح وباسم التوسل حتى أجاز المتأخرون من المتحنفين النذر لغير الله والدعاء لغير الله»[5].

وممن جلَّى كثيرًا من المخالفات لتوحيد الألوهية: الشيخ محمد الفلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «باب في بيان ما يجوز من الذبيحة وما لا يجوز»، فأخذ يبين صور الذبح الجائز والذبح المحرَّم والأدلة على ذلك، فقال بعد أن ساق قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[6]: «والإهلال: رفع الصوت، ومنه إهلال الصبي، وهو استهلاله عند ولادته، و لكن المراد هنا ما ذكر عليه اسم غير اسم الله، كأن يذكر عليه اسم الوثن، إذا كان مثلاً الذابح وثنيًا، أو النار إذا كان الذابح مجوسيًّا، ومثل ذلك ما يقع من المعتقدين في الله من الأموات والأحياء بذكر

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٢) سورة النمل، الآية: ٦٥.
(٣) سورة الجن، الآية: ٢٦.
(٤) أي: في المكان الذي فيه أهل السنة ظهر هؤلاء القوم
(٥) التفكير فريضة إسلامية ص(١٣).
(٦) سورة المائدة، الآية: ٣.

أسمائهم عند الذبح، ولو قصد الذبيحة لله، فإنه لا يؤكل، وكذلك إذا ذُبح لغير الله»[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أن النذر عبادة لا يجوز لغير الله حينما سُئل: هل يجوز النذر لغير الله أم لا؟ قال: «لا يجوز النذر لغير الله». ثم قال مبينًا العلة في عدم جواز ذلك: «لأن الله مدح فاعله[(٢)]، وكل مامدح الله ففعله عبادة، والعبادة لا تجوز لغير الله، ولا تكون إلاَّ لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ربوبيته ولا في صفاته، ولأن النذر تعظيم للمنذور له، والتعظيم حق الله»[(٣)].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا حال من انحرف عن التوحيد من أهل هذا الزمان فقال: «ولهذا يجودون بأنواع العبادات لهم، من دعاء واستغاثة وتمسكن وابتهال عند قبورهم، ونذور وقرابين من الذبائح، وأموال يقفونها عليهم، وغيرها، ولا يعدّون ذلك عبادة لهم لجهلهم بمعناها، فإذا عملوا مثل ذلك لله عدّوه عبادة له، وظنوا أنها لا تكون عبادة منهم لأوهامهم ما لم ينووا، ويقصدوا أن يعبدوهم بها، وقد امتلأت قلوبهم بالأمل في أوليائهم ومشايخهم»[(٤)].

ومن خلال ما سبق عرضه من كلام علماء البلد الحرام في مسألة النذر لغير الله، والذبح لغيره، ودعاء غيره، يتضح لنا أنهم يرون أن هذه الأشياء شرك مخرج من الملة، وهي مما ينافي أصل التوحيد.

وحكم الذبح بنيَّة التقرُّب والتعبد يتضح من تقرير مقدمتين:

الأولى: إثبات أن الذبح عبادة، وقد دلَّ على هذه القاعدة نصوص

---

(١) السيف القاطع للنزاع، ص(٤٦).

(٢) الله تعالى لم يمدح الناذر إنما مدح من أوفى بالنذر، ولعل هذا هو مراد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) كتاب التوحيد، ص(٤٢).

(٤) الطواغيت المقنعة، ص(٩).

الكتاب، منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[(١)]، والنسيكة هي الذبيحة في الحج والعمرة، كما قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ عن غير واحد من السلف[(٢)]، وقال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾[(٣)].

الثانية: إثبات أن صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله شرك أكبر، ودلَّ لهذه القاعدة قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[(٥)].

وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب وغيره من الأبواب قاعدة جامعة مانعة، فقال: «فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع، فصرفه لله وحده، توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر»[(٦)].

ومن خلال ما سبق تقريره، يتضح لنا أن الذبح لغير الله بنية التقرب شرك أكبر، فقد جاء الوعيد لفاعله بالطرد من رحمة الله، فعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «**لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثًا، لعن الله من غيَّر منار الأرض**»[(٧)].

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.
(٢) تفسير ابن جرير (٥/ ٢٤٠).
(٣) سورة الكوثر، ص(٢).
(٤) سورة النساء، الآية: ٣٦.
(٥) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.
(٦) مجموعة رسائل السعدي «القول السديد»، ص(٤٠).
(٧) رواه مسلم، في كتاب الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، (٣/ ١٥٦٧)، حديث (١٦٧٨). ورواه النسائي في كتاب الضحايا، باب: من ذبح لغير الله عز وجل، (٧/ ٢٦٦)، ح(٤٤٣٤).

وحكم النذر يتعين بتقرير مقدمتين أيضًا:

الأولى: إثبات أن النذر عبادة لله تعالى، ودلَّ على هذه المقدمة قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾[١]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي يتعبدون لله، فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر»[٢].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»[٣].

الثانية: إثبات أن صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله شرك أكبر، وقد تقدَّمت أدلة هذه المقدمة في مبحث الذبح لغير الله الآنف الذكر.

وعند النظر في كلام علماء البلد الحرام، ومقارنته بهذه النصوص نجد أنهم يسيرون وفقها، والله أعلم.

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٤).

(٣) رواه البخاري، في كتاب الأيمان والنذور، باب: النذر في الطاعة، الفتح (١١/ ٧١٢)، ح(٦٦٩٦). وأبوداود في كتاب الأيمان والنذور، باب: النذر في المعصية (٥/ ٨١)، ح(٣٢٧٩). والترمذي في أبواب النذور والأيمان، باب: ما جاء عن رسول الله أن لا نذر في معصية (٥/ ١٠١) ح(١٥٦٢).

المبحث السابع
بعض الأمور التي تنافي كمال التوحيد

لقد تعرَّض علماء البلد الحرام - رحمهم الله - لبيان بعض المخالفات التي تخدش كمال التوحيد، وذلك مثل تعليق التمائم والأوتار، والتبرُّك بالأحجار والأشجار، والحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشئت، ونحوها.

وهذه الأمور كلها ذريعة للشرك، جاء في الشرع النهي عنها حسمًا لمادة الشرك، وقطعًا لوسائله، وسدًّا لذرائعه، وحماية للتوحيد، وصيانة لجنابه.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله مبينًا موقفه من هذه الأشياء: «اعلم أن مدار التوحيد على منتهى التعظيم القلبي بأنواع الخضوع الذي هو العبادة، والعبودية، كما هو مقتضى معنى الإله فإنه هو ما تألهه القلوب محبة ورجاءً وخوفًا وتوكلاً، وحماية له وصيانة لحماه حذر النبي ﷺ من إطرائه - روحي له الفداء - وسد ذرائع كثيرة من مظان الشرك، وأنذرنا بأنه أخفىٰ من دبيب النمل، وقد بايع نفرًا من أصحابه على ألاَّ يسألوا الناس شيئًا، فكان أحدهم يسقط السوط من يده فلا يقول لأحدٍ نَاوِلْنيهِ[1]، ومنع من تعليق الأوتار والتمائم، وأمر بقطعها، وبعث رسول الله ﷺ كما في السنن وغيرها، وقال: «**من تعلّق شيئًا وُكِلَ إليه**»[2]، ونهى عن قول الرجل: ما شاء الله وشئت، وقال لمن قال له

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب: كراهية المسألة للناس (٢/ ٧٢١) ح(١٠٤٣).

(٢) رواه الترمذي في أبواب الطب، باب: ما جاء في كراهية التعليق، (٦/ ١٩٩)، ح(٢١٥٢). ورواه الحاكم في كتاب الطب، (٤/ ٢٤١)، ح(٧٥٠٣).

ذلك: «**أجعلتني لله ندًا**»[(١)]، ومنع من التبرك بالأشجار والأحجار، وقال لأبي واقد الليثي وأصحابه من مسلمة الفتح لمَّا قالوا له: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط: «**قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو إسرائيل لموسى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾...» إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا السبب في النهي عن ذلك: «حسمًا لمادة الشرك، وقطعًا لوسائله، وسدًّا لذرائعه، وحماية للتوحيد، وصيانة لجنابه»[(٢)].

كما بيَّن بعض الأمور المنافية للتوحيد في كتابه «ما لابد منه» فقال مبينًا هذه الأمور: «التبرك بالأشجار والأحجار، والرقى والتمائم من غير القرآن، والحلف بغير الله، وقرن مشيئة الله بمشيئة المخلوق بالتساوي كنحو ما شاء الله وشاء فلان»[(٣)]. وهذا بيان منه للأمور المنافية لكمال التوحيد.

وعند النظر والتأمل فيما ذكره الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ نلاحظ أنه أجمل القول في هذه الأمور على الرغم من أنه لابد من التفصيل في بعضها، فمثلاً: التمائم تكون من الشرك الأكبر المخرج من الملة إذا اعتقد المعلق أنها تنفع وتضر بذاتها، أو كانت مشتملة على الاستغاثة بالشياطين، أما إذا اعتقد أنها سبب من الأسباب، وخلت من الأقوال الشركية فإنها تكون حينئذٍ من باب الشرك الأصغر.

أما التبرك فإنه لابد من التفصيل فيه:

يكون من الشرك الأكبر إذا اعتقد الفاعل لذلك أن هذه الأمور ـ أي الأحجار والأشجار ـ هي المباركة بذاتها أي أنها هي تفعل البركة، بدون

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٢١٤). ورواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٨٣). ورواه ابن ماجه في كتاب الكفارات، باب: النهي أن يقال ما شاء الله وشئت، ح(١٧٢٠)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/ ٣١٢).

(٢) فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهّال، ص(٥، ٦).

(٣) ما لابد منه، ص(٢٧، ٢٨، ٢٩).

فعل الله.

ويكون من الشرك الأصغر إذا اعتقد أنها سبب للبركة والمبارك هو الله وحده.

وهناك قسم من التبرك جائز، وهو التبرك بما ثبت في الشرع بركته كالتبرك بذات النبي ﷺ وآثاره[١]، والتبرك بالأقوال والأفعال، وكالتبرك بذكر الله وتلاوة كتابه[٢]، وكالتبرك بالأمكنة[٣] والأزمنة[٤] التي نص عليها الشارع.

وأما الحلف بغير الله فقد اختلف العلماء في حكمه على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالنهي عنه نهي كراهة التنزيه.

القول الثاني: أن الحلف بغير الله كفر أكبر مخرج من الملة.

القول الثالث: أن الحلف بغير الله من شرك الألفاظ، وهو من باب الشرك الأصغر.

والقول الراجح في ذلك هو: القول بأن الحلف بغير الله من باب شرك الألفاظ، وذلك لدلالة النصوص عليه، قال ابن القيم رحمه الله بعد إيراده للأحاديث التي فيها الحكم على الحلف بغير الله أنه شرك:

«وقد قصّر ما شاء أن يقصّر من قال: إن ذلك مكروه، وصاحب الشرع يجعله شركًا، فرُتبته فوق رتبة الكبائر»[٥]

أما إذا قصد الحالف بغير الله تعظيم المحلوف به تعظيمًا لا يليق إلاّ

---

(١) كتبرّك أم سلمة بعرق النبي ﷺ. انظر: صحيح مسلم مع النووي (١٥/ ٨٧).

(٢) كما جاء في حديث مجالس الذكر. انظر: صحيح البخاري مع الفتح (١١/ ١٧٧).

(٣) كالتبرّك بالمساجد (أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها) صحيح مسلم مع النووي (٥/ ١٧١)، وكالتبرّك بسُكنىٰ مكة والمدينة.

(٤) كالتبرّك بشهر رمضان، وليلة القدر، وثلث الليل الآخر، والاثنين والخميس والجمعة، والأشهر الحرم، وعشر ذي الحجّة.

(٥) أعلام الموقعين (٤/ ٤٠٣).

بالله تعالىٰ، فإنّ هذا من الشرك الأكبر.

وممن تعرَّض لبيان هذه المخالفات من علماء البلد الحرام: الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «فصل: التبرك بالأشجار والتمائم. ولقد كان من عادة العرب في الجاهلية: التبرك بالأشجار والتمائم وما إلىٰ ذلك كتبرك النصارى بالصلبان والأوثان والتمائم أملاً في الحصول على النفع بواسطتها، لشفاء الأمراض وما أشبه ذلك، فحارب هذا رسول الله ﷺ بدعوته حيث رُوي عن أبي واقد الليثي ـ رضي الله عنه ـ قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ـ أي يتبرك بها ـ يقال لها ذات أنواط، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو إسرائيل لموسىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨﴾[1]، لتركبن سنن من قبلكم**»[2].

ورُوي عن أبي بشير الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً وأمره أَلاَّ يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر ـ كانوا يحصنون بها إبلهم ـ إلاَّ قطعت»[3].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك**»[4]. والتمائم شيء يعلق على

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢١٨). ورواه الترمذي في أبواب الفتن، باب: لتركبن سنن من كان قبلكم (٦/ ٣٣٩)، ح(٢٢٧١). وابن حبان في صحيحه، في ذكر الأخبار عن اتباع هذه الأمة سنن من قبلها من الأمم (١٥/ ٩٤)، ح(٦٧٠٢).

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب: ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل (٦/ ١٧٤)، ح(٣٠٠٥). مع الفتح. ورواه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب: كراهية قلادة الوتر في رقبة البعير (٥/ ٩٥) شرح النووي.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٨١). ورواه أبوداود في سننه في كتاب الطب، =

الأولاد ليتقوا بها العين، والرقى هي التي تسمى بالعزائم، وقد رخَّص رسول الله ﷺ منها بما خلا من عبارات الشرك»[١].

وقال تحت عنوان «الاستسلام للأوهام»:

«هذا هو جوهر الإسلام الذي لا يقر البدع والخرافات والتأثر بالأوهام، ويأبىٰ إلاَّ أن يكون صريحًا واضحًا، فينتشل أتباعه من رق العبودية، والخضوع لغير الله، ويبث في النفوس قوة العزيمة وسمو المقصد. ومن أجل هذا نهى رسول الله ﷺ عن الطيرة، وهي عبارة عن التشاؤم ببعض الأشياء والحوادث، فقال: «**من ردته الطيرَة عن حاجته فقد أشرك**»[٢]»[٣].

وحين التأمل في كلام الشيخ عبدالحميد الخطيب رحمه الله نجد أنه ذكر في كتابه «جوهر الدين» بعض أبواب كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وذكر نفس النصوص التي ذكرها الشيخ، ونحن نفصل ما أجمله رحمه الله من ذكر لتلك المخالفات على النحو التالي:

الرقى وهي: جمع، مفردها: رقية، وهي: القراءة على المريض، ولها أشكال عدة منها:

١ ـ القراءة المباشرة.

٢ ـ القراءة على ماء يسقاه المريض.

= باب: في تعليق التمائم (١٠/ ٢٦٢)، ح(٣٨٧٧). ورواه ابن ماجه في كتاب الطب، باب: تعليق التمائم (٢/ ١١٦٩) ح(٣٥٣٠). والحاكم في المستدرك، كتاب الطب (٤/ ٢٤١) ح(٧٥٠٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد وأقره الذهبي، ورمز لصحته السيوطي في الجامع الصغير مع فيض القدير (٢/ ٣٤٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٢٦٩) ح(٢٨٤٥)، (٢/ ٢٩٢).

(١) جوهر الدين، ص(٢٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٢٠)، قال صاحب النهج السديد: حديث صحيح، برقم (٣٢٨/ ١٦٣).

(٣) جوهر الدين، ص(٣١).

أما الرقى من حيث الحكم فإنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ **الرقية المحرّمة**: وهي: الرقى الشركية كالرقية بأسماء الملائكة أو الجن، ودلَّ على هذا النوع قول النبي ﷺ: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»[(١)].

٢ ـ **الرقية المكروهة**: وهي: ما كانت عن سؤال وطلب، كما دل على ذلك حديث عكاشة بن محصن حينما أخبره النبي ﷺ عن السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب فقال: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون**»[(٢)].

٣ ـ **الرقية الجائزة**: وهي: ما دلَّ عليها قوله ﷺ: «**لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك**»[(٣)] وقوله ﷺ: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**»[(٤)].

وهذه الرقية الجائزة لابد فيها من توفّر الشروط التالية:

١ ـ أن تكون بكلام الله، أو بأسمائه وصفاته وكلام رسول الله ﷺ.

٢ ـ أن تكون باللغة العربية التي يفهم معناها.

٣ ـ أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بنفسها، بل بتقدير الله ـ عز وجل ـ، وأنها سبب من الأسباب.

كما أوضح الشيخ محمد بن سلطان المعصومي رحمه الله موقفه من بعض المخالفات في التوحيد، فقال في بيان موقفه من الحلف بغير الله:

---

(١) تقدم تخريجه ص(١٤٤) هامش رقم (١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب (١١/ ٤٩٤)، ح(٦٥٤١)، مع الفتح. ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب (٣/ ٨٨)، شرح النووي.

(٣) رواه مسلم في كتاب السلام، باب: استحباب الرقية من العين والنملة والحمة (٥/ ١٨٧).

(٤) رواه مسلم في كتاب السلام، باب: استحباب الرقية من العين والنملة والحمة (٥/ ١٨٦).

«إن الحلف بغير الله لا يجوز، ولا يصح القسم، ولا يكون حالفًا أصلاً، كَبِالنّبي، أو الكعبة، أو الأولياء، أو النصب، أو برأسك، أو بحياتك، أو نحو ذلك، وهو حرام وكبيرة، لما أخرجه الترمذي في سننه، والحاكم في المستدرك، وأحمد في مسنده، والسيوطي في الصغير عن ابن عمر ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[١]، إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: وبالجملة فإن الأدلة المانعة عن الحلف بغير الله أكثر من أن تحصر، وذكرها كلها يطول، فما بَيَّنا يكفي لأهل الدين والعقول»[٢].

نلاحظ أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ذكر أن الحلف بغير الله حرام وكبيرة، وذلك أنه إذا لم يعتقد الحالف بغير الله أن المحلوف به أعظم من الله أو مساوٍ له تعالى في التعظيم ـ فإنه حينئذٍ يكون من شرك الألفاظ، وهو أكبر من الكبائر، لأنه من الشرك الأصغر كما تقدم بيانه.

وممن تعرَّض لبيان هذه المخالفات: الشيخ محمد الفلاني رَحِمَهُ اللهُ، حيث قال متسائلاً: «هل يجوز الحلف بغير الله أم لا؟ فقال مجيبًا عن هذا التساؤل: «لا يجوز الحلف بغير الله، والدليل قوله عليه الصلاة والسلام: من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»[٣]، ثم فصَّل في ذلك

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٦٩)، وأبوداود في كتاب الأيمان والنذور، باب: كراهية الحلف بالآباء، ح(٣٢٤٩)، (٥/ ٥٧)، ورواه الترمذي في كتاب النذور والأيمان، باب: في كراهية الحلف بغير الله، ح(١٥٧٤)، (٥/ ١١٣) ولفظه عند الترمذي: «من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك» وقال الترمذي بعد الحديث: هذا حديث حسن.

(٢) حكم الله الواحد، ص(٦٥ ـ ٧٠).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب: من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً، ح(٦١٠٨)، (١٠/ ٦٣٢) ورواه مسلم في الأيمان والنذور، باب: النهي عن الحلف بغير الله، (٤/ ١٠٤). وأبوداود في كتاب الأيمان والنذور، باب: كراهية الحلف بالآباء، ح(٣٢٤٧)، (٥/ ٥٦). ورواه الترمذي في كتاب النذور والأيمان، باب: كراهية الحلف بغير الله، ح(١٥٧٣)، (٥/ ١١٢).

بقوله: «إن قصد به ـ أي بالحلف بغير الله ـ التعظيم فكفر، وإن لم يقصد به ـ أي الحلف بغير الله ـ التعظيم فهو من أكبر الكبائر»[(١)].

ثم أخذ يفصل في كيفية الحلف بغير الله، وحكم الحالف بغير الله، المعظم للمحلوف به، والحالف غير المعظم، كما بيَّن رَحِمَهُ اللهُ حكم تعليق التميمة وأنها لا تجوز، ثم بيَّن علة عدم الجواز فقال: «لأنه تعليق للقلب واعتماد على غير الله فيما لا يقدر عليه أحد إلاَّ الله وحده، وقد أمر النبي ﷺ بقطع التمائم، وهو لا يأمر بإضاعة المال»، ثم ذكر حكم تعليق التميمة وأنه أمر مختلف فيه، هل هي من الشرك الأكبر أم الأصغر، ثم بيَّن رأيه في ذلك بقوله: «أنا أقول ـ مع قلة فهمي وعلمي ـ إن تعليق التمائم ونحوها من الشرك الأكبر، لأنه هو ظاهر الأحاديث النبوية، والتسليم لأحاديث رسول الله ﷺ أولى من التفصيل بغير حجة من الله ولا من رسوله ﷺ».

ثم أخذ يذكر الأدلة لهذا القول الذي قال به»[(٢)].

وممن تعرض لذكر هذه المخالفات الشيخ سليمان الحمدان رَحِمَهُ اللهُ حيث قال في تعليقه على حديث: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»: «وقوله: «والتمائم شيء يعلق على الأولاد من العين» وهذا في الغالب، وإلاَّ فلا فرق بين تعليقها على الأولاد أو الرجال أو النساء أو الدواب أو البيوت أو البساتين، ولا فرق في الشيء المعلق بين أن يكون حلقًا أو خيوطًا أو ودعًا أو خرزًا أو غير ذلك مما اعتيد تعليقه عن العين، وكل هذا ونحوه من التمائم المحرّم لا يجوز؛ لأنه من الشرك الأصغر الاعتقادي وهو أكبر من الكبائر»[(٣)].

كما قال في بيان قول الإنسان «ما شاء الله وشئت» وذلك عند

---

(١) كتاب التوحيد، ص(٥٠، ٥١).
(٢) انظر: كتاب التوحيد، ص(٥٢ ـ ٥٩).
(٣) الدر النضيد ص(٤٢).

تعليقه على قول المصنف: «باب قول ما شاء الله وشئت» أي: ما حكم التلفظ بذلك. وحكمه: أنه تشريك في اللفظ؛ لأنه عطف مشيئة المخلوق على مشيئة الخالق جل وعلا بحرف العطف المقتضي للتشريك بين المعطوف والمعطوف عليه، وهو من أنواع الشرك الأصغر»[١].

وقال في بيان حكم النذر لغير الله: «إن الله مدح الموفين بالنذر، والله لا يمدح إلاَّ على فعل واجب أو مستحب أو ترك محرّم وذلك هو العبادة، فمن فعل شيئًا من ذلك لغير الله متقربًا به إليه فقد أشرك، فالنذر لغير الله شرك أصغر كالحلف بغيره»[٢].

وقد تقدم بيان أن التمائم تكون من الشرك الأصغر إذا اعتقد أنها سبب في جلب النفع أو دفع الضر، وتكون من الشرك الأكبر إذا اعتقد أنها تنفع أو تضر بذاتها، أو كانت مشتملة على الاستغاثة بالشياطين ونحوهم.

ومن خلال ما سبق عرضه من كلام علماء البلد الحرام مع مقارنته لكلام علماء الإسلام نلاحظ أنهم قسَّموا الأمور المناقضة للتوحيد إلى قسمين، منها ما يناقض التوحيد من أساسه، والآخر ما يناقض كمال التوحيد، وهذا هو نفسه تقسيم العلماء السابقين ـ رحمهم الله ـ.

---

(١) الدر النضيد ص(٢٦٥).
(٢) المصدر نفسه ص(٩٢).

المبحث الثامن
التوسُّـــل

وهذه المسألة طالما خالف فيها الخلف ما كان عليه السلف حتى إنهم اختلفوا فيها اختلافًا بينًا، وقبل الشروع في بيان موقف علماء البلد الحرام من هذه المسألة المهمة، يحسن بناأن نقدم بمقدمة إيضاحية لبيان معنى التوسل في اللغة والاصطلاح، وبيان أقسامه.

التوسل لغة:

قال ابن فارس: «الواو والسين واللام كلمتان متباينتان جدًا.

الأولىٰ: الرغبة والطلب، يقال: «وَسَلَ» إذا رَغِبَ، والوسل: الراغب إلى الله ـ عز وجل ـ، ومن ذلك القياس الوسيلة.

والأخرى: السَّرِقة، يقال: أخذ إبله توسلاً[(١)].

وفي القاموس المحيط:

الوسيلة والواسلة: المنزلة عند الملك، والدرجة، والقربة. ووسل إلى الله تعالى توسيلاً: عمل عملاً تقرَّب به إليه[(٢)].

وقال الراغب: «الوسيلة: التوسل إلى الشيء برغبة وهي أخص من الوسيلة لتضمنها لمعنى الرغبة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[(٣)]، وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالىٰ: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة، والواسل: الراغب إلى الله تعالىٰ»[(٤)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٦/ ١١٠) «كتاب الواو، باب الواو مع السين».
(٢) القاموس المحيط، (٣/ ٦٣٤) «باب اللام، فصل الواو».
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٥.
(٤) المفردات (٢/ ٦٧٨).

وقال الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير»[١].

والتوسل شرعًا: «هو التقرب إلى الله تعالىٰ بطاعته وعبادته، واتباع أنبيائه ورسله، وبكل عمل يحبه الله ويرضاه»[٢].

وقال الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف التوسل شرعًا: «وفي حق الله هو: التقرب إلى الله تعالىٰ بأداء الفرائض، واجتناب الحرام والمكروه»[٣].

وعند النظر في كتاب الله ـ عز وجل ـ نجد أن الله قد أمرنا بالتوسل إليه حيث قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٤].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وابتغوا إليه الوسيلة، يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه»[٥].

ففي هذه الآية يحث الله تعالىٰ عباده على أن يطلبوا إليه الوسيلة، ويتقربوا إليه بالإيمان والتقوى والعمل الصالح.

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾[٦].

ففي هذه الآية يبين الله ـ عز وجل ـ حال الآلهة المزعومة، بأنهم يتقربون إلى الله هم بأنفسهم، وأنهم يخشون الله عز وجل، ويرجون رحمته ويتسارعون في طلب رضوانه، فكيف يُدعَون من دون الله ـ عز

---

(١) التبرك، لوحة (٤٢).

(٢) التوصل إلى حقيقة التوسل محمد نسيب الرفاعي، ص(٢٠).

(٣) التبرك، لوحة (٤٢).

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٥) تفسيرابن جرير (٤/٥٦٦).

(٦) سورة الإسراء، الآيتان: ٥٦، ٥٧.

وجل ـ قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ساق الأقوال في تفسير الآية: «وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية قول عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ الذي رويناه، عن أبي معمر عنه، وذلك أن الله ـ تعالى ذكره ـ أخبر عن الذين يدعوهم المشركون آلهة أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة»(١)، فإذا كان هذا حال المدعو أنه يطلب من الله ـ عز وجل ـ القرب ويتوسل ألا يكون الداعي من باب أولى.

ومن خلال النظر في كتاب الله ـ عز وجل ـ وسُنَّة رسوله ﷺ يتضح لنا أن التوسل ينقسم إلى قسمين:

الأول: التوسل المشروع: وهو التوسل إلى الله بما شرعه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، والتقرب إليه بالأعمال الصالحة.

وقد دلَّ القرآن والسنة على جواز التوسل إلى الله ـ عز وجل ـ بما يلي:

١ ـ التوسل إلى الله بالإيمان به وأسمائه الحسنى وصفاته العُليا، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾(٢).

فهذا أمر من الله ـ عز وجل ـ لعباده المؤمنين يأمرهم فيه بأن يدعوه بأسمائه الحسنى، وهذا من باب التوسل إليه بأسمائه الحسنى.

وعن عبدالله بن بريدة عن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلاَّ أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. فقال: «**لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعي به**

---

(١) تفسير ابن جرير (٨/ ٩٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

أجاب»(١).

٢ ـ التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة: كما فعل الثلاثة الذين آووا إلى غار وانطبقت عليهم الصخرة فسأل كل واحد منهم بعمله الصالح، فكان كل واحد منهم يقول: «اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ـ أي العمل الصالح ـ فأفرج عنا ما نحن فيه»(٢) الحديث.

ففي هذا الحديث بيان جواز التوسل إلى الله ـ عز وجل ـ بالعمل الصالح.

٣ ـ التوسل إلى الله بدعاء الأخ الصالح: كما فعل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حينما استسقى بالعباس بن عبدالمطلب، وقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون»(٣).

فهذه الأنواع الثلاثة من التوسل المشروع الذي دلَّ على جوازه الكتاب والسنة.

الثاني: التوسل الممنوع: وهو التوسل إلى الله ـ عز وجل ـ بما لم يرد جوازه في الكتاب والسنة، وكان مخالفًا لهما. وهو أنواع:

---

(١) رواه أبوداود في أبواب الوتر، باب: الدعاء (٤/ ٢٥٣)، ح(١٤٥٠)، ورواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب: ما جاء في جامع الدعوات (٩/ ٣١٣)، ح(٣٧٠٦)، ورواه ابن ماجه في كتاب الدعاء، باب: اسم الله الأعظم (٢/ ١٢٦٧)، ح(٣٨٥٨)، وقال الألباني: حديث حسن صحيح. صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٢٩). ورواه الحاكم في المستدرك في كتاب الدعاء والتكبير، (١/ ٦٨٣)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ح(١٨٥٨). قال صاحب النهج الأسمى: وهو على شرط مسلم (١/ ٥٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب: إجابة دعاء من بر والديه (١٠/ ٤٩٥)، ح(٥٩٧٤)، مع الفتح. ورواه مسلم في كتاب الرقاق، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح العمل (٦/ ٥٥) شرح النووي.

(٣) رواه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٢/ ٦٢٨)، ح(١٠١٠)، مع الفتح.

١ ـ التوسل إلى الله بذات الشخص المتوسَّل به.

٢ ـ التوسل إلى الله بالجاه.

٣ ـ الإقسام على الله بالمتوسَّل به[١].

وهذه الأنواع الثلاثة محرَّمة.

ومنشأ الخطأ والخلط بين التوسل المشروع والتوسل الممنوع: هو عدم التفريق بين التوسل بالذات، والتوسل بالدعاء، وعدم التفريق بين التوسل بالأحياء الصالحين، والتوسل بالأموات.

وحين النظر في كلام علماء البلد الحرام نجد أنهم اتبعوا منهج القرآن والسنة في تقسيم التوسل إلى مشروع و ممنوع. ومما سطروه لنا من كلامهم حول التوسل المشروع:

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان التوسل المشروع:

«أقول: اعلم أن مبنى العبادة على الأمر والاتباع لا على الهوى والابتداع. والتوسل الذي جاءت به السُّنَّة، وتواترت الأحاديث: هو التوسل والتوجه إلى الله بالأسماء والصفات، وبالأعمال الصالحات، كالأدعية الواردة في السُّنَّة، كقولهم: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلاَّ أنت». وكالتوسل بدعاء الأنبياء وشفاعتهم في حياتهم، كتوسل الصحابة بالنبي ﷺ في الاستسقاء، وتوسلهم بالعباس ويزيد بن الأسود، وتوسل الأعمى بدعاء النبي ﷺ وشفاعته له، كما ثبت في الصحيحين من قصة الذين آووا إلى الغار وانطبقت عليهم الصخرة فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، فهذا مما لانزاع فيه، بل هو من الأمور المشروعة، وهو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[٢]»[٣].

---

(١) انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل، ص(١٨٤، ١٨٥).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٣) فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال، ص(٢٠).

كما أننا نجد الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ أفرد هذه المسألة المهمة برسالة خاصة أسماها «فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال» أبان فيها التوسل بقسميه، ودحض شُبَه المجيزين للتوسل الممنوع[١]، فقال في ثناياها مبينًا موقفه من نوعي التوسل: «أقول: أنا لم أنكر التوسل الوارد في السُّنَّة بل نقتصر على ما ورد في الأحاديث الصحيحة ولا نخرج عن طريق السلف الصالح في ذلك، وفي جميع ما صح عنهم، فنتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُليا، وبالأعمال الصالحة التي لنا، وبخيارنا الصالحين من الأحياء بطلب الدعاء منهم والتأمين على دعائهم، كما نفعل في الاستسقاء، وكما جرت على ذلك عادة السلف والخلف»[٢].

وهذا بيان منه للتوسل المشروع الذي هو التوسل إلى الله بالإيمان به وبأسمائه وصفاته، وبالأعمال الصالحة، وبدعاء الأخ المؤمن الصالح.

فهذه الأنواع الثلاثة هي التي دلَّ عليها الكتاب والسنة.

وممن سار على هذا المنهج: الشيخ أبوالسمح رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قسَّم التوسل إلى نوعين، فقال في نونيته:

ليس التوسل والتقرب بالهوى ... بل بالتقى والبر والإحسانِ
هذا كتاب الله يفصل بيننا ... هل جاء فيه توسلوا بفلانِ
إن التوسل في الكتاب لواضح ... وإذا فطنت فإنه نوعانِ[٣]

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا على هذه الأبيات: «أشير إلى آية (٣٥) من سورة المائدة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾، فهذه وسيلة المتقين، ووسيلة المشركين ما في سورة الإسراء الآيتان

---

(١) سوف يأتي مبحث مستقل، فيه ذكر الشُّبَه والردّ عليها.
(٢) المصدر السابق، ص(١٦، ١٧).
(٣) القصيدة النونية في بيان الوسيلتين الإسلامية والشركية، ص(٩٦).

(٥٦ ، ٥٧) ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، فالأولىٰ بالإيمان والعمل الصالح، والثانية بالأشخاص كعيسىٰ وأُمه. . .»[١].

ثم أخذ يبين التوسل المشروع بقوله:

شيئان إيمان وفعل صالح	وهما بآي الذكر مقترنانِ
ولكم أعيد في الكتاب وسنة	كي يعلما للصم والعميانِ
وتقوم حجة ذي الجلال عليهمو	ويبوء أهل الشرك بالخسرانِ
واقرأ إذا ما شئت أقصر سورة	كالعصر أو طولى من القرآنِ
فإذا أردت توسلاً حقًا فخذ	بهما ولا تسمع لقول فلانِ
فعليهما وعد الإله بجنة	ونعيمها أبدًا مع الرضوانِ
وعليهما وعد الورى طيب الحيا	ة بهذه الدنيا مع الغفرانِ

وقال معلقًا على هذه الأبيات: «أشير بذلك إلىٰ أن أجمل الوسائل الشرعية: الإيمان والعمل الصالح، وقد تكررا في القرآن والسنة، وعُلق عليهما الجزاء في الدنيا والآخرة»[٢].

ومن خلال عرض الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ للتوسل المشروع نلاحظ أنه اقتصر على نوع من أنواع التوسل المشروع، ألا وهو التوسل بالعمل الصالح والإيمان بالله، ولم يذكر التوسل بالأسماء والصفات، والتوسل بدعاء الأخ الصالح، ولعله لم يذكرهما لأنهما يندرجان تحت الإيمان بالله والعمل الصالح.

وممن سار على منهجهم في تقسيم التوسل إلىٰ مشروع وممنوع: الشيخ محمود شويل رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في ردّه على الحرازي: «إن قصد به توسل الصحابة ومن تبعهم بإحسان من القرون المفضلة الثلاثة، وهو اتباع النبي ﷺ وحبه، والعمل بشرعه، فهذا هو التوسل الذي عاشت

(١) تعليقه على القصيدة النونية، ص(٩٦).
(٢) القصيدة النونية، ص(٩٨).

القرون الثلاثة المفضلة، الذين أثنى عليهم رسول الله ﷺ، ووصفهم بخير القرون»[(١)]. ونجد الشيخ يبين لنا نوعًا من أنواع التوسل المشروع ألا وهو: التوسل باتباع النبي ﷺ وحبه، والعمل بشرعه، وهذا من التوسل إلى الله بالعمل الصالح.

كما نجد الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ يتبنىٰ نفس المنهج في تقسيم التوسل إلىٰ قسمين حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنى الوسيلة في اللغة: ما يُرجىٰ أن يتوصل به إلى رضا الله والقرب منه، والحصول على الثواب في دار البقاء، وكل هذا لا ينطبق إلاَّ على ما يقدمه الإنسان من عمل صالح في دنياه. وقد قص علينا الرسول محمد ﷺ ما نفهم منه معنى الوسيلة. ثم ساق حديث النفر الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة في الغار»[(٢)].

كما قرر هذا النوع من التوسل: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «قال العبد الضعيف: فادعوا الله تعالىٰ واطلبوا منه قضاء الحاجات، وتوسلوا إليه بأسمائه الحسنى، فهذا هو التوسل المأمور به المشروع شرعًا، والمقرون بالإجابة»[(٣)]. وكأن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يشير إلى ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[(٤)]، والتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا داخل تحت الإيمان به.

ولعلّ الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ من خير من جلّى هذه المسألة ووضحها حيث قسّم التوسل إلى القسمين آنفة الذكر، ثم قسّم التوسل المشروع إلى ثلاثة أنواع، وهي:

١ ـ التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته: فقال المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا مستحب لأنه عبادة».

---

(١) القول السديد في قمع الحرازي العنيد، ص(١٢).
(٢) جوهر الدين، ص(٢٣، ٢٤).
(٣) أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، ص(١٩٣).
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

ثم ذكر النوع الثاني: وهو التوسل إلى الله بسؤاله بالأعمال الصالحة، واستدل له بحديث النفر الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة.

ثم ذكر النوع الثالث: وهو التوسل إلى الله بدعاء من تُرجى إجابته من أهل الصلاح والتقوى[١].

وممن تعرّض لمسألة التوسل: الشيخ محمد الفلاني رَحِمَهُ اللَّهُ حيث أفرده بباب في كتابه: «السيف القاطع للنزاع»، وبباب في كتابه: «السيف المسلول» فقال: «باب في بيان التوسل وأنه على قسمين: قسم جائز بلا خلاف بين المسلمين، وقسم غير جائز شرعًا وعقلاً»[٢]. ثم عرّف الوسيلة بقوله: «والوسيلة: طلب التوسل والتقرب بالأعمال الصالحات، والاعتقادات[٣]، والكلمات الطيبات». ثم ذكر حديث الرجل الذي طلب من النبي عليه الصلاة والسلام أن يستسقي لهم فعلق عليه بقوله: «وهذا الحديث يدل على جواز التوسل بدعوة الغير من الرجال والنساء، وهو من التوسلات الجائزات، لأن هذا الرجل طلب التوسل لنفسه ولغيره من المسلمين بدعوة النبي ﷺ». ثم ساق حديث النفر الثلاثة وقال بعده: «وهذه الأحاديث كلها تدل على التوسل الجائز ونحوه أن يقول: اللهم إني أتوسل إليك بإيماني بك وبتصديقي بنبيك، وبمحبتي لأوليائك، وبصلاتي، وبصومي، وباعتقادي، وإيماني بكلمة «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله». ونحو هذا مما يملكه ابن آدم من اعتقاد وقول وفعل...». إلىٰ أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أيها الأخ في دين الإسلام: اعلم أن التوسل المشروع الذي شرعه الله لنا على لسان نبيه ﷺ، هو التقرب إلى الله تعالىٰ بما شرعه نبيه ﷺ من عمل قلبي أو بدني أو لساني، أوترك

---

(١) التبرك، لوحة (٤٢، ٤٣).

(٢) السيف المسلول، ص(٧١).

(٣) قوله: «الاعتقادات» كلام مجمل، فلو قيّده بالصحيحة أو السليمة لكان في نظري أتم.

ما نهى عنه، أو صبر على طاعة الله، أو صبر عن معصيته، أو صبر على المصائب»[١]. وهو بهذا يبين لنا أفراد التوسل المشروع، وبالأخص التوسل بالعمل الصالح.

كما أبان الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ اللَّهُ موقفه من السؤال بحق فلان وفلان، وأنه لا يجوز، وإنما التوسل الجائز هو التوسل بالدعاء والعمل الصالح فقال: «وإنما يتوسل في الدعاء بما جنسه العمل»[٢]. ويقصد بهذا أن التوسل بالأعمال الصالحة سواء كانت أقوالاً أو أفعالاً إنما هو من باب التوسل المشروع.

وممن أوضح هذه المسألة وجلّاها: الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط رَحِمَهُ اللَّهُ حيث أفرد لهذه المسألة بابًا من كتابه «دليل المسلم في الاعتقاد» كما أفردها بفصل في كتابه «اعتقاد السلف»، تعرض فيها لبيان التوسل وأقسامه، وتعريفه، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «للتوسل عمومًا ثلاثة أقسام:

أحدها: التوسل بالإيمان والعمل الصالح، ويشمل هذا القسم:

١ ـ التوسل إلى المولى سبحانه باسم من أسمائه، أو صفة من صفاته، والدليل على جواز هذا التوسل ومشروعيته قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾[٣]، ثم أخذ يسوق الآيات الدالة على جواز هذا النوع.

٢ ـ التوسل إلى الله تعالىٰ بعمل صالح للداعي أي: أن يكون للداعي عمل أو جملة أعمال صالحة عملها مخلصًا فيها لرب العالمين لم يخالطها برياء ولا سمعة فيتوسل بها إلى الله تعالى في دعائه يرجو الإجابة، كأن يقول: اللهم بإيماني بك سبحانك، أو اللهم بما عملت لك من عمل كذا أسألك. . .

---

(١) السيف القاطع للنزاع، ص(٨٠، ٨٤).

(٢) هذه عقيدتي وترجمتي، ص(١٣٢).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

ولعل أوضح ما يترجم عن مشروعية هذا التوسل وجوازه ما جاء من حديث النفر الثلاثة الذين قصَّ النبي ﷺ خبرهم. . .ثم ساق الحديث.

٣ ـ التوسل بدعاء الرجل الصالح: ومن الأدلة عليه ما جاء في حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنَّ عُمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ «كان إذا أصابهم قحط استسقى بالعباس بن عبدالمطلب»(١)(٢).

ومن خلال ما سبق عرضه من كلام علماء البلد الحرام، يتضح لنا أنهم يقسّمون التوسل إلى قسمين: مشروع، وممنوع، ويقسمون المشروع إلىٰ أقسام هي:

١ ـ التوسل إلى الله ـ عز وجل ـ بالإيمان به وبأسمائه وصفاته.

٢ ـ التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة.

٣ ـ التوسل إلى الله بدعاء الأخ الصالح.

وهم بهذا يسيرون في هذا التقسيم على ما جاء في القرآن والسُّنَّة.

التوسل الممنوع:

وهذا النوع من التوسل هو الذي خالف فيه الخلف ما كان عليه السلف منذ القدم وإلى وقتنا المعاصر.

وهو التوسل إلى الله ـ عز وجل ـ بما لم يأذن به الله ورسوله ﷺ، ولم يفعله الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومن سار على نهجهم.

وقد قُسِّم هذا التوسل إلى أقسام عدة، ولكن محصل هذه الأقسام قسمان:

١ ـ التوسل الشركي. ٢ ـ التوسل البدعي.

وعند النظر في كلام علماء البلد الحرام نجد أنهم يعارضون هذا التوسل ولا يقبلونه.

---

(١) تقدم تخريجه، ص(١٤٣).

(٢) انظر: دليل المسلم في الاعتقاد، ص(٩٠ ـ ٩٦).

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا التوسل الممنوع، وذلك في ردّه على الهندي: «لينظر ما جاء في السُّنَّة من سدّ كل ذريعة، فإذا عرف ذلك تبين له عذر المانعين من التوسل بالأنبياء والصالحين بعد موتهم سيّما إذا رؤي ما يترتب على قول المجوزين له من فتح باب الفتنة والبدع الجمّة، وإدخال ما ليس من التوسل في بابه من كل طامة مما ينافي التوحيد على خط مستقيم حتى صار الشرك الصراح يسمىٰ توسلاً عند كثير من رؤساء الجهال من المشايخ المتصوفين، ومن نحا نحوهم من المدلسين، أو ممن أخذته العزة بالإثم عن قبول الحق من المكابرين، وكفا عقوبة ضميره الذي يبكته كل حين. فليت الجهال اقتصروا في التوسل على كل ما يفيد الوساطة مع توجيه الطلب إلى الله سبحانه، ولكنهم نسوا وتوجهوا إلى الأموات، وطلبوا منهم قضاء الحاجات، وهتفوا بأسمائهم عند الملمّات»[١].

وقد ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ صُورًا من التوسل الممنوع، وهو التوسل الشركي.

قال الشيخ أبوالسمح رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا التوسل الممنوع: «والمقصود ما يسمونه في هذا الزمن: التوسل بالأولياء من طواف حول أضرحتهم أو تماثيلهم، ودعائهم، واستلام أعمدتهم وأركانهم، وتقبيلهم، والسجود على أعتابهم، كل ذلك عبادة لهم من دُون الله مهما قيل فيه، ومهما حُليت بأسماء حسنة»[٢].

كما بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ في أكثر من موطن من كتابه «الأولياء والكرامات»[٣] صورًا من صور التوسل الممنوع.

وممن تعرَّض لبيان التوسل الممنوع: الشيخ محمود شويل

---

(١) فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال، ص(٧).
(٢) الأولياء والكرامات، ص(٥٤).
(٣) انظر: ص(٥١، ٥٥، ٦٨، ٧٥).

رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: «إن قصد بالتوسل التوسل المبتدع الذي درجت عليه أكثرية الأمة بعد دخول الفتن عليها، ولعبت اليهود بدينها، ناشرين الطرق وعقائد الجهمية والأشعرية والتقليد الأعمى، وهو التوسل بجاه النبي وجاه السيدة خديجة، وجاه البدوي والجيلاني والدسوقي، والمرغني، والمهدي والختمي وسره، فهذا توسل مبتدع، أفسد المسلمين وجعل دينهم ملعبة، إذ يعصي العاصي منهم ويرتكب كل كبيرة ثم يقول يا ربي بجاه فلان وجاه فلانة اغفر لي واصفح عني. فهذا توسل مناقض لقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[1]، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ﴾[2]»[3]، وهذا بيان منه للتوسل الممنوع وهو التوسل البدعي الذي هو ذريعة للشرك، وقد سدّ النبي ﷺ الذرائع المفضية إلى الشرك أو الخدش في كمال التوحيد، وذلك صيانة للتوحيد.

وممن تعرض لبيان التوسل الممنوع: الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ حيث خصه بفصل في كتابه «جوهر الدين» قال فيه: «بقي شيء آخر هو موضوع التوسل إلى الله بأحد خلقه، فقد زعم جماعة من المشتغلين بعلوم الدين، أن هذا أمر جائز مشروع، فالله ـ سبحانه وتعالى بعظمته وجلاله ـ لا يمكن الاتصال به إلاَّ بالتوسل إليه بأحد من المقربين إليه، ويستدلون على ذلك بما جاء في القرآن بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾[4]، وهذا لا يراد به إلاَّ الحيلولة دون الله وخلقه،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٣.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.
(٣) القول السديد، ص(١٢، ١٣).
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

وتشبيهه بملوك الدنيا، وهو زعم ظاهر الفساد من عدّة وجوه:

١ ـ لأن معنى الوسيلة في اللغة: ما يُرجىٰ أن يُتوصّل به إلىٰ رضى الله والقرب منه، والحصول على الثواب في دار البقاء، وكل هذا لا ينطبق إلاَّ على ما يقدمه الإنسان من عمل صالح في دنياه.

٢ ـ لأن التوسّل بذات النبي ﷺ ـ وهو أشرف المخلوقات ـ لم يثبت بحديث واحد صحيح عنه، ولم يثبت عن أحد من الصحابة أنه توسل بذات النبي ﷺ، ولم يُرو عن الصحابة أنهم توسّلوا به ـ أي بذاته ـ لا في حياته ولا بعد وفاته، ولا عند قبره ولا بعيدًا منه.

٣ ـ لأن العقل لا يسلّم بأن مجرّد تسميتك لبعض الأنبياء أو الصالحين يصلح أن يكون وسيلة تحقق لك شفاعتهم دون أن تعمل ما شرع الله لك من الطاعات.

٤ ـ ولأن من سُنَّة الله في خلقه في هذه الحياة أن الإنسان لا يشفى من مرض إذا ترك الدواء وشربه عنه غيره، ولا يمكن أن تؤثر في نفسه أو تظهر في أعماله أخلاق غيره، فكيف يُعقل أن ينتفع المرء بصلاح غيره.

٥ ـ ولأن الحكم بصلاح شخص بعينه من الناس، والتوسّل به إلى الله دون أن يخبرنا الله بصلاحه، فيه افتئات كبير على الله، وظواهر الناس لا تكون منطبقة على ما في الباطن، والعبرة بالخواتيم.

٦ ـ إن التوسل إلى الله بأحد من خلقه قد يدلّ على معنى القسم على الله بذلك الشخص المتوسَّل به، وهذا ممنوع؛ لأن القسم على المخلوق غير جائز، فالقسم على الخالق بالمخلوق من باب أولىٰ.

٧ ـ لأن في التوسّل إلى الله بأحد من خلقه حتى ولو كان من الأنبياء المقدسين عند الله ما يحمل معنى الانتقاص من مقام الألوهية، وجرح صفة الكرم والإحسان الثابت لله، لأن الله الكريم الذي شمل الجميع بآلائه ودعا العباد لدعائه من غير واسطة، ووعدهم بمجرّد

الدعاء، ليس في حاجة إلى أن تُستجدى رحمته عن طريق التوسل إليه بأحد من مخلوقاته[١].

ومن هنا نلاحظ أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر نوعين من أنواع التوسّل الممنوع وهما: التوسّل بالذات، والإقسام على الله بالمتوسَّل به.

وممن بيَّن التوسل الممنوع: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وذلك بعد عرضه للتوسل المشروع فقال: «واتركوا ما سواه ـ يعني ما سوى المشروع ـ مما تزعمونه توسلاً من ذكر أسماء المخلوقين ولو جبريل والأنبياء أو أي شيء، لأنه إلحاد وكفر، وكذا قولهم بجاه النبي ﷺ أو بجاه نبيك سيدنا محمد ﷺ فإنه من الإلحاد في السؤال، ولا يشك مسلم أن للنبي ﷺ جاهًا عظيمًا عند الله تعالىٰ، ولكن لم يأمر الله ولا رسوله ﷺ أن نسأل الله بجاهه، ولم يثبت عن أحد من الصحابة أو التابعين لهم بإحسان، أو أحد من السلف الصالحين ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أنه سأل الله بجاه النبي ﷺ، ولا شك أن ما لم يفعله هؤلاء فهو بدعة، وحكم البدعة في العبادة معلوم وهو الضلالة.

فيا إخواني! أما يسعنا ما وسع الصحابة والسلف الصالحين ـ رضي الله عنهم ـ حتى نخرج عن جادتهم ونزيد عليهم أشياء استحسانًا بعقولنا السخيفة وأهوائنا الرديئة»[٢].

ونلاحظ من كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يقسّم التوسل الممنوع إلى قسمين:

١ ـ التوسل إلى الله بذكر أسماء المخلوقين: وهذا النوع من التوسل ممنوع، لأنه لم يأمر به الله، ولا بلغه النبي ﷺ.

٢ ـ التوسل بجاه النبي ﷺ: وهذا من التوسل البدعي، لأنه ذريعة إلى الشرك.

---

(١) جوهر الدين، ص(٢٣ ـ ٢٧).

(٢) أوضح البرهان، ص(١٩٣ ـ ١٩٥).

كما نلاحظ أن الشيخ المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حَكَم على هذين النوعين من التوسل بأنهما إلحاد وكفر. ولعل قصد الشيخ بقوله: «إلحاد وكفر» المعنى اللغوي الذي هو: العدول والميل عن الحق والصواب، وذلك لأن التوسل بأسماء المخلوقين، والتوسل بجاه النبي ﷺ من التوسل الممنوع، وهو ميل عن الحق والصواب، والله أعلم.

كما قسَّم الشيخ عبدالرحمن بن يحيىٰ المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ التوسل الممنوع إلى قسمين:

الأول: أن يكون بوسيلة أبطلها الشرع، كتوسل المشركين بآلهتهم.

الثاني: أن يكون بوسيلة لم يرد فيها دليل من الشرع، وهذا توسل بدعي(١).

وممن تعرَّض لبيان التوسل الممنوع: الشيخ محمد الفلاّني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال مجيبًا عن سؤال مفاده: «هل يجوز التوسل بجاه نبي أو رسول أو ولي أو ملائكة وما أشبه ذلك ممن يعتقد فيهم الناس؟ فقال: مجيبًا على ذلك: لا يجوز ذلك كله. ثم أورد سؤالاً آخر مفاده: ولم لا يجوز؟ فأجاب عن ذلك: لأن جاههم ليس من أعمال المتوسلين حتى يتوسلوا به، وإنما يتوسل بعمله»(٢).

كما بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدم جواز التوسل بذات النبي ﷺ، فقال في ثنايا حديثه عن حديث الأعمىٰ: «وأتوسل إليك بنبيّك»، وليس هذا التوسل بذات النبي، لأن ذات الشخص لا يتوسل بها، وإنما يتوسل بدعاء الشخص المشتملة عليه ذاته، وهذا معروف عند العاقل والجاهل، وبدليل قوله له: «وإن شئت دعوت» إذ التوسل بالذوات ممنوع

---

(١) التبرك: لوحة (٤٢، ٤٣).

(٢) كتاب التوحيد، ص(٣٣، ٣٤).

شرعًا»[١].

كما نجد الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ اللَّهُ يذكر هذا النوع من التوسل، وذلك في ثنايا كلامه عن عقيدته، حيث قال: «وأقول: بأن الدعاء بجاه فلان وحق فلان عدوان، فأي علاقة بين الداعي وحق فلان أو حرمته، وكذلك الاستشفاع بالأشخاص»[٢].

وممن أطال الحديث عن التوسل الممنوع: الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث تعرَّض له في أكثر كتبه مبينًا قبحه وشناعته وخطورة الوقوع فيه حيث قال: «وليُعلم أن توسيط الأنبياء وغيرهم إلى الله بعد موتهم ليس بأقبح ولا أشد حرمة ولا أدخل في الشرك من سؤال الله بجاههم وحقهم وأعمالهم لأن من سأل الله بذلك، ما أدخله مع دعائه إلاّ لاعتقاده أنه يؤثر على الله كالشفاعة إلى الرؤساء، ولولا هذا لم يجعله مع دعائه ربه، ولهذا ما يتوسلون ويسألون الله إلاّ بمن يعتقدون له الجاه العريض»[٣].

ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ صورًا لهذا التوسل من بينها:

١ - الحلف بهم، والخوف منهم، والتخويف بهم، وتحديد بعضهم بعضًا من قواهم وأذاهم، لاعتقادهم أنهم يقدرون عليه كما يقدرون على نفع من يحبهم ويفي لهم بالنذور والزيارة.

٢ - توجههم إليه بالدعاء والنداء والاستغاثة إذا نزل بهم الضر ومسهم الكرب من دون الله.

٣ - سؤالهم الله بحق الأنبياء والصالحين، وأن يعتقدوا له القرب من الله، وتوسلهم إليه بجاههم ومنزلتهم وما لهم عنده من

---

(١) السيف القاطع للنزاع، ص(٨١، ٨٢).

(٢) المجموعة الثالثة من رسائل عبدالحق الهاشمي، ص(١٣٢).

(٣) تيسير الوحيين، ص(٥٢).

الدرجات»[١].

ومن تعرَّض لبيان هذا النوع من التوسل: الشيخ عبدالله خياط رَحِمَهُ اللهُ حيث قسَّمه إلى قسمين:

الأول: التوسل بالذات وهو: ما كان يصنعه المشركون مع آلهتهم، حيث كانوا يتوسلون بها إلى الله، لتنجيهم من عذاب الله، وتشفع لهم عند الله، كما قال الله ـ حكاية عنهم ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[٢].

الثاني: التوسل البدعي: وهو التوسل بالجاه كما يقول بعضهم: أسألك بجاه النبي أو بحق النبي أو بجاه فلان الولي وغير ذلك.

فهذا كله وأمثاله توسل بدعي لأنه لم ينقل عن الصحابة ولا عن أحد من القرون المفضلة مثل هذا التوسل»[٣].

ومن خلال ما سبق تقريره نلاحظ أن علماء البلد الحرام يقسمون التوسل الممنوع إلى قسمين هما:

١ ـ التوسل الشركي.

٢ ـ التوسل البدعي.

وهم بهذا التقسيم يسيرون على ما سار عليه السلف من قبلهم.

---

(١) نفس المصدر، ص(٧١، ٧٢).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٣) دليل المسلم في الاعتقاد، ص(٩٧، ٩٨).

المبحث التاسع
شبهات حول التوسل

هناك بعض الشبهات التي تثار حول مسألة التوسل، وذلك من أجل التلبيس علىٰ المسلمين، ونحن سوف نورد بعض النصوص التي تعلق بها هؤلاء القوم، ثم نورد كلام علماء البلد الحرام حول توجيه هذه النصوص.

أولًا: حديث توسُّل الأعرابي:

عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفنّا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، فرمىٰ نفسه على قبر النبي ﷺ، وحثا على رأسه من ترابه وقال: يا رسول الله، قلت فسمعنا قولك، ووعيت من الله ـ عز وجل ـ ما وعينا عنك، وكان في ما أنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[1]، وقد ظلمت نفسي وجئتك لتستغفر لي، فنودي من القبر: إنه غُفِر لك.

وهذه القصة يرويها بعضهم عن العتبي، ويرويها بعضهم عن غيره مع اختلاف في ألفاظها.

وتقرير الاستدلال بهذه القصة: أنهم قالوا: إن الأعرابي جاء إلى قبر النبي ﷺ وتوسَّل به، وقد حصل له ما قصد.

وقد أجاب علماء البلد الحرام عن الاستدلال بهذه القصّة، فقال الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله «قال ابن عبدالهادي: إن هذا خبر منكر موضوع، وأثر مختلق مصنوع لا يصلح الاعتماد عليه، ولا يحسن

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

المصير إليه، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض. . .». ثم ذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن عبدالهادي ـ رحمهما الله ـ حول هذه القصة[(١)].

وممن تعرَّض للردّ على الاستدلال بهذه القصة: الشيخ محمود شويل رَحِمَهُ اللهُ حيث ذكر كلام ابن عبدالهادي رَحِمَهُ اللهُ حول هذه القصة[(٢)].

وممن تعرَّض لبيان بطلان هذه القصة: الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ اللهُ حيث قال بعد ذكره للقصة: «وهذه الكذبة في سندها الهيثم تدور عليه، فإن كان «ابن عدي»، فقال الذهبي فيه: قال البخاري: إنه ليس بثقة، يكذب. وقال ابن معين: كان يكذب، وقال أبوداود: كذّاب، وقال النسائي وغيره: متروك الحديث. وإن كان غيره فهو مجهول لا يصح أن يُحتج بما جاء به حتى يُعرف وتثبت عدالته وضبطه. فقد بان كذب هذا الخبر مع فساد متنه لإبهام راويه، إذ الشرائع لا تنبني على رواية المجهولين، ولا على مناداة من في القبور بالأوهام»[(٣)].

والكلام على هذا الخبر من ناحيتين:

الأولى: من حيث السند: قال ابن عبدالهادي:

١ ـ الهيثم جد أحمد بن الهيثم أظنه ابن عدي الطائي، فإن يكُنْه فهو متروك كذاب، قال ابن عباس الدُّوري: سمعت يحيىٰ بن معين يقول: الهيثم بن عدي كوفي ليس بثقة، كان يكذب. وقال العجلي وأبوداود: كذّاب. وقال أبوحاتم الرازي والنسائي والدولابي والأزدي: متروك الحديث. وقال البخاري: سكتوا عنه أي: تركوه. وقال ابن عدي: ما أقل ما له من المسند، وإنما هو صاحب

---

(١) فصل المقال وإرشاد الضال في توسّل الجهّال، ص(٤٣ ـ ٤٨).
(٢) القول السديد في قمع الحرازي العنيد، ص(١٠٣ ـ ١١٠).
(٣) تيسير الوحيين، ص(٧٤).

أخبار وأسمار ونسب وأشعار[١].

٢ ـ أحمد بن محمد بن الهيثم عن أبيه ـ أي أبي محمد ـ وهؤلاء لا ذكر لهم في التقريب ولا التهذيب ولا اللسان، فمن احتج بهم[٢].

أما رواية العتبي فإنه ليس لها سند يُستأنس به للحكم على الرواية من حيث الصحة والضعف.

الثانية: من ناحية المتن:

ويُمكن إجمال الجواب عن المتن بما يلي:

١ ـ أن النبي ﷺ لمّا تُوفي دُفن في بيت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فكيف دخل الأعرابي إلىٰ بيتها بدون استئذان، وإذا استأذن فكيف تسمح له بالارتماء على القبر وحثو التراث على رأسه وهي التي سمعت تحذير النبي ﷺ من عبادة القبور.

٢ ـ ان راوي القصة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فلابد أن يكون رآه، وإذا رآه لابد أن يُنكر عليه، وعدم إنكار علي ـ رضي الله عنه ـ دليل على أنه لم يروه، وإنما نُقلت له فيكون في السند رجل بين علي وذاكر القصة، وهذا الرجل مجهول.

٣ ـ أن الأعرابي قال للنبي ﷺ: وعيت من الله ـ عز وجل ـ ما وعينا عنك، فهذا يدلّ على أن الأعرابي صحابي، ولا يعقل أن يحدث هذا الفعل من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وهم الذين علموا تحذير النبي ﷺ من عبادة القبور، ومن اتخاذ قبره عيدًا[٣].

ويحسن بنا في هذا المقام أن نبيّن معنى هذه الآية: «وهذه الآية مرتبطة بالآيات التي قبلها من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ

---

(١) الصارم المنكي في الرد على السبكي، تأليف: محمد بن أحمد بن عبدالهادي، ص(٣٢١)، ط: مؤسسة الريان.

(٢) التوصل إلى حقيقة التوسل لمحمد بن نسيب الرفاعي، ص(٢٨٠).

(٣) المصدر نفسه، ص(٢١٣).

أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[1]، فإن هذه الآيات تتحدث عن المنافقين حينما دعوا إلى التحاكم إلى النبي ﷺ فأبوا، وتحاكموا إلى الطاغوت وهو كعب بن الأشرف، ولو أن هؤلاء المنافقين الذين وصف صفتهم في هاتين الآيتين، الذين إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدّوا صدودًا، إذ ظلموا أنفسهم باكتسابهم الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت، وصدودهم عن كتاب الله وسُنّة رسوله، إذ دعوا إليها جاؤوك يا محمد حينما فعلوا ما فعلوا من التحاكم إلى الطاغوت جاؤوك تائبين منيبين فسألوا الله أن يصفح عنهم وسأل لهم الرسول مثل ذلك لوجدوا الله توابًا رحيمًا»[2].

ثانيًا: حديث الأعمى:

عن عثمان بن حنيف ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً ضريرًا أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني. فقال: «**إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت وهو خير لك**». قال: فادعه. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني أتوجّه بك إلى ربي في حاجتي لتُقضى، اللهم شفّعه فيّ**».

وفي رواية قال ابن حنيف: «فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا كأن لم يكن به ضر».

وهذا الحديث مما استدلّ به القوم على جواز التوسّل بالذات،

(١) سورة النساء، الآيات: ٦١ ـ ٦٤.
(٢) تفسير ابن جرير (٤/ ١٦٠).

حيث قالوا: إن الرجل قال: أتوجّه إليك بمحمّد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي. ففي هذا جواز التوسّل بالنبي ﷺ، فإذا جاز التوسل بالنبي جاز التوسّل بغيره من الأنبياء والصالحين.

وقد تعرّض علماء البلد الحرام للجواب عن الاستدلال بهذا الحديث من ناحيتين:

الناحية الأولى: من حيث السند.

قال الشيخ محمود شويل رحمه الله: أما الإسناد، فهو أول ما يجب أن يكون الكلام فيه، فإن الاعتقاد وأمره أغلى ما عند المؤمن، فلا يجوز والحالة هذه أن يترك عرضةً للأخطاء... وإسناد هذا الحديث في جميع طرقه عند جميع رواته قد انفرد به راوٍ واحد، هذا الراوي هو أبوجعفر الذي رواه عنه شعبة عند ابن ماجه والترمذي وأحمد، والذي رواه عند هؤلاء الثلاثة عن عمارة بن خُزيمة بن ثابت».

ثم بيّن حال أبي جعفر الذي عليه مدار الحديث، وبيّن الخلاف فيه: هل هو أبوجعفر الخطمي عمير بن يزيد بن عمير بن حبيب الأنصاري المدني ثم البصري، أو أبوجعفر عيسى بن ماهان الرازي التميمي، وخلص إلىٰ ما يلي: حيث قال: «وإذا وصلنا إلى ذلك الدور من التحقيق وجدنا أمامنا أمرين لا مندوحة لنا من اختيار أحدهما:

الأول: أن نذهب قولاً واحدًا إلى أن ذلك الراوي ليس هو الخطمي كما قال الترمذي، وكما رجّح الحافظ ابن حجر.

الثاني: أن نلتزم التوقف، وتجويز كلا الاحتمالين والقولين ريثما يقدر لنا قبس من نور في تلك الدُّجُنَّة[1] نتلمس به ما غُمّ علينا وعلى الباحثين.

وعلى الاحتمالين والقولين لا يصح لنا أن نبادر إلى القول بصحة

---

(١) الدجنة: بضم الجيم أو سكونه، كلاهما صحيح. انظر: القاموس المحيط (٢٠٩/٤)، مادة: دجن.

الحديث. . .».

ثم أخذ يبين كلام العلماء فيمن يسمّىٰ أبا جعفر إلىٰ أن انتهى في نهاية البحث بالقول بعدم صحّة الحديث حيث قال: «بعد هذا البيان الشافي الوافي للمنصف ظهر لنا أن حديث الأعمى ليس من الصحاح ولا الحسان، وأنه لا يجوز لمن لا يرضى لنفسه وعقيدته إلاّ الصحة واليقين أن يعمل به أو إلزام الناس به، أو اتخاذه قاعدة من قواعد الإسلام، أو عقيدة من عقائده، فإن أباجعفر المنفرد بروايته رجل مجهول لا تعرف حاله، ولا يدرى مكانه من الصحة والضعف على وجه اليقين فيجب ردّ أخباره»[1].

وممن سلك هذا المسلك في تضعيف هذا الحديث: عبدالرحمن المعلمي رحمه الله حيث قال: «وأما حديث الأعمىٰ ففي صحّته نظر، فإنه تفرّد به أبوجعفر الخطمي»[2].

وقد تابعهم على ذلك التضعيف: الشيخ محمد الفلاّني رحمه الله حيث قال: «قال الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالسلام رحمه الله: تفرّد به أبوجعفر، فإن كان غير الخطمي فهو ضعيف»[3].

وممن تعرّض لبيان سند هذا الحديث: الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رحمه الله حيث قال: «حديث الأعمى في سنده أبوجعفر مختلف في تعيينه، ومداره عليه، فإن كان الرازي فقال الذهبي في الميزان: قال أحمد والنسائي فيه: ليس بالقوي، وقال الفلاّس، سيء الحفظ، وقال ابن حبّان: ينفرد بالمناكير عن المشاهير، وقال أبوزرعة: يَهِمُ كثيرًا، وقال ابن المديني: كان يخلط ويخطيء. وإن كان أباجعفر الكوفي ـ ويقال البصري ـ مؤذن مسجد العرْيان الذي يروي عن شعبة، وكنّاه

---

(١) القول السديد، ص(٧٤ ـ ٩٠).

(٢) العبادة: لوحة (٥٤٨، ٥٤٩).

(٣) السيف القاطع للنزاع، ص(٨١).

أباجعفر، فقال ابن عدي: ليس له من الحديث إلاّ اليسير، ومقدار ماله لا يتبين صدقه من كذبه، وقال ابن حبان: يخطيء وقد اختلف في كنيته واسم أبيه واسم جدّه، وقال أبوزرعة: واهٍ، وإن كان أباجعفر الخطمي، فقد قال الترمذي بعد أن روى حديث الأعمى ـ عن أبي جعفر المبهم ـ: ليس هو الخطمي. اهـ. وإن كان غير هؤلاء: فلا يحلّ الاحتجاج بما رُوي حتى تثبت عدالته وضبطه، وليس في هذه الطبقة سوى الثلاثة المختلف فيهم، أيُّهم هو»[١].

وقد تكلّم على إسناد هذا الحديث بعض العلماء المتقدمين منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية: حيث فصّل القول في هذا الحديث، وجمع طرقه، وتكلّم عن كل طريق، وخَلُصَ إلىٰ ما يلي، وذلك بعد سياقه لرواية الترمذي حيث قال: «وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي. هكذا وقع في الترمذي، وسائر العلماء قالوا: هو أبوجعفر الخطمي وهو الصواب»[٢].

أما من ناحية المتن:

فعلى القول بصحّة هذا الحديث، فإنه ليس دالاً على ما ذهبوا إليه من جواز التوسل بالذوات، بل هو دالّ على نوع من أنواع التوسّل المشروع، وهو التوسّل بالدعاء.

وقد تعرّض علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ لبيان أن هذا الحديث دال على التوسّل المشروع، حيث قال الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله في توجيه هذا الحديث: «وقد سبقت الإشارة إلى الجواب عنه بأنه من باب التوسّل بدعاء النبي ﷺ كما في الاستسقاء، فإن قوله: «أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد» على حذف مضاف أي: بدعائه وشفاعته كما

(١) تيسير الوحيين، (ص٧٣، ٧٤).
(٢) قاعدة جليلة في التوسّل والوسيلة، ص(١٨٧)، ت: ربيع بن هادي المدخلي.

يقتضيه السياق»[١].

وممّن تعرّض لتوجيه هذا الحديث: الشيخ محمود شويل رحمه الله حيث قال: «فإتيان هذا الأعمىٰ إلى النبي ﷺ قبل أن يطلب منه الدعاء دليل على أنه لا يصح سؤال النبي ذلك ولا دعاؤه، ولا الطلب منه في غيبته. . .» ثم أخذ يبين بعض الأوجه التي تردّ على الزعم الباطل الذي يتزعمه مجيزو التوسل بالأموات وسؤال الغائبين فقال:

١ ـ طلب الدعاء منه ﷺ وقوله: «ادع الله أن يرد بصري» دليل على أنه لا يصحّ سؤال النبي ﷺ ذلك ولا سؤال غيره مثله.

٢ ـ إذا كان دعاء الرسول والصالحين جائزًا في حضرتهم ومغيبهم، وفي حياتهم وبعد مماتهم كماتفعلون، فلماذا لم يدع ذلك الأعمى، في غيبة النبي، بل رأى أنه لابدّ من إتيانه، وطلب ذلك منه حضورًا

٣ ـ إذا كان سؤال الله بحق النبي وبجاهه من الإسلام، فلماذا لم يسأل الأعمىٰ ربه بشيء من ذلك قبل أن يأتي النبي ﷺ.

ثم أخذ في بيان أوجه الرد عليهم من ألفاظ الحديث فقال: «أما قوله: «وأتوجه إليك بنبيك» و«توجهت بك إلى ربي» فالتوجه وما يراد به التوجه بدعاء الرسول ﷺ لا بذاته ولا بشخصه؛ لأن أصل المسألة كان في الدعاء، وفي طلبه من النبي ﷺ، ولم يكن أصلها في سؤال الله بجاهه أو بذاته حتى يصحّ ما زعم المخالف.

وقوله في خاتمة الحديث: «اللهم شفّعه فيّ» فالأمر إذًا أمر شفاعة

ومن الدليل عليه قوله أيضًا: «وإن شئت دعوت» وقد شاء بلا خلاف ولا شك، فقد دعا إذًا بلا خلاف ولا شكّ، لأنه قد علق الدعاء بالمشيئة، والمشيئة قد وقعت فالدعاء كذلك وقع، وهو مثل حديث الاستسقاء بالعباس»[٢].

---

(١) فصل المقال، ص(٣٤).

(٢) القول السديد، ص(٩١ ـ ١٠١).

وممن تعرض لتوجيه هذا الحديث: الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «أمّا ما رُوي من حديث الأعمى الذي جاء إلى النبي ﷺ وطلب منه أن يدعو له، فدعا له، ثم لقّنه دعاء جاء فيه قوله: «**اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة**» فالظاهر أن المراد منه: دعاؤه يوم كان حيًّا، لا ذاته بدليل قوله في نهاية الحديث: «**اللهم فشفّعه في**» أي: اقبل دعاءه لي»(١).

وهذا التوجيه الذي قال به علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ قد قال به علماء أهل السنة والجماعة من قبل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحديث الأعمىٰ الذي رواه الترمذي والنسائي هو من القسم الثاني من التوسل بدعائه ـ أي النبي ﷺ ـ فإن الأعمىٰ قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يردّ الله عليه بصره، فقال له: «**إن شئت صبرت وإن شئت دعوت**» فقال: بل ادعهُ. . فهذا توسّل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، وقد دعا له النبي ﷺ»(٢).

ثالثاً: توسل آدم بالنبي ﷺ:

روى الحاكم بسنده عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه، قال: يا رب، لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله» فعلمت أنك لم تضف إلىٰ اسمك إلّا أحب الخلق إليك. فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليّ، ادعني بحقّه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك**»(٣).

---

(١) جوهر الدين، ص(٢٦).

(٢) قاعدة جليلة في التوسّل والوسيلة، ص(١٨٥).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب: =

وقد تعرّض علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ للكلام على هذا الحديث حيث قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكر رواية الحاكم وتصحيحه لها: «وفي تصحيحه نظر، فليس كل ما صححه مقبولاً. قال المدارسي ـ في كشف الأحوال في نقد الرجال ـ إن عبدالرحمن بن زيد ابن أسلم ضعيف باتفاق، وكذا في تقريب التهذيب»[(١)].

وممن تعرَّض لبيان حال هذا الحديث: الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال بعد إيراده لهذا الحديث: «بل هو حديث باطل لأن في سنده عبدالرحمن بن زيد بن أسلم. قال الذهبي: ضعّفه ابن معين، والنسائي، وابن المديني، وأحمد بن حنبل»[(٢)].

وهذا الذي قرّره علماء البلد الحرام رحمهم الله حول الحديث هو ما قرّره علماء أهل السُّنَّة والجماعة من قبل ـ رحمهم الله ـ.

وهو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه من حديث عبدالله بن مسلم الفهري عن إسماعيل بن سلمة عنه...». ثم قال: و«وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله، فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم في الحديث، وقالوا: إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث»[(٣)].

رابعًا: قصّة توسل عمر بالعبّاس:

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «اللهم إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبينا فاسقنا، قال:

= من كتاب آيات رسول الله التي هي دلائل النبوة (٢/ ٦٧٢) ح(٤٢٢٨) ورواه أبوبكر الآجري في الشريعة (٣/ ١٤١٥) ح(٩٥٦).

(١) فصل المقال، ص(٢٨).

(٢) تيسير الوحيين، (ص٧٢، ٧٣).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص(١٦٧، ١٦٩).

فيُسقون»[١].

وتقرير استدلالهم بهذا الحديث أنّهم قالوا: إن عمر توسّل بالعبّاس، وفي هذا دليل على التوسّل بالذوات.

وهذا الذي قرروه مجانب للحق والصواب، لأن توسّل عمر بالعباس هو من التوسل المشروع، حيث قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أقول: نعم أنطق الله الحق على لسان عمر حتى في هذه المسألة حصل به فصل الخطاب عند أولي الألباب فلو كان التوسل به ﷺ بعد انتقاله من هذه الدار جائزًا لما عدل عنه الفاروق إلى التوسل بعمّه العباس بحضور الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وهم في أمر مهم، فعُدولهم هذا دليل واضح على أن المشروع ما سلكوه، فما أحسن الحجة إذا برزت من فم الخصم فيكون حاكمًا بها على نفسه»[٢].

وهذا الذي قرره الشيخ هو ما دلّ عليه كلام علماء أهل السنة والجماعة من قبل.

منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال بعد سياقه لحديث عمر وتوسله بالعباس ـ رضي الله عنهما ـ «يدل على أن التوسل المشروع هو التوسل بدعائه وشفاعته، لا السؤال بذاته، إذ لو كان هذا مشروعًا لم يعدل عمر والمهاجرون والأنصار عن السؤال بالرسول إلى السؤال بالعباس»[٣]

خامسًا: قصة الإمام مالك مع أبي جعفر المنصور:

عن محمد بن حميد قال: «إن أباجعفر المنصور سأل مالكًا فقال: يا أباعبدالله، أَسْتَقْبِلُ القبلة وأدعو أم أَسْتَقْبِل رسول الله ﷺ، فقال: ولِم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به».

---

(١) تقدم تخريجه ص(١٤٣).

(٢) فصل المقال، ص(٥١).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص(١١٥).

وقد أجاب علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ عن هذه القصة، وبينوا أنها أنها غير صحيحة.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله بعد ذكره لهذه القصة: «فقد ردّ الحفاظ على ابن حميد هذه الحكاية، وذكروا أن إسنادها مظلم منقطع مشتمل على من يُتّهم بالكذب، وقالوا: ابن حميد كثير المناكير، ولم يسمع من مالكٍ شيئًا، بل روايته عنه منقطعة، ومحمد بن حميد الرازي هذا تكلّم فيه غير واحد من الأئمة، ونسبه بعضهم إلى الكذب، فقال يعقوب بن شيبة السندوسي: محمد بن حميد الرازي كثير المناكير، وقال: حديثه فيه نظر، وقال النسائي: ليس بثقة»[١].

وممن تعرّض لبيان حال هذه القصّة: الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رحمه الله حيث قال بعد عرضه لهذه الحكاية: «وهذا باطل لا يُحتجّ بمثله عند النزاع، إذْ هذه الحكاية لا يرويها عن مالِك إلاّ محمد بن حميد الرازي، ولم يثبت له لقي بمالِك قط. قال الذهبي في الميزان: إنه ضعيف، وقال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير»[٢].

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من قبل بطلان الاستدلال بهذه القصة، حيث قال: «وهذه الحكاية منقطعة، فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكًا لاسيما في زمن أبي جعفر المنصور، فإن أباجعفر تُوفي بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة، وتُوفي مالك سنة تسع وسبعين ومائة، وتُوفي محمد بن حميد الرازي سنة ثمان وأربعين ومائتين ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلاّ وهو كبير مع أبيه.

وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث، كذّبه أبوزرعة وابن واره[٣]، وقال صالح بن محمد الأسدي: ما رأيت أحدًا أجرأ على الله منه

---

(١) فصل المقال، (ص٣٠، ٣١).

(٢) تيسير الوحيين، ص(٧٤).

(٣) الحافظ الكبير الثبت أبوعبدالله محمد بن مسلم بن عثمان بن واره الرازي، مات سنة=

وأحذق بالكذب منه.

وقال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير، وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال ابن حبّان: ينفرد عن الثقات بالمقلوبات...

وأصحاب مالك متفقون على أنه بمثل هذا النقل لا يثبت عن مالكٍ قول له في مسألة في الفقه.

ثم بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض ألفاظ الرواية وأنها غير دالة على مقصودهم، فقال قوله: «وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى يوم القيامة»: إنما يدلّ على توسل آدم وذريته به يوم القيامة، وهذا هو التوسل بشفاعته يوم القيامة، وهذا حق.

قوله: «ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم» فإن المعروف عن مالكٍ وغيره من الأئمة وسائر السلف من الصحابة والتابعين أن الداعي إذا سلّم على النبي ﷺ ثم أراد أن يدعو لنفسه فإنه يستقبل القبلة ويدعو في مسجده، ولا يستقبل القبر ويدعو لنفسه...

لذلك قال القاضي عياض في المبسوط عن مالك قال: «لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو، ولكن يسلّم ويمضي»[(١)][(٢)].

سادسًا: حديث يا عباد الله احبسوا:

عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عبادالله احبسوا، يا عباد الله احبسوا، فإن الله حاضر في الأرض ليحبسه**»[(٣)]، فقالوا: إن هذا الحديث

= ٢٧٠هـ، انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٧٥)، قال ابن حجر: ثقة، حافظ، من الحادية عشر. انظر: تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٧).

(١) الشفاء (٢/ ٨٥، ٨٦).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص(١٢٢ ـ ١٢٩).

(٣) أخرجه أبويعلى في مسنده (٩/ ١٧٧)، ح/ ٥٢٦٩، والطبراني (١٠/ ٢١٧) ح/ ١٠٥١، وابن السني في عمل اليوم والليلة ح/ ٥٠٩، كلهم من طريق معروف.

يدلّ على جواز الاستغاثة والتوسل بأصحاب القبور.

وقد تعرّض الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ للكلام على هذا الحديث من ناحيتين:

الأولى: من حيث الإسناد:

فقال عن إسناد هذا الحديث: «فيُجاب عنه بأنه حديث ضعيف، وذكر بعض العلماء أنه حديث منكر، فإنه من رواية معروف بن حسّان وهو منكر الحديث كما قاله ابن عدي».

وقال الذهبي عن معروف بن حسّان: «هو أبومعاذ السمرقندي، قال ابن عدي: منكر الحديث»[(١)].

الثانية: من حيث المتن:

فقال عن متن هذا الحديث: «ومع ذلك فهو لايدلّ على دعاء الميت والغائب لأنه قال فيه: «إن لله حاضر سيُجيبه» فالمنادي حاضر حيٌّ وكّله الله بهذا الأمر، وهو من عباده الذين لا نعلمهم، وما يعلم جنود ربك إلاّ هو، وكل عاقل يتيقن أنه ﷺ لا يأمر بمناداة من لا يسمع ولا يعين من ناداه فلا يعارض هذا الحديث الكتاب والسنة المانعين من صرف الدعاء لغيره تعالىٰ»[(٢)].

والحاصل أن هذا الحديث ضعيف الإسناد لا تقوم به حجة، وعلى فرض ثبوته فإنه لا يدلّ على المراد لأنه دعاء الحاضر فيما يقدر عليه، وهذا الحاضر هم الملائكة، وبهذا يتبين بطلان استدلالهم بهذا الحديث على مرادهم، واللهأعلم.

هذه جملة ما ذكره علماء البلد الحرام من الشبهات حول التوسّل والإجابة عنها، والله أعلم.

---

(١) ميزان الاعتدال (٤/ ١٤٣).

(٢) فصل المقال، ص(٣٧).

المبحث العاشر
الشفاعــة

ومن المسائل التي تناولها علماء البلد الحرام بالبيان والإيضاح: مسألة الشفاعة، وقبل الخوض في هذه المسألة نقدّم بمقدمة إيضاحيَّة:

الشفاعة في اللغة:

قال ابن فارس: «الشين والفاء والعين أصلٌ صحيحٌ يدل على مقارنة الشيئين، والشفع خلاف الوتر»[١].

وجاء في اللسان: «شفع لي يشفع شفاعة وتشفع: طلب»[٢].

وجاء في كتاب النهاية لابن الأثير: «شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع. والمشفِّع: الذي يقبل الشفاعة، والمشفَّع: الذي تقبل شفاعته»[٣].

اصطلاحًا:

قال ابن الأثير: «هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم»[٤].

قال السفاريني: «هي سؤال الخير للغير»[٥].

وعند النظر في هذين التعريفين نجد أن ابن الأثير قصر الشفاعة بدرء المفاسد بينما جعلها السفاريني بجلب المصالح.

وقد عرَّفها بعضهم بأنها المتوسّط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرَّة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٠١) مادة (شفع).
(٢) لسان العرب (٨/ ١٨٤).
(٣) النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٨٥).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٤٨٥).
(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٠٤).

وقد قرر علماء البلد الحرام هذه المسألة، وبيَّنوها أوضح البيان حيث قال الشيخ محمد عبدالظاهر أبوالسمح رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونحن نقول: إن الشفاعة قسمان: شفاعة منفية، أنكرها الله تعالى على المشركين وأمثالهم من أهل الكتاب حيث قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[٢] وقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[٤].

وشفاعة مثبتة بشرطين:

الأول: إذن الله للشافع في الشفاعة.

الثاني: رضاه عن المشفوع فيه.

ودليل ذلك من الآيات: قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[١] وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[٥].

وهذه الشفاعة الثابتة لا تُطلب إلاَّ من الله لا من الملائكة ولا من النبيين والأولياء؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[٦]»[٧].

وهو بهذا يقرر أنواع الشفاعة بأقسامها وشروطها.

وممَّن سار على هذا المنهج في تقرير الشفاعة: الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «ولما كان موضوع الشفاعة من الأمور التي سببت زلل كثير من الناس وأدَّت بهم إلى الشرك بالله وعبادة غيره من

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٢) سورة يونس، الآية: ١٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٣.
(٤) سورة المدثر، الآية: ٤٨.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٤٤.
(٧) الرسالة المكية ص(٦، ٧).

الأولياء والصالحين تحت ستار الأمل في شفاعتهم، حيث قال المشركون عن أوليائهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾(١).

ثم ذكر نماذج من شفاعات الأنبياء لأبنائهم أو آبائهم وعدم تشفيع الله فيهم، فقال بعد ذلك: «فدلَّ هذا على أن الشفاعة لا تكون إلاَّ بإذنه، أي في حدود ما يأذن الله به من الشفاعة لمن ارتضى من عباده.

أي أن الشفاعة لا تكون إلاَّ بشرطين اثنين:

أحدهما: أن يأذن الله بها للشفيع لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(٢).

والثاني: أن يخبر الله الشفيع بمن يريد الشفاعة له بقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾(٣)»(٤).

وممن قرَّر الشفاعة الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «فاعلم أن الشفاعة ثابتة للرسل والأخيار بإذن الله الملك الجبار ولها شرطان لا تنفع بدونهما:

الأول: كون المشفوع فيه من أهل الإيمان والتوحيد لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾(٥) والله سبحانه لا يرضى إلاَّ الإيمان والتوحيد، الذي هو أساس الإسلام، فأهل الشرك والكفر مجرمون.

والثاني: إذن الله للشافع أن يشفع، لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(٦) فلا يشفعون لأحد إلاَّ بعد إذن الله لهم وأمره، فحصول الشفاعة موقوف على رضى الله تعالى، وإذنه فإذًا: الأمر كله

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.
(٤) جوهر الدين ص(٢١، ٢٢).
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

بيده لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾(١) وقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾(٢)»(٣).

وممن قرَّر مسألة الشفاعة على وفق منهج أهل السنة والجماعة الشيخ محمد الفلاني رَحِمَهُ اللَّهُ حيث بوَّب لها بابًا في كتابه «السيف القاطع» قال فيه: «باب في بيان الشفاعة وأنها قسمان:

شفاعة مثبتة، وشفاعة منفية. والمثبتة: ما أثبته الله ورسوله وهي التي تطلب من الله، والمنفية: ما نفاه الله ورسوله وهي التي تطلب من غير الله. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾(٤) كمثل الذين يطلبون الشفاعة من غير الله...» إلى أن قال: «والشفاعة المثبتة بشرطين: إذن الرب تبارك وتعالى للشافع أن يشفع، ورضاه عن المأذون بالشفاعة فيه. وهو سبحانه وتعالى لا يرضى عن الأقوال والأفعال والاعتقادات إلاَّ ما وافق الكتاب والسنة وكان مخلصًا لوجهه»(٥).

وممَّن تعرَّض لبيان هذه المسألة الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال في معرض حديثه عمن تقبل شفاعته ومن لا تقبل: «وقد بيَّن الله على لسان نبيه محمد ﷺ ما دلَّ عليه ظاهر القرآن من تقبل منه ومن لا تنفع شفاعته عنده فيه، كما فصَّل النبي ﷺ ذلك في أحاديث الشفاعة المنقولة عنه بالتواتر، وأنها لا تُطلب منه إلاَّ يوم القيامة حينما يؤذن له ولغيره، وإن كان الله أخبر أنه الشافع المشفَّع. كما يعيّن له أوصاف الذين يؤذن له فيهم يوم القيامة بالشفاعة، وتنفعهم شفاعته،

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الانفطار، الآية: ١٩.
(٣) أجوبة المسائل الثمان ص(١٢، ١٣).
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.
(٥) السيف القاطع للنزاع ص(٧٧، ٧٨).

وأنهم أهل التوحيد. . .» إلى أن قال: «فإذا فهمت هذه الجملة عرفت الشفاعة الجائزة والممنوعة ونجوت من التخليط وإشراك الشفعاء مع الله في ملكه»[(١)].

وهذا الذي قرَّره علماء البلد الحرام هو الذي دلَّت عليه نصوص الكتاب والسنة، حيث جاءت الآيات الدالة على الشفاعة، وأنها لا تتحقق إلاَّ بشروط، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾[(٢)] وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾[(٣)] وقال تعالى: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾[(٤)].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل نبيٍّ دعوة دعابها فاستجيب، فجعلت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة**»[(٥)]

وأجمع السلف الصالح أهل السنة والجماعة على إثبات الشفاعة يوم القيامة كما جاءت في النصوص الشرعية.

قال أبوحاتم وأبوزرعة ـ رحمهما الله ـ: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار. . فكان من مذهبهم. . الشفاعة حق»[(٦)].

وقال السفاريني عند كلامه عن الشفاعة: «انعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة»[(٧)].

---

(١) الطواغيت المقنعة ص(٢٧).
(٢) سورة يونس، الآية: ٣.
(٣) سورة طه، الآية: ١٠٩.
(٤) سورة النجم، الآية: ٢٦.
(٥) رواه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: لكل نبي دعوة مستجابة (١١/ ١١٥) ح(٦٧٣٠٥)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (١/ ١٩٠) ح(٢٠٠).
(٦) عقيدة أبي حاتم وأبي زرعة ص(١٩٩) جمع عبدالله بن محمود الحمدان.
(٧) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٠٨).

الفصل الثالث
توحيد الأسماء والصفات

وفيه تمهيد وسبعة مباحث:

المبحث الأول: **مذهبهم في الأسماء والصفات.**

المبحث الثاني: **مفهوم الإلحاد في الأسماء والصفات**

المبحث الثالث: **أنواع الصفات.**

المبحث الرابع: **القواعد العامة في الأسماء والصفات.**

المبحث الخامس: **عقيدتهم في بعض الصفات:**

١ ـ صفة العلو والاستواء.

٢ ـ صفة الكلام.

٣ ـ صفة اليد.

المبحث السادس: **رؤية الباري في الآخرة.**

المبحث السابع: **معية الله تعالى.**

تمهيد

هذا هو القسم الثالث من أقسام التوحيد، وهو من أشرفها؛ وذلك لشرف معلومه الذي هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذْ العلم يشرف بشرف معلومه، ومعلوم هذا التوحيد هو الذات العلية وما يتعلق بها من أسماء وصفات، وحين التأمل في كتاب الله ـ عز وجل ـ نجد أن الاهتمام بهذا التوحيد ظاهر في ثنايا الآيات لأنه قل أن تجد آية من آيات القرآن الكريم إلا وفيها ذكر لهذا التوحيد، وهو شطر التوحيد إذْ التوحيد ينقسم إلى قسمين باعتبار متعلقه:

أحدهما: التوحيد العلمي الخبري المتضمن لتوحيد الأسماء والصفات.

الثاني: التوحيد الإرادي الطلبي المتضمن تجريد العبادة لله وحده ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

وقد جمع الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ هذين النوعين من التوحيد في سورتي الإخلاص وهما: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾[1]، المتضمنة لتوحيد الألوهية الذي هو التوحيد الطلبي، وسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[2]، المتضمنة إثبات ما يجب إثباته لله ـ عز وجل ـ وتنزيهه عما لا يليق به، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات، كما ذُكر هذا النوع في سُور يونس، والزمر، والحديد، والحشر، وغيرها.

ومن هنا نلاحظ أن توحيد الأسماء والصفات شطر التوحيد.

والعلم بتوحيد الأسماء والصفات أصل العلوم، وذلك لأنه يتعلق

---

(١) سورة الكافرون، الآية: ١.

(٢) سورة الإخلاص، الآية: ١.

بالله ـ عز وجل ـ، فمن عرف الله عرف ما سواه. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : «فالعلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد لسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته»[١].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٨٦).

المبحث الأول
مذهبهم في الأسماء والصفات

لقد تميز السلف في هذا الباب عن غيرهم إذ هم الوسط فيه بين أهل التشبيه وأهل التعطيل، كما تميز منهجهم بالوضوح، فمنهجهم في هذا الباب إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه العزيز، وما أثبته له رسوله عليه الصلاة والسلام في السنة الصحيحة من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل[١].

وقد انقسم الناس في هذا الباب إلى ثلاثة أقسام: طرفان ووسط، مؤمن موحد وصف الله بما وصف به نفسه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وبما وصفه به رسوله ﷺ ونفى عن الله ما نفاه عن نفسه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، وما نفاه عنه رسوله ﷺ مع عدم التعرض للأسماء والصفات بتمثيل أو تشبيه أو تحريف أو تعطيل.

والطرفان هما:

المشبه الذي شبّه صفات الله ـ عز وجل ـ بصفات المخلوقين.

والمعطل الذي عطّل الله ـ عز وجل ـ عما وصف به نفسه من الصفات العُليا.

ولقد سار علماء البلد الحرام على ما سار عليه علماء السلف من قبل حيث أثبتوا لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ، ونفوا مانفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان هذا التوحيد: «إفراده تعالىٰ بإثبات ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ بغير تشبيه ولا

---

(١) الواسطية، بتصرف، ص(٢).

تأويل»[١].

وقال في موضع آخر مبينًا هذا التوحيد: «يوصَف الله بجميع صفات الكمال كما وصف نفسه بمعاني أسمائه الحسنى وصفاته العُليا، وكما وصفه به رسوله وأنبياؤه من قبل، ولا يجوز وصفه إلا بما دلّ عليه الكتاب والسُّنة، أو أُجمع عليه»[٢].

ومن خلال ما سبق من كلام الشيخ نلاحظ أنه يعتمد على القرآن والسنة في إثبات الأسماء والصفات، وهذه الطريقة هي طريقة السلف رحمهم الله، إذ أن من منهجهم الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتًا ونفيًا.

كما أشار رَحِمَهُ اللهُ إلىٰ هذا المنهج بقوله: «إن طريقة السلف إثبات ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه من الصفات مع نفي مشابهة المخلوقات إثباتًا بلا تكييف ولا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[٣]، فسمعه ليس كسمعنا وبصره ليس كبصرنا كذا غيرهما»[٤].

وعلى هذا المنهج سار من جاء بعده من علماء البلد الحرام حيث قال الشيخ عبدالستار الدهلوي رَحِمَهُ اللهُ: «فإن معرفة كنه ذاته تعالىٰ ومعرفة حقايق أسمائه وصفاته تعالى وتفاصيل علوم غيوبه التي لا يعلمها إلا هو مما وقع الإجماع على أنه اختص به الله ذاته العلية، ولم يطلع أحدًا عليه من خلقه أصلاً»[٥]. ومقصوده من هذا بيان أن حقائق كيفيات الأسماء والصفات مما استأثر الله ـ عز وجل ـ بعلمه ولم يطلع عليه أحدًا من

(١) ما لابد منه، ص(٢٣).
(٢) المصدر نفسه، ص(٣٢).
(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٤) ما لابد منه، ص(٣٢).
(٥) التحقيق المصون، لوحة (١١).

خلقه، فعلينا أن نؤمن بما ورد في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات مع قطع الطمع عن إدراك كنهها، لأن ذلك مما استأثر الله بعلمه.

وقال الشيخ أبوالسمح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان توحيد الأسماء والصفات: «وخلاصة القول فيه أن تثبت لله تعالىٰ كل ما أثبته لنفسه في كتابه أو ثبت الخبر به عن النبي ﷺ، وتنفي عنه كذلك كل ما نفاه هو أو رسوله ولا تزيد ولا تنقص»[1].

ثم أخذ يبين بعض الصفات الواردة في الكتاب والسنة ويثبتها فقال: «فعليك أيها المؤمن أن تؤمن بذلك معتقدًا أن الله تعالى ليس كمثله شيء في أسمائه وصفاته...» إلى أن قال: «هذا ما كان عليه السلف فلا يؤولون ولا يشبهون ولا ينفون ولا يمثّلون»[2]. وغرضه في قوله: «ولا ينفون»: أي: ولا ينفون ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، أمّا ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله فإنه يجب نفيه كالسِنة والنوم والإعياء والتعب وغير ذلك.

كما أشار إلىٰ هذا التوحيد في نونيته حيث قال:

«وإليك توحيد الصفات فأثبتن … لله ما قد أثبت الوحيان
من غير تكييف ولا تأويل ذي … جهل أخي «جهم» بلا برهان
وإذا نفى الوحيان وصفًا فانفه … من غير ما زيد ولا نقصان
هذي عقيدتنا التي أسلافنا … كانوا عليها ثابتي «الإيمان»[3]

وفي هذه الأبيات يشير الشيخ إلى ما حدث من جهم الذي كان أول من عدل عن طريق السلف وانحاز إلى طريق الضُّلال في نفي الصفات، كما أنه يشير إلى أن الإثبات والنفي موقوف على الكتاب والسنة، فما جاء فيهما مثبتًا نثبته وما نُفي ننفيه.

---

(١) حياة القلوب، ص(٤٦).
(٢) حياة القلوب، ص(٤٧).
(٣) النونية، ص(١٠٠).

وممن تعرّض لبيان هذا التوحيد الشيخ عبدالحميد الخطيب رحمه الله حيث قال: «فممّا لا جدال فيه عند كل من يؤمن بوجود الله الخالق لجميع الموجودات أنه ـ سبحانه وتعالى ـ متصف بجميع صفات الكمال»(١). وهو بهذا يبيّن أن إثبات الصفات أمر لازم لأنه يتعلق بالذات العلية.

وممّن بيّن منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات الشيخ محمد سلطان المعصومي رحمه الله حيث قال: «وأخص الله تعالىٰ الخالق رب العالمين جل جلاله بما يليق به من صفات الألوهية من القدرة والكمال كما هو معتقد مذهب أهل السنة والجماعة والسلف الصالحين»(٢). كما بيّن هذا المنهج في كتابه «أجوبة المسائل الثمان» حيث قال في معرض حديثه عن صفة الاستواء: «وهكذا سائر الصفات الواردة في الكتاب والسنة. نؤمن بظاهرها بلا كيف، ولا نؤولها بآرائنا، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء»(٣). وبهذا يتبين لنا منهجه في الأسماء والصفات، وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ مع نفي الكيفية والتأويل.

وممن قرر هذا المنهج الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رحمه الله حيث قال: «اعلم أن الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة متقدمهم ومتأخرهم إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ على ما يليق بجلال الله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾(٤)، وأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما أنه يجب العلم بأن الله

---

(١) هل الله مستبد، ص(٣).
(٢) حكم الله الواحد الصمد، ص(٣٢).
(٣) أجوبة المسائل الثمان، ص(١٢).
(٤) سورة الشورىٰ، الآية: ١١.

ذاتًا حقيقية لا تشبه شيئًا من ذوات المخلوقين فله صفات لا تشبه شيئًا من صفات المخلوقين»[١].

وممن تعرّض لبيان منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «وكل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ فهو حق وصدق»[٢]. وقال مبينًا أن الله منزّه عن صفات النقص: «إنه سبحانه منزّه عن النقائص»[٣]. وهو بهذا يجمع بين ركني الأسماء والصفات: النفي والإثبات.

وممن بين منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات: الشيخ محمد الفلاّني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «ويجب علينا الإيمان بجميع ما وصف الله به نفسه في كتابه العزيز، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كإيمان الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ممن قبلنا، فإنهم يؤمنون أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾، فلا ينفون عن الله ما وصف به نفسه، ولا يحرّفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه»[٤].

وقال الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات: «وأنا شديد التحري في مسألة الصفات، فأثبت ما جاء في الكتاب والسنة من الصفات المقدسة كالاستواء واليدين والعين والأصابع والقدم والضحك والكلام، وأجريها على ظاهرها وعلى ما دلّت عليه ألفاظها من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه، فعلمها حاصل لنا بدلالة الكلمات التي خاطبنا الله بها، وإنما أفوّض في الكيفية فقط لأنها هي المجهولة، وأما ما أنبأنا عنه

---

(١) الكواكب الدرية، ص(٢٥).
(٢) حقيقة التأويل، لوحة (١٥)..
(٣) المصدر نفسه، لوحة (١٦).
(٤) السيف القاطع للنزاع، ص(٢٠).

اللفظ اللغوي فهو معلوم لا تفويض فيه»[١]. وهذا تقرير منه لمنهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات القائم على الإثبات والنفي من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.

وممن بيّن منهج أهل السنة في مسألة الصفات الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما المحققون من أهل السنة الجامعون بين المعقول والمنقول كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وابن عبدالهادي، والذهبي وأمثالهم، فيؤمنون بما جاء من صفات الله في القرآن والحديث من غير تأويل وتحريف، ومن غير تشبيه وتمثيل»[٢]. ثم زاد على ذلك وضوحًا فقال: «إننا نؤمن بالله على الوجه الذي أخبر به عن نفسه، وأخبر به رسوله ﷺ مع التنزيه ونفي التشبيه»[٣].

وهذا بيان منه لمنهجه في الأسماء والصفات الموافق لمنهج أهل السنة والجماعة.

وممن تعرّض لبيان منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات: الشيخ سليمان بن عبدالرحمن الحمدان، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي عليه سلف الأمة وأئمتها إثبات ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل»[٤].

وممن أشار إلىٰ هذا المنهج الشيخ: عبدالله بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «فصل في توحيد الأسماء والصفات:

هو اعتقاد انفراد الله بالكمال المطلق من جميع الوجوه لنعوت

(١) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٢٩).
(٢) ظلمات أبي رية، ص(١٥٩، ١٦٠).
(٣) حول ترحيب الكوثري بنقد تأنيبه، ص(٣٧، ٣٨).
(٤) الدّر النضيد، ص(٢٥٤، ٢٥٥).

العظمة والإجلال، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، بل نعتقد أن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه، ولا نحرّف الكلم عن مواضعه، ولا نلحد في أسماء الله وآياته»[١].

وممن أشار إلىٰ منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات: الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال: «والصفات التي أطلقها القرآن والرسول على الله، ووصف الله بها نفسه لعباده على ما يتعارفون بعقولهم ولسانهم، ودلّهم على ذاته بآثارها في خلقه: يكفي المؤمن أن يصدّق بها على مراد الله، تصديقًا إجماليًا من غير تمثيل لها بصفات الخلق التي توافقها في الأسماء، ونعوتهم التي يشاهدون موصوفها»[٢]. وهذا بيان منه لمنهجه في الأسماء والصفات، ولعلّ مراده بقوله: «تصديقًا إجماليًا» أي: إيمانًا بها على ما جاءت في الكتاب والسنة من غير تعرّض للبحث عن كيفياتها، وذلك لأن علم الكيفية محجوبٌ عن البشر.

وممن بيّن منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات: الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال: «توحيد الأسماء والصفات:

وهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن والأحاديث الصحيحة من صفات الله، ووصفه بها على الحقيقة، وعدم التعرض لها بشيء من التكييف أو التعطيل أو التمثيل أو التأويل أو التحريف، واعتقاد أن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾»[٣].

---

(١) كتاب التوحيد، ص(٤٢).

(٢) تيسير الوحيين، ص(٧٩).

(٣) اعتقاد السلف، ص(٧).

وهذا الذي قرره علماء البلد الحرام، هو ما قرره السلف من قبل.

قال ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الأخبار في صفات الله ـ عز وجل ـ جاءت متواترة عن النبي ﷺ موافقة لكتاب الله ـ عز وجل ـ نقلها الخلف عن السلف قرنًا بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل إثبات الصفات لله عز وجل ـ والمعرفة والإيمان به والتسليم لما أخبر الله ـ عز وجل ـ به في تنزيله وبينه الرسول ﷺ عن كتابه مع اجتناب التأويل والجحود، وترك التمثيل والتكييف، وأنه ـ عز وجل ـ أزلي بصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه الرسول ﷺ»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن الإيمان بالله، الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله ـ سبحانه ـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرّفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيّفون ولا يمثّلون صفاته بصفات خلقه»[٢].

---

(١) كتاب التوحيد لابن منده (٣/ ٧).

(٢) العقيدة الواسطية، بتعليق الشيخ ابن جبرين، ص(٨١، ٨٨).

المبحث الثاني
مفهوم الإلحاد في الأسماء والصفات

ومن المفاهيم التي تطرّق لها علماء البلد الحرام بالنقد والإيضاح: مفهوم الإلحاد في أسماء الله وصفاته، وقبل الخوض في بيان كلامهم حول هذا المفهوم نقدّم بمقدّمة إيضاحية عن معنى الإلحاد في اللغة:

الإلحاد لغة:

قال ابن فارس: «اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة.

يُقال: ألحد الرجل، إذا مال عن طريق الحق والإيمان»[(١)].

وقد أوضح علماء البلد الحرام هذا المفهوم، فقال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ في سؤال طرحه حول هذا المفهوم مفاده: «كيف يكون الإلحاد في إثبات أسمائه الحسنى؟ فقال مجيبًا عن هذا التساؤل:

بالإشراك فيها، أو إنكار معانيها، أو التحريف فيها بضرب من التأويل يؤدي إلى التعطيل»[(٢)].

وممن بيَّن أنواع الإلحاد: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «الإلحاد إما يكون بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات، وإما بجعلها اسمًا لهذه المخلوقات كإلحاد أهل الاتحاد»[(٣)].

وممَّن تعرَّض لبيان أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته: الشيخ محمد الفلاّني رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «والإلحاد يكون تارة بجحدها

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٢٣٦) مادة: لحد.

(٢) ما لابد منه، ص(١٩).

(٣) حاشية العقيدة الواسطية، ص(٣).

وإنكارها، وتارة بجحد معانيها وتعطيلها، وتارة بتحريفها عن الصواب بتأويلات باطلة، وتارة بجعلها اسمًا لبعض هذه المخلوقات»[١].

وقد ذمّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإلحاد في أسمائه وصفاته حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها.

ثم ذكر أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى فقال ما ملخصه:

أحدها: أن يسمي الأصنام بها، كتسمية اللات من الإله، والعزّىٰ من العزيز.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبًا.

الثالث: وصفه تعالىٰ بالنقائص، كقول اليهود عنه: إنه فقير ـ تعالىٰ الله عن قولهم ـ.

الرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها، كقول الجهمية: سميع بلا سمع، عليم بلا علم. . .

الخامس: تشبيه صفاته بصفات خلقه، كقولهم: إنّ يد الله كايدينا، وسمعه كسمعنا. . .»[٣].

---

(١) السيف القاطع للنزاع، ص(٢١).
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٣) بدائع الفوائد (٣/ ٣٥).

المبحث الثالث
أنــواع الصفــات

لقد قسّم علماء أهل السُّنَّة والجماعة الصفات إلى ثلاثة أقسام، وهذا التقسيم إنما حدث عندما خاض المتكلمون في صفات الله ـ عز وجل ـ فأولوها وعطلوها وقسّموها إلىٰ صفات: معاني، ومعنوية، ونفسية، ومن هنا اضطر أهل السُّنَّة والجماعة إلى تقسيم الصفات إلىٰ الأقسام التالية[(١)]:

أولًا: من حيث ثبوتها ونفيها. وتنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية:

الثبوتية: هي ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ.

والسلبية: هي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص مع إثبات ضدها من الكمال.

وقد قال علماء البلد الحرام بهذا التقسيم حيث قال أبوبكر خوقير رحمه الله مجيبًا على سؤال طرحه حول توحيد الأسماء والصفات فقال: «هو على نوعين سلب وإثبات:

فالسلب: تنزيه أوصاف كماله عن التشبيه والإنكار، وسلب جميع النقائص والعيوب منفصلة أو متصلة.

والإثبات: هو إثبات أوصاف الكمال من العلو والعظمة . . .»[(٢)].

وهذه القاعدة هي التي يذكرها العلماء عادة في تعريفهم لتوحيد الأسماء والصفات، وما سبق ذكره من كلام علماء البلد الحرام في بيان منهجهم في توحيد الأسماء والصفات يدخل تحت هذه القاعدة.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٢١٧)، ودقائق التفسير (٥/ ٢٢٥).

(٢) ما لابد منه ص(١٩، ٢٠).

ثانيًا: من حيث تعلقها بذات الله ـ عز وجل ـ وأفعاله، وهذا النوع ينقسم إلى قسمين:

صفات ذاتية، وصفات فعلية.

وقد قال علماء البلد الحرام بهذا التقسيم حيث قال الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله مجيبًا عن سؤال: «إلىٰ كم قسم تنقسم صفات الله تعالىٰ؟ فقال في جوابه: «إلىٰ قسمين: صفات الذات، وصفات الأفعال.

صفات الذات: مما استحقه الله تعالىٰ في الأزل، وفيما لا يزال، **فمنها**: ما ثبت بنص الكتاب والسُّنَّة كالوجه واليد والعين، **ومنها**: ما ثبت كذلك واقترنت به دلالة العقل من استحالة أضداده، وهي: الحياة، والقدرة، والعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، ويسميها المتأخرون بالصفات الثبوتية، وصفات المعاني، والصفات العقلية، ويسمون ما سواها بالصفات الخبرية.

وصفات الأفعال: مما استحقه الله تعالى فيما لا يزال دون الأزل كالاستواء، والنزول، والمجيء، والرزق، والإحياء، والإماتة، والعفو، والعقوبة»[1].

فصفات الذات هي الصفات التي لا تنفك عن ذات الباريء في كل الأوقات، بينما الصفات الفعلية هي الصفات المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، متى شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، وتُسمّىٰ بالصفات الاختيارية.

وأفعاله سبحانه وتعالىٰ على نوعين:

١ ـ **لازمة**: كالاستواء، والنزول، والإتيان... وغير ذلك.

٢ ـ **متعدية**: كالخلق، والإعطاء... ونحو ذلك[2].

وقال الشيخ أبوالسمح رحمه الله في بيان الصفات الذاتية والفعلية:

---

(١) ما لابد منه، ص(٣٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٣٣).

«فعليك أن تؤمن بذلك معتقدًا أن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء في أسمائه وصفاته الذاتية والفعلية»[١].

ثالثًا: من حيث ثبوتها وأدلتها، وتنقسم إلى قسمين: صفات خبرية، وصفات سمعية عقلية.

فالصفات الخبرية: ما دلّ عليها الخبر عن الله وعن رسوله ﷺ عن طريق السمع، وتسمىٰ الصفات السمعية وقد تكون ذاتية أو فعلية.

والصفات السمعية العقلية: هي التي يشترك في إثباتها الكتاب والسُّنَّة مع دلالة العقل عليها، وقد تكون ذاتية أو فعلية.

وفيما تقدم من كلام علماء البلد الحرام يتضح لنا أنهم يقولون بهذا التقسيم الذي قال به أهل السُّنَّة والجماعة من قبلهم، والله أعلم.

---

(١) حياة القلوب، ص(٤٦).

المبحث الرابع
القواعد العامة في الأسماء والصفات

والمتتبع لما كتبه علماء البلد الحرام - رحمهم الله - في كتبهم يجد أن لهم منهجًا واضح المعالم حيث بنوا منهجهم في هذا الباب على قواعد وأصول ينبني عليها معرفة الأسماء والصفات، وهذه القواعد بمثابة الأُسس التي يقوم عليها هذا التوحيد. وسوف نلخص هذه القواعد فيما يلي:

القاعدة الأولى: أن أسماء الله وصفاته توقيفية:

والمقصود بهذه القاعدة أنه ليس هناك سبيل لمعرفة أسماء الله وصفاته إلاَّ ما جاء عن طريق الوحي، وذلك لأن الإيمان بالله وصفاته من الإيمان بالغيب، ولا يمكن معرفة الغيب إلاَّ عن طريق الوحي الذي هو الكتاب والسُّنَّة.

والمتتبع لكلام علماء البلد الحرام يجد أنهم ذكروا هذه القاعدة.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض حديثه عما يجب الإيمان به من أسماء الله وصفاته: «ولا يجوز وصفه إلاَّ بما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة»[(١)].

وهذا الذي أشار إليه الشيخ هو معنى القاعدة المشار إليها بأن أسماء الله وصفاته توقيفية أي: لا يتجاوز الكتاب والسُّنَّة في ذلك.

وقال الشيخ المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان هذه القاعدة: «إن أسماء الله تعالى توقيفية وموقوف إطلاق الاسم على الله تعالى على إذن الشرع وروده فيه، فلا يجوز إطلاق اسم عليه تعالىٰ ما لم يرد به إذن الشرع،

---

(١) ما لابد منه، ص(٣٢).

ولا خلاف في جواز إطلاق الأسماء والصفات الواردة في كلام الشرع، وعدم الجواز إذا ورد المنع لقول الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾(١)»(٢).

وممن أشار إلىٰ هذه القاعدة: الشيخ عبدالحق الهاشمي رحمه الله حيث قال: «فالمحك كتاب الله وسُنَّة رسوله، فما لا يقبله الأثر فهو عندي محدث لا يجوز تداول ألفاظه»(٣).

وهذه القاعدة تدخل ضمنًا تحت قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾(٤)، إذ أن من وصف الله بما لم يَرِد في الكتاب والسُّنَّة فقد تقوَّل على الله فيما وصفه به.

القاعدة الثانية: قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية الأسماء والصفات(٥):

والمقصود بهذه القاعدة عدم الخوض في معرفة حقائق كيفيات الأسماء والصفات، لأن علم الكيفيات مما استأثر الله -عز وجل- بعلمه، حيث قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾(٦).

وقد أشار علماء البلد الحرام إلىٰ هذه القاعدة وأوضحوها، فقال الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله في معرض حديثه عن صفة الكلام: «وعلى كل حال فالكيف مجهول، وموكول إليه تعالىٰ لا يعلم حقيقته إلا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٢) حبل الشرع المتين، ص(٤٧).
(٣) المجموعة الثالثة من رسائله في بيان عقيدته، ص(١٣٠).
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.
(٥) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات لمحمد الأمين الشنقيطي، ص(٤٤).
(٦) سورة طه، الآية: ١١٠.

هو»[١]. وفي هذا إشارة إلى أن صفات الله ـ عز وجل ـ لها كيفيات لكن علم هذه الكيفيات محجوب عن البشر وموكول علمه إلى الله.

وقال الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان هذه القاعدة:

«بالكيف لم تعرف ولست بجوهر   لا تشبه المخلوق في الهيئات»[٢]

فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولست بجوهر» نفي الجوهر عن الله، وهذه من الألفاظ المجملة التي يجب الاستفصال عن المراد بها، فلا تُنفى ولا تُثبت إلاَّ بعد معرفة مراد القائل.

وممن أشار إلى هذه القاعدة الشيخ محمد الفلاّني رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «والفرق الناجية لا يكيفون ولا يمثلون صفات الله بصفات مخلوقاته، لأنه تعالىٰ لا سميّ له، ولا كُفُوَ لَهُ، ولا ندّ له، ولا يقاس بخلقه، فإنه أعلم بنفسه وبغيره»[٣]. وهذا بيان منه أن علم كيفيات الأسماء والصفات غير حاصل لنا، فالأولىٰ: عدم الخوض في علم الكيفيات.

وممّن بيَّن هذه القاعدة: الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «وتأويل الصفات بمعنى الكيفية غير حاصل لنا، وإنما الحاصل للراسخين في العلم هو معرفة معانيها ودلالاتها على الحقيقة»[٤].

القاعدة الثالثة: القول في الصفات كالقول في الذات[٥]:

والمقصود بهذه القاعدة: أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أن لله ذاتًا لا تشبه الذوات، فكذلك له صفات لا تشبه الصفات.

---

(١) تحرير الكلام في جواب الهندي عن صفة الكلام، لوحة (١٧).

(٢) مناجاة الله، ص(٢٨).

(٣) السيف القاطع للنزاع، ص(٢٥).

(٤) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٣٠).

(٥) انظر: الرسالة التدمرية، ص(٤٠)، والتبصير في معالم الدين لابن جرير الطبري ص(٤٥).

وقد أشار علماء البلد الحرام إلىٰ هذه القاعدة ضمن حديثهم عن توحيد الأسماء والصفات.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والصفة تابعة للموصوف، فإذا كانت الذات مجهولة الكيف، ولا تشبه الذوات، فالصفة كذلك»[(١)]. وهذا بيان منه لهذه القاعدة، إذ الكلام في الصفات فرع عن تصور الذات الإلهية، فإذا كانت الذات الإلهية مجهولة الكيفية بالنسبة لنا فكذلك كيفية الصفات.

وممن بيّن هذه القاعدة الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال في بيان أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات: «لأن الصفة تابعة للموصوف، فكما أن الموصوف سبحانه لا تُعلم كيفية ذاته فكذلك لا تُعلم كيفية صفاته مع أنها ثابتة في نفس الأمر»[(٢)].

وممن أشار إلى هذه القاعدة: الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «غالب الصفات يختلف تصورها تبعًا لاختلاف تصور الموصوف بها، فيقال للصبي الغر والأعرابي الجلف: «يد إنسان» فيتصور شيئًا، ثم يقال له: «يد فرس» فيتصور شيئًا، ثم يقال له: «يد طائر» فيتصور شيئًا ثالثًا، وهكذا. فإذا قيل له: «يد الله» فقد يتخيل شيئًا ما، فإذا رجع إلى عقله علم أن ذلك التخيل: خرص وتخمين، ثم يقول: ما رأيت الله - عز وجل - ولا رأيت ما يماثله فكيف يتهيأ لي تصور يده؟ وهذه حقيقة متفق عليها بين العقلاء، وهي أن الإنسان لا يدرك إلا ما أحس به، أو أحس بفرد أو أفراد مماثلة له، ولا يدرك مما أحسّ به وأحس بما يماثله إلاَّ ما تناوله الإحساس، ولا يدرك مما أحس بما يماثله إلا ما يعلم أنه قدر مشترك بينهما، فلسنا ندرك في صفات الله - عز وجل - إلا ما يتصف المخلوق بما يشبهه، فاستدللنا بآثاره على وجوده،

---

(١) ما لابد منه، ص(٣٤).

(٢) حاشية العقيدة الواسطية، ص(٣).

لأننا نعرف الوجود من الجملة بوجود الخلق الذين نحسّ بهم، ونعلم أن الأثر يدلّ على موجود مؤثر. وهكذا بقية الصفات، مع العلم بأن صفات الرب ـ عز وجل ـ واجبة كاملة مبرأة، وأن صفات المخلوق فانية، ناقصة معيبة، ولكن ذلك لا يمنع وجود اشتراك في الجملة يتهيأ به الإدراك»[١].

وممن أشار إلى هذه القاعدة الشيخ محمد الفلاّني رحمه الله حيث قال: «ولا شك أن ذات الله مخالفة لذوات مخلوقاته، وصفاته مخالفة لصفات مخلوقاته. والدليل على ذلك هذه الآية[٢] المذكورة، ومن شبه الله بمخلوقاته أو شبه صفاته بصفات مخلوقاته فقد كفر بالله ـ سبحانه وتعالى ـ»[٣]. وهو بهذا يبيّن أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات، فكذلك صفاته إذ الكلام في الصفات فرع عن إدراك كنه ذاته.

وممّن بيّن هذه القاعدة الشيخ عبدالحق الهاشمي رحمه الله حيث قال: «وصفات الله ـ عز وجل ـ كذاته ليست من جنس صفات المخلوقين، وهي على ظاهرها اللائق بجلال الله من دون تشبيه، ولا ننفي شيئًا منها بالتعطيل أو التأويل ولا نفوض علمها كلية، فعلمها حاصل، وإنما نفوض كيفيتها»[٤].

وممّن تعرض لذكر هذه القاعدة: الشيخ سليمان الحمدان رحمه الله حيث قال: «فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذي حذوه، فكما أنا نثبت لله ذاتًا لا تشبه الذوات، فكذلك نثبت له صفاتٍ لا تشبه الصفات»[٥].

---

(١) حقيقة التأويل، لوحة (١٦).
(٢) ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ...﴾ سورة الملك، الآيتان: ١٦، ١٧.
(٣) السيف المسلول، ص(١٥).
(٤) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٣٢).
(٥) الدر النضيد، ص(٢٥٥).

وممّن بيّن هذه القاعدة الشيخ عبدالله بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين. فمن قال: لا أعقل علمًا ويدًا إلاَّ من جنس العلم و اليد المعهودة قيل له: فكيف تعقل ذاتًا من غير جنس ذات المخلوقين»[(١)].

القاعدة الرابعة: القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر[(٢)]:

والمقصود بهذه القاعدة أن الكلام في الصفات واحد، فمن يحاول إثبات بعضها ونفي بعضها الآخر يلزم بهذه القاعدة، فيقال له: ما الفرق بين ما أثبتّ وما نفيت؟ وحينئذٍ يحير جوابًا.

وقد أشار علماء البلد الحرام إلىٰ هذه القاعدة، فقال الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ردّه على من يثبت بعض الصفات ويؤول بعضها الآخر: «فإنهم متفقون مع السلف على إثبات صفات: الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام.

ومن المسلَّم به أنَّا لا نعقل من الحياة إلاَّ هذا العَرض الذي يقوم بأجسامنا، وكذلك لا نعقل من السمع والبصر إلاَّ أعراضًا تقوم بجوارحنا فكما أنهم يقولون: «إن حياة الله ليست عرضًا وعلمه وبصره كذلك، بل هي صفات تليق به لا كما يليق بالمخلوقين، فلماذا لا يقولون بما يقوله السلف من أن حياته تعالىٰ معلومة ولكنها ليست مكيفة، وكذلك سمعه وبصره، ومثل ذلك عينه وفوقيته واستواؤه ونزوله.

ففوقيته معلومة أي ثابتة كثبوت حقيقة السمع والبصر غير مكيفة، بل كما تليق به تعالىٰ، ومثل ذلك استواؤه ونزوله ثابتان غير مكيفين بحركة وانتقال يليق بالمخلوقات، وصفاته معلومة من حيث الجملة

---

(١) كتاب التوحيد، ص(٥٧، ٥٨).
(٢) انظر: الرسالة التدمرية، ص(٣١).

والثبوت بحسب ما تدل عليه مخلوقاته وآلاؤه، وغير معقولة من حيث التكييف والتحديد لأن ذلك فوق مستوى العقول والعلم الإنساني.

وهذا هو مراد الله منّا في إبراز صفاته لنا لنعرفه بها ونؤمن بحقائقها وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتأويل، لا فرق بين الاستواء والسمع ولا بين النزول والبصر لأن الكل قد ورد في كلام الله»(١).

وهذا الإلماح لهذه القاعدة كان في ثنايا ردّه على الأشاعرة الذين يثبتون بعض الصفات وينفون بعضها الآخر.

وقال الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن قال قائل إنما استقامت لك الحجة لأنك مثّلت بالحياة واليد، ومن الصفات ما لا يظهر استقامته بتلك الحجة فيه، ومن ذلك كون الله عز وجل على عرشه فوق سماواته، وكونه ينزل كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا ويجيء يوم القيامة، وغير ذلك.

أقول: «والقول للمعلمي»: الحجة مستقيمة في ذلك كله»(٢).

ومعنى كلامه أن القول في هذه الصفات التي ذكرها المعترض مثل: الكلام في صفة الحياة واليد، وهذا تحقيق منه لهذه القاعدة.

وممّن أشار إلىٰ هذه القاعدة: الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال في ردّه على أبي رية: «أمّا إن كان إنكاره لإثبات قدم أو رِجل لله ـ تعالى ـ يضعه في جهنم فينزوي بعضها ببعض وتقول: قطٍ قطٍ، فلينكر ما أثبت الله لنفسه من الوجه والعين والسمع والبصر واليدين والأصابع إلىٰ غير ذلك، فكله من وادٍ واحد: إثبات بغير تشبيه ولا تكييف، وتنزيه من غير تعطيل ولا تحريف»(٣).

ومن خلال ما سبق ذكره نلاحظ أن علماء البلد الحرام ينطلقون في

---

(١) أسمى الرسالات، ص(٢٥٣، ٢٥٤).

(٢) حقيقة التأويل، لوحة (١٨).

(٣) ظلمات أبي رية، ص(٢٥٨).

باب الأسماء والصفات مما انطلق منه أهل السنة والجماعة في الإثبات والنفي، وتقعيد هذه القواعد لتكون لهم ركائز في باب الأسماء والصفات، والله أعلم.

المبحث الخامس
عقيدتهم في بعض الصفات

وبعد ذكر هذه القواعد المهمة في أسماء الله وصفاته، نورد بعض كلامهم في بعض الصفات التي حصل فيها نزاع بين السلف والخلف، فمن ذلك ما يلي:

١ ـ صفة علو الله عز وجل واستوائه على عرشه:

وقبل أن نعرض لكلام علماء البلد الحرام حول هذه الصفة نورد الأدلة عليها من الكتاب والسنة، حيث نجد أن لفظة «الاستواء» وردت في القرآن على ثلاثة أحوال، فتارة تكون متعدية بنفسها نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾[(١)]، فمعنى الاستواء هنا: التمام والكمال[(٢)]، وتارة تكون متعدية بعلىٰ كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[(٣)]، ومعناه هنا: علا وارتفع[(٤)]، وتارة تكون متعدية بإلىٰ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ﴾[(٥)]، ومعناه هنا: قَصَد[(٦)].

وقد ورد إثبات استواء الله على عرشه في سبع مواضع من القرآن[(٧)].

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٤.
(٢) تفسير ابن جرير (١٠/ ٤١).
(٣) سورة طه، الآية: ٥.
(٤) تفسير ابن جرير (٨/ ٣٩١).
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٩.
(٦) تفسير البغوي (١/ ٧٨).
(٧) الأعراف (٥٤)، يونس (٣)، الرعد (٢)، طه (٥)، الفرقان (٥٩)، السجدة (٤)، الحديد (٤).

وقد قرر علماء البلد الحرام أن الله في السماء مستوٍ على عرشه بائن من خلقه كما يليق بجلال الله وعظمته.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ مجيبًا على سؤال مفاده: «ما بال السلف يطيلون الكلام على بعض الصفات مثل الاستواء؟» فقال مجيبًا عن ذلك: «لكثرة ما جاء في الكتاب والسنة فقد ذُكر في سبع مواضع من القرآن الكريم وأفتى فيه السلف جميعهم بقولهم: «الاستواء معلوم والكيف مجهول»(١)»(٢).

كما فنّد رَحِمَهُ اللَّهُ الدعوى القائلة: بأنّه يلزم من إثبات بعض الصفات بعض اللوازم الفاسدة، فقال: لا يلزم شيء من الإثبات مع التنزيه، ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، ومن فهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء ما يناسب صفات المخلوقين فقد غوى، وقد فطر الله القلوب على طلبه من جهة العلوّ فلم يقل قائل: يا الله إلاَّ وجد من قلبه ضرورة لطلب العُلُوّ لا يلتفت يَمْنةَ ولا يسْرَة ولا يمكن إزالة تلك الضرورة عنه»(٣).

وهو بهذا يقرّر ما قرره السلف من قبل من استواء الله على عرشه وعلوه على خلقه.

وقال الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان استواء الله على العرش:

«ولك استواء لائق بك فوقه لسنا نكيّفه بمحسوسات»(٤)

كما قال في بيان علو الله على خلقه:

---

(١) يشير إلى ما رُوي عن أم سلمة وربيعة ومالك، انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ٣٩٧، ٣٩٨).

(٢) ما لابد منه، ص(٣٧).

(٣) المصدر نفسه، ص(٣٩، ٤٠).

(٤) أسمى الرسالات، ص(٢٦٨).

فلـــك العلـــو مـــؤكـــد لكنـــه ما كان مقصورًا على الرتباتِ
بل فوق ما يتصور الإنسان من معنى علو الذات والرِّفعاتِ
أنت العلي وذاك وصفك ثابت وإليك يصعد طيب الكلماتِ»[(١)]

وفي هذا بيان منه بأن الله ـ عز وجل ـ متصف بالاستواء على العرش، كما أنه متصف بعلوه على خلقه من جميع الوجوه ذاتًا وقدرًا وقهرًا.

وقال الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فاعلم أن الله ـ عز وجل ـ قد ذكر في آيات كثيرة من القرآن المبين أنه ـ سبحانه و تعالىٰ ـ استوى على العرش كما في سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[(٢)]، وفي سورة السجدة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[(٣)]، وفي سورة الملك: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾[(٤)]، وغيرها من الآيات البينات الظاهرات.

والأحاديث الصحاح عن رسول الله ﷺ في هذا الباب كثيرة، ومن أدلها وأصرحها على هذه المسألة: قصة المعراج[(٥)] كما لا يخفىٰ، وكذا قصة الجارية التي حينما قال رسول الله ﷺ لها: «**أين ربك؟**» فأشارت إلى السماء، فقال رسول الله ﷺ: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[(٦)]»[(٧)].

---

(١) المصدر السابق، ص(٢٦٩).
(٢) سورة طه، الآية: ٥.
(٣) سورة السجدة، الآية: ٤.
(٤) سورة الملك، الآيتان: ١٦، ١٧.
(٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ، فرض الصلوات، (٢٠٩/٢). ورواه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ (٢٠٣/٨).
(٦) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب: تحريم الكلام في الصلاة، (٣٨١/١)، ح(٥٣٧).
(٧) أجوبة المسائل الثمان، ص(٣٥، ٣٦).

كما تعرض لبيان هذه الصفة في أكثر كتبه منها: «أجوبة المسائل الثمان»[(١)]، و«البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع»[(٢)]، و«حبل الشرع المتين»[(٣)].

وقال الشيخ محمد بن مانع رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[(٤)]، الاستواء: هو العلو والارتفاع، فهو ـ سبحانه ـ كما أخبر عن نفسه فوق مخلوقاته مستوٍ على عرشه»[(٥)].

وقال في موضع آخر: «فاستواء الباريء تعالى على عرشه استواء حقيقي يليق بذاته تعالى من غير تكييف ولا تشبيه لصفاته بصفات خلقه»[(٦)].

وممن قرر هذه الصفة: الشيخ محمد مخدوم رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «فيا أيها الإخوان قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[(٧)]، سبع مرّات في قرآن الله، وعلى طريقة الأصوليين إخبار الشارع آكد عن أمره فآمنا بكلام الله بلا أي تحريف أو تأويل أو تكييف كما آمن أصحاب الرسول ﷺ والتابعون ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ[(٨)]». وهذا تقرير منه رَحِمَهُ اللَّهُ لمذهب أهل السُّنَّة والجماعة في صفة الاستواء.

وممن أشار إلىٰ هذه الصفة: الشيخ محمد الفلاني رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: «ووصف نفسه بأنه فوق العرش في سبعة مواضع ـ ثم أخذ يذكر

---

(١) انظر: ص(٤١، ٤٢).
(٢) انظر: ص(٢٣، ٢٤).
(٣) انظر: ص(٤٣).
(٤) سورة طه، الآية: ٥.
(٥) حاشية العقيدة الواسطية ص(٨).
(٦) الكواكب الدرية ص(٢٨).
(٧) سورة طه، الآية: ٥.
(٨) التفكير، ص(٢٥).

هذه المواضع ـ ثم قال بعد ذلك: وقد ذكر الأئمة ـ رحمهم الله تعالىٰ فيما صنفوه في الردّ على نفاة الصفات من الجهمية، والمعتزلة والأشاعرة أقوال الصحابة والتابعين، فمن ذلك ما رواه الحافظ الذهبي في كتاب «العلو»، وغيره بالأسانيد الصحيحة عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان والجحود به كفر»[١].

وثبت عن سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «لما سُئل ربيعة بن عبدالرحمن كيف الاستواء؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق»[٢].

وقال ابن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنا عند مالك فدخل رجل فقال: يا أبا عبدالله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾. كيف استوى؟ فأطرق مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأخذته الرحضاء، وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف؟ وكيف عنه مرفوع وأنت صاحب البدعة أخرجوه». رواه البيهقي بإسناد صحيح عن ابن وهب، ورواه عن يحيى ابن يحيىٰ ـ أيضًا ـ، ولفظه قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[٣].

---

(١) رواه اللالكائي في شرح السنة (٣/ ٣٩٧) برقم (٦٦٣). قال شيخ الإسلام بعد ذكر قول مالك: وقد رُوي هذا الجواب عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ موقوفًا ومرفوعًا ولكن ليس إسناده مما يُعتمد عليه. مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥).

(٢) رواه اللالكائي في شرح السنة (٣/ ٣٩٨) برقم (٦٦٥). ورواه الذهبي في العلو. انظر: مختصر العلو ص(١٣٢) برقم (١١١). قال الألباني: وهو صحيح.

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ٣٩٨). والبيهقي في الأسماء والصفات بسندين آخرين إلى مالك من طريق عبدالله بن وهب ويحيىٰ بن أبي يحيى، انظر: الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥). وجَوّد ابن حجر إسناد بن وهب، انظر: الفتح (١٣/ ٤٠٦). وقال محقق الأسماء والصفات للبيهقي: إسناده =

إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحاصل أن جميع الصحابة والتابعين والأئمة وجميع السلف الصالح أثبتوا ما أثبته الله لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ على الحقيقة على ما يليق بجلال الله وكماله وعظمة قدرته، ونفوا عنه مشابهة المخلوقين بلا تمثيل ولا تكييف، وهذا هو الإيمان بالله على مراده»[(١)].

وممن تعرَّض لبيان هذه الصفة: الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: «فذهب الجمهور إلىٰ تسليم الاستواء من غير بيان الكيفية، وهو مذهب السلف الصالح، وذهب بعضهم إلى تأويل معنى الاستواء، وهو مذهب المتأخرين من العلماء، ولهم في ذلك تأويلات مختلفة مشهورة ذكرها شرّاح البخاري، ليس هذا المختصر محل بسطها.

والمذهب الأول هو الحق الذي أميل إليه وهو المنقول عن أم المؤمنين أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ كانت تقول: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر». وهو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة قديمًا وحديثًا»[(٢)]. ومن هذا يتضح لنا أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يثبت صفة الاستواء لله ـ عز وجل ـ من غير تأويل أو تعرّض للخوض في كيفيتها.

وممن بيّن هذه الصفة: الشيخ عبدالله بن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال في بيان صفة الاستواء: «ولا يجوز تأويل الاستواء على العرش بالاستيلاء؛ لأنه لو كان كذلك لم يكن ينبغي أن يخص العرش بالاستيلاء عليه دون سائر خلقه إذ هو مستول على العرش وعلى الخلق، ليس للعرش مزيّة»[(٣)]. وهذا بيان منه لبطلان تأويل من تأوّل الاستواء بالاستيلاء.

= صحيح إلىٰ مالك (٢/ ٣٠٥).

(١) السيف القاطع للنزاع من ص(٢٣) إلى ص(٢٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص(٩٢).

(٣) كتاب التوحيد، ص(٤٥).

ثم بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ إثباته لهذه الصفة بقوله: «فمن صفات الله التي وصف بها نفسه: الاستواء. قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ...﴾[1]، ثم ذكر الآيات الدالة على الاستواء، وقول الإمام مالك، وقال معلِّقًا عليه: «وهذا الجواب من مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في الاستواء كافٍ شافٍ في جميع الصفات...»[2].

وممّن تعرّض لبيان صفة الاستواء: الشيخ عبدالله خياط رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «أدلة علو الله على العرش:

ثبت بالقرآن والسنة، والفِطر السليمة، والعقول المستقيمة: أن الله تعالىٰ مستوٍ على عرشه، عليّ علىٰ خلقه، بائن منهم، وعلمه في كل مكان»[3].

ثم ذكر الآيات والأحاديث الدالة على ذلك، وقال: «له العلو المطلق: علوّ الذات، وعلوّ القدر، وعلوّ القهر»[4].

والحاصل أن علماء البلد الحرام مثبتون لصفة الاستواء والعلوّ على ما يليق بالله جل جلاله، وهم بهذا الإثبات موافقون لدلالة الكتاب والسُّنَّة وكلام سلف الأمة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ...﴾[5].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾[6].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.
(٢) كتاب التوحيد، ص(٤٥).
(٣) اعتقاد السلف، ص(١٢، ١٣).
(٤) المصدر نفسه، ص(١٤).
(٥) سورة يونس، الآية: ٣.
(٦) سورة الرعد، الآية: ٢.

وقد ذُكر استواء الله على عرشه في القرآن في سبعة مواضع.

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[3].

وقال في شأن عيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾[5].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**لمّا قضى الله ـ عز وجل ـ الخلق كتب كتاباً، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي**»[6].

وعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع فقال: «**إن الله ـ عز وجل ـ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفض به، يُرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل**»[7].

وفي حديث الجارية حينما سألها النبي ﷺ: «**أين الله؟**» قالت: في

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٥) سورة النساء، الآيتان: ١٥٧، ١٥٨.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ (١٣/ ٥٤٠)، ح(٧٤٥٣) فتح. ومسلم في كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٤/ ٢١٠٧)، ح(٢٧٥١).

(٧) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام (١/ ١٦١)، ح(١٧٩). والدارمي في الردّ على الجهمية ص(٥٣). والآجري في الشريعة (٣/ ١٠٨٣) برقم (٦٥٩).

السماء. قال: «**فمن أنا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعتقها فإنّها مؤمنة**»[١].

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً**»[٢].

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٣].

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «إن الله ـ عز وجل ـ كان على عرشه قبل أن يخلق شيئًا»[٤].

وقال عبدالله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ:

«شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرين
وأن العرش فوق الماء طافٍ وفوق العرش رب العالمين»[٥]

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «ونحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء وكما شاء»[٦].

وقال ابن خزيمة رحمه الله: «فنحن نؤمن بخبر الله ـ جل وعلا ـ أن خالقنا مستوٍ على عرشه، لا نبدّل كلام الله، ولا نقول قولاً غير الذي قيل

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب: تحريم الكلام في الصلاة (١/ ٣٨١)، ح(٥٣٧).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: بعث علي وخالد إلى اليمن (٧/ ٦٦٥)، ح(٤٣٥١) الفتح، ومسلم في كتاب الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/ ٧٤٢)، ح(١٠٦٤).
(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ٣٩٥) برقم (٦٥٧).
(٤) المصدر نفسه (٣/ ٣٩٦) برقم (٦٦٠).
(٥) ذكرها الدارمي في الردّ على الجهمية، ص(٤٧). والذهبي في السِّيَر (١/ ٢٣٨).
(٦) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (١/ ٣٤٢).

لنا»[١].

وقال الآجرّي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذه السُّنن قد اتفقت معانيها، ويُصدّق بعضها بعضًا، وكلها تدلّ على ما قلنا، إن الله ـ عز وجل ـ على عرشه فوق سماواته، وقد أحاط علمه بكل شيء»[٢].

وقد دار حوار بين أبي المعالي الجويني والهمذاني، فكان أبوالمعالي يقول: كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان عليه. فقال الهمذاني: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها، ما قال عارف قط: يا الله إلاّ وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا. فقال: يا حبيبي ما ثم إلاّ الحيرة ولطم رأسه ونزل، وبقي وقت عجيب، وقال فيما بعد: حيّرني الهمذاني»[٣].

٢ـ صفة الكلام:

وهي صفة ذاتية فعلية فباعتبار تعلقها بإرادة الله ـ عز وجل ـ ومشيئته تعتبر صفة فعل لأن الله يتكلم متى شاء وبما شاء وكيف شاء، وأمّا من حيث نوعها فهي صفة ذاتيّة.

وقد قرّر علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ هذه الصفة لله ـ عز وجل ـ على ما يليق به.

قال أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض حديثه عن صفة الكلام: «وأجمع عليه أهل السُّنَّة فقالوا: لم يزل الله متكلمًا ولا يزال متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وقالوا: إنه صفة ذات وفعل معًا»[٤].

---

(١) كتاب التوحيد (١/ ٢٣٣).

(٢) كتاب الشريعة (٣/ ١٠٩٥).

(٣) سِير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٥). ومختصر العلوّ، ص(٢٧٦، ٢٧٧).

(٤) تحرير الكلام، لوحة (٧).

بل إنا نجده يفرد هذه المسألة برسالة خاصة[١] ردّ فيها على من أنكر هذه الصفة ودحض شُبههم بالعقل والنقل حيث قال: «وجميع الأدلّة النقلية صريحة في إثبات صفة الكلام له كما هو المتبادر على الإطلاق، وفيها إخباره تعالىٰ عن نفسه بأنه متكلم بالوحي والقرآن، وأن كلامه بصدور أهل العلم والإيمان، وأنه المكتوب في صحف مطهرة، وأنه المقروء المتلو عند تلاوة الإنسان»[٢].

بل إنه رَحِمَهُ اللهُ أثبت أن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه حيث قال: «اعلم أن أهل السُّنَّة وفي مقدمتهم السلف أجمعوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وكذلك الكتب المنزلة وما ينسب إليه تعالىٰ من الكلام حروفه ومعانيه»[٣].

وهذا الذي قرّره هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة الذي عليه أجمعوا.

وممن سار على نفس المنهج في تقرير مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في صفة الكلام الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللهُ حيث قال تحت عنوان: «القرآن كلام الله تعالىٰ:

«هو من كلام الله يسَّره لنا ... بلساننا بالنص في الآيات
وأتى به جبريل نقلاً عنه لا ... بتصرف في الوحي للسورات
عربية آياته قد فُصلت ... نزل الأمين بها على دفعات
إذ أنما التكليم منه حقيقة ... ثبتت لموسى ساعة الميقات
ناداه موسى استمع لي إنني ... أنا ربك المعبود فرد الذات»

إلىٰ أن قال رَحِمَهُ اللهُ:

---

(١) تحرير الكلام في الجواب عن سؤال الهندي في صفة الكلام، تعرض فيها للردّ على سؤال طُرح عليه حول صفة الكلام فأجاب بهذه الرسالة التي تقع في «١٩» لوحة.

(٢) المصدر نفسه، لوحة (١٥).

(٣) المصدر السابق، لوحة (٤).

«ولقد غدا هذا دليلاً قاطعًا بسماع موسىٰ الحروف والأصوات
لكن بلا كيف فموسى لم يطق وصفًا لما لا يشبه الهيئات
هو منه حاشا أن نقول بخلقه صفة الكلام لصاحب الكلمات»(١)

وخلاصة كلامه أنه يقول: أن القرآن كلام الله ـ عز وجل ـ أتىٰ به جبريل إلى النبي ﷺ بدون تصرف فيه، وأن الله ـ عز وجل ـ كلّم موسىٰ كلامًا حقيقيًا بحرف وصوت، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهذا القول موافق لكلام أهل السُّنَّة والجماعة في صفة الكلام.

وقال الشيخ محمد سلطان المعصومي رحمه الله مبينًا أن القرآن كلام الله ـ عز وجل ـ غير مخلوق: «إن القرآن كلام الله تعالىٰ، فمن قال: إن القرآن الذي هو كلام الله كلام البشر أو مخلوق فقد كفر»(٢).

وممن أثبت صفة الكلام لله ـ عز وجل ـ: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رحمه الله حيث قال: «وأهل الحق يقولون: إن كلام الله منزّل غير مخلوق، ومنه بدأ وإليه يعود، وحروفه ومعانيه عين كلام الله، وليست حروفه مخلوقة لتدلّ عليه، فإنّ هذا قول خبيث باطل»(٣). وهو بهذا يبين أن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه، وأنه غير مخلوق.

وممّن ذكر هذه الصفة مثبتًا لها على وفق منهج أهل السُّنَّة والجماعة: الشيخ عبدالرحمن المعلمي رحمه الله حيث قال: «العقول الفطرية قاضية بأنّ لله تعالىٰ الكمال المطلق، والقدرة التامة، وأنه متى شاء أن يتكلم الكلام الحقيقي المعروف بعبارة وحرف وصوت تكلّم كيف شاء، ثم جاءت كتب الله تعالى ورسله بإثبات أنه سبحانه تكلّم ويتكلّم، وكّلم ويكلّم، وقال ويقول، ونادىٰ وينادي، وأن القرآن هذا

---

(١) أسمى الرسالات، ص(٢٦٦، ٢٦٧).
(٢) حبل الشرع المتين، ص(١١٠).
(٣) حاشية عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، ص(٣٥).

المعروف كلام الله على الحقيقة الحقة»[١].

ومن خلال كلامه نلاحظ أنه يثبت أن الله تكلّم في الماضي ويتكلم في الحاضر، كما هو معروف في حديث النزول، وكلّم موسىٰ، ويكلّم أهل الجنة يوم القيامة.

وممن أثبت هذه الصفة لله ـ عز وجل ـ على ما يليق به: الشيخ عبدالحق الهاشمي رحمه الله حيث قال: «وكلام الله غير مخلوق، وهو صفة من صفاته، وإنما عمل العبد مخلوق وهو من فعله، وهو ـ سبحانه وتعالىٰ ـ متصف بصفات الفعل في الأزل»[٢].

وممّن قرّر اتصاف الله ـ عز وجل ـ بهذه الصفة: الشيخ سليمان بن عبدالرحمن الحمدان رحمه الله حيث قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾: «وفي الآية الرد على من زعم أن كلام الله مخلوق وعلى القائلين بالكلام النفسي»[٣]. وهو بهذا يبين بطلان قول المعتزلة والأشاعرة.

وممّن أثبت صفة الكلام لله ـ عز وجل ـ: الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله حيث قال: «وفي معتقد أهل السُّنَّة والجماعة: أن الله ـ عز وجل ـ لم يزل متكلّمًا بكلام إذا شاء متى شاء، قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[٤]»[٥].

وممّن أثبت هذه الصفة: الشيخ عبدالله خياط رحمه الله، حيث قال: «القرآن كلام الله تعالىٰ، منزّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو الكتاب العربي المُبين، لفظه ومعناه تكلّم به الله، سمعه جبريل من ربه،

---

(١) التنكيل (٢/ ٣٨١، ٣٨٢).
(٢) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٣٠).
(٣) الدر النضيد، ص(١٠٩).
(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٤
(٥) كتاب التوحيد، ص(٥٣، ٥٤).

وأمره الله أن يبلغه للنبي محمد ﷺ فأبلغه إياه، وأبلغه الرسول للأمّة باللغة التي سمعها من جبريل، وسمعها جبريل من ربه، وهي اللغة العربية الفُصحى.

ومن الأدلة الناطقة بنزول القرآن من عند الله، والتي تردّ على الفرق القائلة بخلق القرآن: قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾[1]، و﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[2]»[3].

والحاصل أن علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ يثبتون أن الله ـ عز وجل ـ متكلم بكلام حقيقي، وأنه يتكلّم ويُكلم متى شاء وكيف شاء وبما شاء، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه ـ سبحانه وتعالى ـ يتكلم بحرف وصوت وأن القرآن كلامه حروفه ومعانيه.

وهذا الذي قرره علماء البلد الحرام هو ما دلت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة وكلام سلف الأمة.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾﴾[7].

وعن زيد بن خالد الجهني قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣ ـ ١٩٥.

(٣) اعتقاد السلف، ص(١١).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٧) سورة طه، من الآية: ١١ فما بعدها.

الصبح بالحُديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...**»[١] الحديث.

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ في حديث قصة الإفك: «ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلّم الله فيّ بأمر يُتلىٰ»[٢].

وعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «**هل من رجل يحملني إلىٰ قومه فإنّ قريشًا منعوني أنْ أبلّغ كلام ربّي**»[٣].

وقال الزهري: سألت علي بن الحسين عن القرآن فقال: «كتاب الله وكلامه»[٤].

وعن معاوية بن عمّار قال: سألت جعفر بن محمد عن القرآن فقلت: إنهم يسألوننا عن القرآن: أمخلوق هو؟ فقال: «**ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله**»[٥].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب: قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (٢/ ٦٦٤)، ح(١٠٣٨). ومسلم في كتاب الإيمان، باب: كفر من قال: مطرنا بالنوء، (١/ ٨٣)، ح(٧١).

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (٨/ ٥٨١)، ح(٤٧٥٠).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٢٢، ٣٣٩، ٣٩٠). وأبوداود في سننه، كتاب السُّنَّة، باب: في القرآن، (٥/ ١٠٣)، ح(٤٧٣٤). والدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب: القرآن كلام الله (٢/ ٤٤٠). والبخاري في خلق أفعال العباد ص(١٨). واللالكائي في شرح السُّنَّة (٢/ ٣٣٨). وأبوالقاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١/ ١٤٦). وقال الألباني: على شرط مسلم، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٥٩١) برقم (١٩٤٧).

(٤) أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في السُّنَّة (١/ ١٥٣)، ح(١٣٦). واللالكائي في شرح السُّنَّة (٢/ ٢٣٧)، ح(٣٨٩).

(٥) أورده الدارمي في الردّ على المريسي ص(١١٦)، وفي الردّ على الجهمية =

وقال حمّاد بن زيد: «القرآن كلام الله أنزله جبريل عن رب العالمين»[(١)].

وقال أبوبكر بن عياش رَحِمَهُ اللَّهُ: «القرآن كلام الله ألقاه إلىٰ جبريل وألقاه جبريل إلى محمد ﷺ منه بدأ وإليه يعود»[(٢)].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق، فهو كافر»[(٣)].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «القرآن كلام الله ـ عز وجل ـ غير مخلوق، فمن قال: مخلوق، فهو كافر»[(٤)].

وقد تواتر النقل عن جمع من العلماء: القول بأن القرآن كلام الله منهم: إسحاق بن راهويه، وأبي ثور، وأبي عبيدالقاسم بن سلاّم، وغيرهم[(٥)].

كما اعتنى السلف ـ رحمهم الله ـ بهذه المسألة فألّفوا فيها المؤلّفات كالحيدة في الردّ على المريسي[(٦)]، وخلق أفعال العباد[(٧)]، والإبانة في مسألة القرآن[(٨)].

= ص(١٠١)، والآجرّي في الشريعة (١/ ٤٩٣) ح(١٥٨). وابن بطة في الإبانة (١/ ٢٨٦) ح(٥٢). واللالكائي في شرح السُّنَّة (٢/ ٢٣٨). وقال الألباني: صحيح على شرط مسلم. انظر: مختصر العلوّ ص(١٤٨).

(١) أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في السُّنَّة (١/ ١٥٦) ح(١٤٦). وأورده البخاري في خلق أفعال العباد ص(٣١).

(٢) أورده الذهبي في كتاب العلوّ، انظر: مختصر العلوّ ص(١٦٦)، ح(١٧٦). قال الألباني: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح السُّنَّة (٢/ ٢٥٢، ٢٥٣) ح(٤١٨).

(٤) رواه عبدالله بن الإمام أحمد في السُّنَّة (١/ ١٣٢)، قال محققه: إسناده حسن.

(٥) انظر: شرح السُّنَّة للالكائي (٢/ ٢٦٢، وما بعدها).

(٦) لعبدالعزيز بن يحيى الكناني المكي المتوفىٰ سنة ٢٤٠هـ.

(٧) لمحمّد بن إسماعيل البخاري المتوفىٰ سنة ٢٥٦هـ.

(٨) لأبي نصر عبيدالله بن سعيد السجزي المتوفىٰ سنة ٤٤٤هـ.

وتعرّضوا لهذه المسألة في ثنايا كتبهم[١]، حيث نقلوا كلام السلف حول هذه المسألة.

وإن دلّ هذا فإنما يدلّ على خطورة هذه المسألة التي كثر الكلام فيها فكان لزامًا بيان الحق فيها، والرد على المخالف، والله أعلم.

٣ـ صفة اليد:

وهي من الصفات الذاتية التي دلّت نصوص الكتاب والسُّنَّة على اتصاف الله عز وجل بها.

وقد أثبت علماء البلد الحرام اتصاف الله ـ عز وجل ـ بهذه الصفة، وأنهما يدان حقيقيتان لله تعالى تليقان به، ولا تشبهان أيدي المخلوقين.

قال الشيخ محمد سلطان المعصومي رحمه الله: «إن لله تعالىٰ يدًا، وهي صفة لله تعالىٰ بلا كيفية ولا جارحة، وما قيل أن المراد من يده قدرته تعالىٰ فتبديل وتحريف للنص وذا باطل»[٢].

وممّن أثبت اتصاف الله ـ عز وجل ـ بهذه الصفة: الشيخ محمد الفلاني رحمه الله حيث قال: «ويجب أن يوصف الله باليد كما جاء في كتابه وسُنَّة نبيه ﷺ من غير تشبيه بشيء ما، ومن لم يؤمن بصفات الله ـ عز وجل ـ فليس من المؤمنين»[٣].

وممن اثبت اتصاف الله بهذه الصفة: الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله حيث قال: «اليدان:

ومن صفاته سبحانه الواردة في كتابه العزيز، والثابتة عن رسول الله ﷺ: اليدان، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٤]... فلا نقول

---

(١) انظر: كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب الردّ على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي، وكتاب الإبانة لابن بطة العكبري، وغيرها.

(٢) حبل الشرع المتين، ص(٤٤).

(٣) السيف القاطع للنزاع، ص(٢٨).

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

يد كيد، ولا نشبّه، ولا نتأوّل اليدين على القدرتين كما يقول أهل التأويل، بل نؤمن بذلك ونثبت الصفة من غير تكييف ولا تشبيه، ولا يصح حمل اليدين على القدرتين فإن قدرة الله ـ عز وجل ـ واحدة، ولا على النعمتين فإن نعم الله ـ عز وجل ـ لا تُحصى كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾(١)»(٢).

وهذا الذي قرّره علماء البلد الحرام هو ما ورد إثباته في القرآن والسُّنَّة.

قال تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(٤).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**يد الله ملآى لا يغيضها نفقة سحّآء الليل والنهار**»(٥).

وقال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «ما تصدّق رجل بصدقة إلاّ وقعت في يد الربّ قبل أن تقع في يد السائل»(٦).

وقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «خلق الله أربعة بيده: «العرش وعدن، والقلم، وآدم»(٧).

وخلاصة القول أن علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٨.
(٢) كتاب التوحيد، ص(٥٠).
(٣) سورة ص، الآية: ٧٥.
(٤) سورة الفتح، الآية: ١٠.
(٥) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ (١٣/ ٣٩٣) الفتح، ح(٧٤١١).
(٦) رواه اللالكائي في شرح السُّنَّة (٣/ ٤٢٠) برقم (٧٠٥).
(٧) رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٦٠٦).

تكييف ولا تمثيل، مع نفي ما نفاه الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله ﷺ، مع إثبات كمال ضده.

وهذا هو الذي يجب أن يكون عليه المسلم في توحيد الأسماء والصفات لكي يكون من أهل السُّنَّة والجماعة، والله أعلم.

المبحث السادس
رؤية الباري في الآخرة

رؤية الله ـ عز وجل ـ من المسائل التي حدث فيها نزاع بين أهل السُّنَّة والجماعة ومخالفيهم نفيًا وإثباتًا. وقد دلّت نصوص الكتاب والسُّنَّة على ثبوتها للمؤمنين في الآخرة. وقد جرى علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله تعالىٰ ـ على ما جاء في النصوص من إثبات رؤية المؤمنين لربهم ـ عز وجل ـ في الآخرة.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجيبًا عن سؤال حول كيفية رؤية المؤمنين لله ـ عز وجل ـ في الآخرة، فقال في جوابه عن هذا التساؤل الذي طرحه: «رؤيته تعالىٰ بلا كيف، ولا تحديد في الرؤية، والمرئي والرائي في حال بصره فأحوال الآخرة لا تقاس على ما في الدنيا، وهو ـ سبحانه ـ ليس كمثله شيء، فنؤمن بما أخبر به هو ونبيه ﷺ من رؤيته تعالىٰ كما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[(١)]، وقال ﷺ: «**إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**»[(٢)]،والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي»[(٣)].

وممّن تعرّض لبيان هذه الصفة وإثباتها: الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال:

«فكما نقول السمع ليس كسمعنا   فالوجه ليس كسائر الجبهات

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) رواه البخاري، في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ (١٣/ ٥١٥) الفتح، ح(٧٤٣٤). والترمذي في أبواب صفة الجنة، باب: ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالىٰ (٧/ ٢٢٤) التحفة ح(٢٦٧٥).

(٣) ما لابد منه، ص(٧١، ٧٢).

بل ما يليق بذي الجلال إلهٰنا نلتذ من رؤياه في العرصات»[(١)]

وهذا التقرير منه لرؤية الله ـ عز وجل ـ في الآخرة وأن هذه الرؤية تكون في العرصات، وهذا حق، لكن الرؤية التي يقصد بها التلذذ إنّما تكون في الجنة، وهي أعلى وأغلى نعيم يتنعم به أهل الجنة.

وممّن قرر هذه المسألة: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «إن الله تعالىٰ يُرىٰ في دار الآخرة، فيراه المؤمنون في الجنة بلا كيف، ولا في مكان، ولا على جهة، ولا مقابلة ولا ثبوت مسافة بين الرائي وبين الله ـ عز وجل ـ فالرؤية حق لقوله تعالى في سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، وفي سورة يونس: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[(٢)]، ولِمَا أخرجه الشيخان عن جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته..**»[(٣)]»[(٤)].

وممّن قرّر هذه المسألة على وفق منهج أهل السُّنَّة والجماعة: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «لا شك أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة من فوقهم كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ، فهم يرون ربّهم بأبصارهم رؤية حقيقية كما يرون القمر والشمس صحوًا ليس دونهما سحاب، وهذا متواتر عن النبي ﷺ لم ينكره سوى المعتزلة ومن تبعهم على الضلال»[(٥)]. ثم أخذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دفع الشبهة التي قد تعرض

---

(١) أسمى الرسالات، ص(٢٦٩).
(٢) سورة يونس، الآية: ٢٦.
(٣) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر (٢/ ٤١) الفتح، ح(٥٥٤). ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (١/ ٤٣٩) ح(٦٣٣).
(٤) حبل الشرع المتين، ص(٣٤).
(٥) حاشية عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، ص(٨، ٩).

لضعاف النفوس حول الرؤية عندما يقرؤون قول النبي ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر...**» فيظنون أن التشبيه وقع للمرئي بالمرئي، فقال: «المراد تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي، لأن الله ليس له مثيل ولا شبيه»[١].

وممّن تعرّض لبيان منهج أهل السُّنَّة والجماعة في هذه المسألة: الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ اللهُ حيث قال في تعليقه على كتاب التوحيد للإمام البخاري عند قوله: «باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾»: «من هٰهنا شرع الإمام البخاري في المسألة الرابعة، وهي مسألة الرؤية، وهذا مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، وجمهور الأمة، وغرض المؤلف الإمام إثبات مذهب أهل السُّنَّة، والردّ على مذهب الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة في نفي الرؤية»[٢].

وممّن أثبت الرؤية: الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة رَحِمَهُ اللهُ حيث قال بعد ذكره مغالطة أبي ريّة، والمقبلي[٣] حينما نقلا الخلاف في الرّؤية الذي بين عائشة وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فعائشة تنفي أن يكون النبي ﷺ رأى ربّه، وابن عبّاس يثبته، فحينما نقلا الخلاف في هذه المسألة نسبوا كلام ابن عبّاس وعائشة إلى إنكار الرؤية في الآخرة فقال: «غلط المقبلي في نقل هذا الخلاف إلىٰ رؤية الله في الدار الآخرة التي يثبتها أهل السُّنَّة جميعًا من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وينفيها أهل البدع من الجهمية والمعتزلة مغالطة فاضحة»[٤].

وفي هذا دليل على أن الشيخ يثبت رؤية الله ـ عز وجل ـ في الدار الآخرة.

---

(١) المصدر السابق، ص(٣٨).
(٢) كتاب التوحيد، ص(١١٣).
(٣) هو صالح بن مهدي بن علي بن عبدالله بن سليمان المقبلي ثم الصنعاني ثم المكي ولد سنة (١٠٤٧هـ) في قرية المقبل، وأخذ العلم عن أكابر علماء اليمن وارتحل إلى مكة واستقر بها حتى مات سنة (١١٠٨هـ). انظر: البدر الطالع (١/ ٣٨٨).
(٤) ظلمات أبي رية، ص(٣٠٠).

وممّن أثبت هذه المسألة: الشيخ عبدالله بن حميد ـ رحمه الله ـ حيث قال: «ونعتقد أنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ يُرىٰ في الآخرى كما جاء في كتابه، وصحّ به النقل عن رسوله ﷺ. قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ . . .»[1].

وممّن تعرّض لإثبات هذه المسألة: الشيخ عبدالله خياط رحمه الله حيث قال: «رؤية الله سبحانه وتعالى:

من الثابت في الكتاب والسُّنَّة رؤية المؤمنين لله تعالىٰ في الآخرة عيانًا بأبصارهم كما يرون الشمس صحوًا ليس بينها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يحجبهم عن رؤيته شيء. وأما الكفّار فقد حجبهم الله عن رؤيته جزاء كفرهم، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، وهي وجوه المؤمنين. وقال في الكفّار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[2]، فيُستنتج من منطوق الآية حجب الكفّار عن الرؤية، ومن مفهومها: إمتاع المؤمنين بالنظر إلىٰ وجه الرّب الكريم. وقال النبي ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته**»[3].

وهذا الذي قرّره علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ هو ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة قاطبة، ولأهل السُّنَّة والجماعة في هذه المسألة دلائل قوية وحجج واضحة بيّنة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة.

قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وقد فُسرّت الزيادة بأنها النظر إلى الله عز وجل. عن صهيب ـ رضي الله عنه ـ قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنة! إنّ لكم عند الله**

---

(١) كتاب التوحيد، ص(٥٣).

(٢) سورة المطففين، الآية: ١٥.

(٣) اعتقاد السلف، ص(١٢ ـ ١٤).

موعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون ما هو؟ ألم يثقّل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنّة ويزحزحنا عن النار؟! فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئًا أحبّ إليهم من النظر إليه»(١) وهي الزيادة.

وقال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الشافعي: فيها دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا»(٢).

والاستدلال بهذه الآية من الاستدلال بالمفهوم.

أما الأحاديث في هذه المسألة فقد بلغت مبلغ التواتر، حيث وردت عن أكثر من عشرين صحابيًا، كلها دالة على رؤية الله ـ عز وجل ـ في الآخرة. من ذلك ما رواه البخاري عن جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذْ نظر إلىٰ القمر ليلة البدر، قال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صَلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا**»(٣).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر**» قالوا: لا يا رسول الله! قال: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب**» قالوا: لا يا رسول الله! قال: «**فإنكم ترونه**

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم (٣/ ١٧) شرح النووي والترمذي في أبواب التفسير، باب: سورة يونس، ح(٣٣٠٤) (٨/ ٤١٤).

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص(٢٢٧).

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾، (١٣/ ٥١٥)، ح(٧٤٣٤). ورواه الترمذي في أبواب صفة الجنة، باب: ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى (٧/ ٢٢٤)، ح(٢٦٧٥).

كذلك. . .»[١] الحديث. والأحاديث بهذا المعنى كثيرة.

قال لوين: «قيل لسفيان بن عيينة: هذه الأحاديث التي تروى في الرؤية؟ قال: حق على ما سمعناها ممن نثق به ونرضاه»[٢].

وقال الزهري في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال: «تنظر في وجه الرحمٰن ـ عز وجل ـ»[٣].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «من زعم أن الله لا يُرى في الآخرة، فقد كفر بالله، وكذّب بالقرآن، وردّ على الله أمره، يُستتاب فإن تاب وإلاَّ قُتل، والله تعالىٰ لا يُرىٰ في الدنيا ويُرى في الآخرة»[٤].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم ـ سبحانه وتعالىٰ ـ (٣/ ١٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٦٦).

(٣) المصدر نفسه (٩/ ٥٧٩).

(٤) طبقات الحنابلة لأبي يعلىٰ (١/ ١٤٥).

المبحث السابع
معيّة الله تعالى

وهي من الصفات الذاتية والفعلية، فباعتبار أن الله ـ عز وجل ـ عالم بما يفعل البشر محيط بهم تعتبر صفة ذاتية، وباعتبار أن الله مع المؤمنين يؤيدهم وينصرهم فهي صفة فعلية. قد دلّت نصوص الكتاب والسُّنَّة على ثبوت هذه الصفة. وجرى علماء البلد الحرام على ما جاء في هذه النصوص.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ في إثبات صفة المعيّة: «اتفق الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة، وسائر أئمة الدين على أنّ قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ ...﴾[1] الآية، ليس معناه أنه مختلط بالمخلوقات، وحال فيها، ولا أنه بذاته في كل مكان، بل هو ـ سبحانه وتعالىٰ ـ مع كل شيء بعلمه وقدرته، ونحو ذلك، وهو مستوٍ على عرشه بائن من خلقه.

على أن معيّته على نوعين: خاصة وعامة. فالخاصة بالنصر والرحمة، وما أشبه ذلك»[2].

وممن تعرّض لإثبات هذه الصفة: الشيخ محمد الفلاني رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال في بيان هذه الصفة: «هو معنا بعلمه وسمعه وبصره، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، أَمَا سمعت أنه قال: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في سبعة مواضع، وهو أعلم بذاته وبغيره، أَمَا ترى الشمس والقمر والنجوم في السماء وهي من أصغر خلقه بالنسبة إلىٰ ملكوت السماء والأرض، ومع ذلك تُرىٰ في كل بلد من البلدان فما ظنك

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.
(٢) ما لابد منه، ص(٣٩، ٤٠).

بخالقهنّ»[١]. ثم أخذ يبين أن معيّة الله لا تقتضي الاختلاط بالمخلوقات فقال: «ومعيّته ـ سبحانه وتعالى ـ لا تنافي علوّه وكونه على العرش، بائن عن خلقه وليس معناه أنه مختلط بمخلوقاته، ولا يدلّ لفظ «مع» على هذا بوجه من الوجوه، فإن لفظ «مع» في اللغة العربية للصّحبة.

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٢]، وليس معنى كلمة المعيّة أنهم مختلطون بمحمد رسول الله، وكذا قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[٣]، فليس معناه أنه تعالى مختلط بهما، ولفظ «مع» له معانٍ: كل واحد بما يناسبه.

معيّـة الله على قسـمين:

معية خاصة، ومعية عامة، الخاصة: تكون بالمعية والنصرة. والعامة: تكون بعلمه وسمعه وبصره»[٤].

وهذا الذي قرّره علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ في ثبوت هذه الصفة لله ـ عز وجل ـ على ما يليق به هو ما دلّت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة وكلام سلف الأمة.

قال تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾[٦].

وهذه هي المعيّة العامة، فهو ـ سبحانه وتعالىٰ ـ معهم بعلمه المحيط بجميع الخلق.

---

(١) كتاب التوحيد، ص(٧٦).
(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٤) السيف المسلول، ص(٢٢، ٢٣).
(٥) سورة المجادلة، الآية: ٧.
(٦) سورة الحديد، الآية: ٤.

وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ في شأن معيته لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[(١)].

وعن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال: «نظرت إلىٰ أقدام المشركين ونحن في الغار، وهم على رؤوسنا فقلت: يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: «**ما ظنّك يا أبابكر باثنين الله ثالثهما**»[(٢)].

وقال حرب بن إسماعيل الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت لإسحاق بن راهويه قوله تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ . . .﴾ كيف نقول فيه؟

قال: حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه، ثم قال: أعلى شيء وأَبْيَنُهُ قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[(٣)]».

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾: «يقول: وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم، ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سماواته السبع»[(٤)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وغاية ما تدل عليه «مع» المصاحبة

---

(١) سورة طه، الآية: ٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم (٧/٨)، ح(٣٦٥٣). ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ (٤/ ١٨٥٤) ح(٢٣٨١).

(٣) أخرجه الذهبي في العلوّ، انظر: مختصر العلوّ ص(١٩١). وانظر: السير (١١/ ٣٧٠).

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١١/ ٦٧٠).

والموافقة والمقارنة في أمر من الأمور، وذا الاقتران في كل موضع بحسبه يلزمه لوازم بحسب متعلقه.

فإذا قيل: الله مع خلقه بطريق العموم كان من لوازم ذلك علمه بهم وتدبيره لهم وقدرته عليهم. وإذا كان ذلك خاصًّا كقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾، كان من لوازم ذلك: معيّته لهم بالنصرة والتأييد والمعونة»[(١)].

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٦٦).

الباب الثالث
جهودهم في تقرير مسائل الإيمان وأحكامه

الفصل الأول: **الإيمان. حقيقته. وزيادته ونقصانه.**

الفصل الثاني: **العلاقة بين مسمّى الإيمان والإسلام.**

الفصل الثالث: **حكم مرتكب الكبيرة، وما يتعلق بها من مسائل.**

الفصل الأول

الإيمان. حقيقته وزيادته ونقصانه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: **معنى الإيمان وحقيقته.**

المبحث الثاني: **زيادة الإيمان ونقصانه.**

المبحث الأول
معنـى الإيمـان وحقيقته

بعد أن تبيّن لنا موقف علماء البلد الحرام من مصادر العقيدة، والتوحيد وأقسامه، نودّ أن نبيّن موقفهم من الإيمان ومسائله.

وقبل الشروع في بيان ذلك يحسن بنا أن نقدّم بمقدّمة إيضاحية لبيان معنى الإيمان في اللغة والشرع.

الإيمان لغــة:

الإيمان: مصدر من آمن يؤمن إيمانًا فهو مؤمن، وهو مشتق من الأمن.

قـال ابـن منظـور: «الإيمـان ضـد الكفـر، والإيمـان بمعنـى التّصديق»[1].

وقال الراغب: «آمن إنما يقال على وجهين:

أحدهما: متعديًا بنفسه، يقال: أمّنته: أي: جعلت له الأمن، ومنه قيل لله: مؤمن.

الثاني: غير متعد، ومعناه: صار ذا أمن.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾[2]، قيل: معناه: بمصدّق لنا، إلاّ أن الإيمان هو التصديق الذي معه آمن»[3].

وخلاصة ما سبق أن الإيمان في اللغة يطلق ويراد به الأمن والتصديق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنّ الإيمان مشتق من الأمن

---

(١) لسان العرب (١٣/ ٢١) مادة أمن.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن (١/ ٣٢) مادة أمن.

فإنما يُستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المخبر. . .

فاللفظ متضمن معنى التصديق، ومعنى الائتمان والأمانة، كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق، ولهذا قالوا: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ أي: لا تُقر بخبرنا ولا تثق به، ولا تطمئن إليه ولو كنا صادقين، لأنهم لم يكونوا عنده ممّن يؤتمن على ذلك. فلو صدقوا لم يأمن لهم»[(١)].

الإيمان شرعًا:

عرّف أهل السُّنَّة والجماعة الإيمان في الشرع بأنه: قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان.

وقد أثبت علماء البلد الحرام ما أثبته علماء أهل السُّنَّة والجماعة في مسألة الإيمان.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللهُ في جوابه عن سؤال حول معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في الإيمان بأنه قول وعمل: «نعم. ما اشتُهر عن السلف ممّا ذُكر هو اعتقادنا»[(٢)].

وما اشتُهر عن السلف هو: أن الإيمان قول وعمل. وتفسير هذه العبارة: أنّ القول قولان: قول القلب، وقول اللسان، وأنّ العمل عملان: عمل القلب وعمل الجوارح.

وممّن تعرّض لبيان مفهوم الإيمان في الشرع: الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللهُ حيث قال مبيّنًا هذا المفهوم: «ولمّا كان الإيمان هو التصديق الجازم المقترن بإذعان النفس وقبولها واستسلامها لما تراه حقًّا لا شك فيه، وقد فطرت أن لا تؤمن إلاّ بالأمور المحسوسة أخذ يوقظ في

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٢٩١، ٢٩٢). كما تعرض رَحِمَهُ اللهُ لبيان الفرق بين الإيمان والتصديق من حيث اللغة. انظر: كتاب الإيمان (٧/ ٢٩٠ - ٢٩٤).

(٢) ما لابد منه، ص(٥٣، ٥٤).

الناس ملكة الحس الباطن ويهيب بهم أن يستعملوا عقولهم»[١].

ثم أوضح الأعمال الداخلة في الإيمان حيث قال: «إنّ مجرد الإيمان وطلب الغفران لا يكفي، بل لابدّ أن يعملوا ما يستحقون عليه المغفرة»[٢].

وبهذا يتبيّن لنا أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ موافق لأهل السُّنَّة في تعريف الإيمان، وبأنه قول وعمل، وذلك حينما قال: «إذعان النفس» فإذعان النفس معناه انقيادها بفعل الأمر وترك النهي، بل إنّه صرّح بأن العمل لابدّ منه، وذلك حينما قال: «لابدّ أن يعملوا».

وممن قرر الإيمان على وفق منهج أهل السُّنَّة والجماعة: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: «إن الإيمان هو التصديق والإذعان بما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله تعالىٰ ضرورة، والإقرار به، والعمل بموجبه. وأما الإقرار بلا تصديق وبلا عمل فليس بإيمان، بل نفاق»[٣]. وبهذا يقرّر أن العمل داخل في مسمى الإيمان، ولا يمكن أن يُتصور إيمان بلا عمل.

وممّن سار على هذا المنهج في تقرير الإيمان: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: «فإن الإيمان هو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان. فإذا اختلّ واحد من هذه الأركان لم يكن الرجل مؤمنًا»[٤]. وهذا بيان منه لأركان الإيمان التي لابدّ أن تتوفر في الإيمان لكي يكون الإنسان على منهج أهل السُّنَّة والجماعة في هذه المسألة.

وممن قرّر الإيمان على وفق منهج أهل السُّنَّة والجماعة: الشيخ

---

(١) أسمى الرسالات، ص(٢٤١).

(٢) جوهر الدين، ص(٣٨).

(٣) حبل الشرع المتين، ص(٥٢).

(٤) حاشية العقيدة الواسطية، ص(١٥).

عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «ومعيار الإيمان القلبي العمل، ولهذا كان السلف يقولون الإيمان قول وعمل»[(١)].

وممن قرّر الإيمان: الشيخ محمد مخدوم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «إنّ إظهار الإيمان لا يكون إلاَّ بشهود الأعمال عند أكثر علماء أهل السُّنَّة والجماعة، بل عامتهم»[(٢)].

ثم بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من يُخرج الأعمال من الإيمان فهو مجانب للحق والصواب حيث قال: «الذين آمنوا بالله وبرسوله ويعتقدون أنّ الإيمان بها ـ أي: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾[(٣)] ـ يقتضي العمل لأنها من الآيات المحكمات، أما الطائفة الذين اعتقدوا أن الإيمان إقرار باللسان، وتصديق بالقلب لا بعمل الأركان فلا يدركون ذلك»[(٤)].

وممّن بيّن منهج أهل السُّنَّة والجماعة في الإيمان: الشيخ محمد الفلاّني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «الإيمان شرعًا: الاعتقاد بالقلب، والنطق باللسان، والعمل بالجوارح»[(٥)].

كما أن ممّن بيّن مفهوم الإيمان شرعًا: الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «الإيمان تصديق بالقلب وهو عمل القلب وقوله، وإقرار باللسان، وهو عمل من أعمال الجوارح، والإتيان بالتكاليف وهو العمل بالأركان الدينية من أعمال الجوارح الخارجية، والأعمال داخلة في الإيمان وهو أجزاؤه بعضها كالكمال له وبعضها مبان من الأصل إذا انهدمت انهدم الإيمان كله لأنه مركب من قول وفعل يزيد وينقص بحسب استكمال شعبه فهو قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان

---

(١) التنكيل (٢/ ٣٩٢).

(٢) الهجرة، ص(٨).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

(٤) الردود اللامعة، ص(٤).

(٥) كتاب التوحيد، ص(١٢).

والجوارح طاعةً وانقيادًا»[١].

وهذا التقرير منه للإيمان شرعًا: هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، بل إننا نجده يُبيّن أن الأعمال داخلة في الإيمان، وأن الإيمان مركّب من القول والعمل لا كما يقول أهل الضلال أنه مفرد.

وممّن تعرّض لبيان مفهوم الإيمان شرعًا: الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال في ردّه على الكوثري: «يرمي الكوثري خيار الأمة الذين قالوا: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي، قالوا ذلك اتباعًا للنصوص الصريحة المستفيضة من القرآن والسُّنَّة»[٢]. وفي هذا القول دليل على أنّ الشيخ يقول بقول علماء أهل السُّنَّة والجماعة، حيث نجده يردّ على الكوثري في مخالفته لعلماء أهل السُّنَّة والجماعة.

وممّن بيّن منهج أهل السُّنَّة والجماعة في هذه المسألة: الشيخ عبدالله خياط رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «وهو ـ أي: الإيمان ـ قول باللسان، مثل: النطق بالشهادتين، واعتقاد بالقلب مثل: إخلاص العبادة لله، والتوكل والخشية والإنابة، وعمل بالجوارح مثل: الصلاة والزكاة والصوم والحجّ، فقول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح كل ذلك من حقيقة الإيمان»[٣].

وهذا الذي قرّروه قد دلّ عليه الكتاب والسُّنَّة وأقوال علماء الأمة.

الكتـــاب:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[٤].

---

(١) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٢٩).

(٢) حول ترحيب الكوثري بنقد تأنيبه، ص(١٠، ١١).

(٣) اعتقاد السلف، ص(٩).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

وقد فسّر النبي ﷺ الإيمان في هذه الآية بالصلاة، فعن البراء ـ رضي الله عنه ـ قال: «**إن رسول الله ﷺ صلَّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وإنه صلَّى ـ أو صلاَّها ـ صلاة العصر، وصلَّى معه قوم، فخرج رجل ممَّن كان صلَّى معه فمرَّ على أهل المسجد وهم راكعون قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحوّل قبل البيت رجال قُتلوا لم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾**»[1].

كما فسّر العلماء الإيمان في هذه الآية بأنه الصلاة التي صلاّها المسلمون إلى بيت المقدس في أول الإسلام.

قال ابن جرير: «فمعنى قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ ـ على ما تظاهرت به الرواية، من أنه الصلاة ـ. وما كان الله ليضيع تصديق رسوله عليه السلام، بصلاتكم التي صليتموها نحو بيت المقدس عن أمره، لأن ذلك كان منكم تصديقًا لرسولي، واتباعًا لأمري، وطاعة منكم لي»[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾[3] الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[4].

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: سيقول السفهاء (٨/ ٢١٦) الفتح ح(٤٤٨٦).
(٢) تفسيرابن جرير (٢/ ٢٠).
(٣) سورة الأنفال، الآيات: ٢ ـ ٤.
(٤) سورة العنكبوت، الآيات: ١ ـ ٣.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾[(١)].

قال أبوعبيد القاسم بن سلّام بعد استدلاله بهذه الآيات: «أفَلست تراه ـ تبارك وتعالى ـ، قد امتحنهم بتصديق القول بالفعل، ولم يرض منهم بالإقرار دون العمل، حتى جعل أحدهما من الآخر؟ فأي شيء يتبع بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهاج السلف بعده الذين هم موضع القدوة والإمامة؟!»[(٢)].

أما الأدلة من السُّنَّة فكثيرة:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ سُئل أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله»[(٣)].

وجاء في حديث وفد عبدالقيس أن النبي ﷺ أمرهم بأربع ونهاهم عن أربع، «**أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم: قال: شهادة أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان**»[(٤)].

وفي هذا الحديث دلالة صريحة على أن الأعمال من الإيمان.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلَّا إيمان بي وتصديق برسولي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أُدخله الجنة**»[(٥)]. وقد بوّب له البخاري

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١٠.

(٢) كتاب الإيمان ومعالمه وسننه، ص(١٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: من قال إن الإيمان هو العمل (١/ ٧٧)، ح(٢٦). وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، (١/ ٨٨).

(٤) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: أداء الخمس من الإيمان (١/ ١٧٢) الفتح.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: الجهاد من الإيمان، (١/ ١٢٤) مع الفتح.

بقوله: باب الجهاد من الإيمان.

وقد اتفق السلف على أن الإيمان قول وعمل. قال ذلك غير واحد منهم.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممّن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونيّة لا يجزي واحد من الثلاثة بالآخر»[(١)].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإيمان قول وعمل»[(٢)].

وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلاَّ عن من قال: الإيمان قول وعمل»[(٣)].

وقال الآجرّي: «باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح لا يكون مؤمنًا إلاَّ بأن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث...».

ثم قال: «اعلموا ـ رحمنا الله وإياكم ـ أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح»[(٤)].

والأدلة من الكتاب والسُّنَّة وأقوال علماء الأمة من السلف كثيرة جدًّا.

وبهذا يتضح لنا أن علماء البلد الحرام سائرون على ما سار عليه السلف في أن الإيمان قول وعمل. والله أعلم.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة للالكائي (٥/ ٨٥٧)، ت: د. أحمد سعد حمدان.

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ١٧٣).

(٣) شرح أصول اعتقادأهل السُّنَّة والجماعة للالكائي (٥/ ٨٥٩).

(٤) الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجرّي (٢/ ٦١١)، ت: د. عبدالله بن عمر الدميجي.

مواقف الفِرق من مسألة الإيمان:

انقسمت الفِرق في مسألة الإيمان إلىٰ خمسة أقسام هي:

١ ـ القائلون بأن الإيمان يكون بالقلب واللسان والجوارح، وهؤلاء هم أهل السُّنَّة والجماعة والخوارج والمعتزلة.

٢ ـ القائلون بأن الإيمان يكون بالقلب واللسان فقط، وهؤلاء هم مرجئة الفقهاء وابن كُلاّب.

٣ ـ القائلون بأن الإيمان يكون باللسان والجوارح فقط، وهؤلاء هم الغسّانيّة.

٤ ـ القائلون بأن الإيمان يكون بالقلب فقط، وهؤلاء هم الجهميّة والأشاعرة والماتريدية.

٥ ـ القائلون بأن الإيمان يكون باللسان فقط، وهؤلاء هم الكراميّة[١].

ومنشأ الخطأ والضلال في هذا الباب اعتقادهم أن الإيمان شيء واحد لا يتركب ولا يتجزأ[٢].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٥٠٤ ـ ٥١١). وظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي للدكتور/ سفر بن عبدالرحمٰن الحوالي، ص(٢٨٤).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٥١٠ ـ ٥١١) بتصرّف.

المبحث الثاني
زيادة الإيمان ونقصانه

الإيمان الذي دلّت عليه الأدلة من الكتاب والسُّنَّة يزيد وينقص يزيد بالطاعات من الذكر والدعاء والبر والإحسان، وينقص بارتكاب المعاصي وفعل المنكرات.

وقد قال علماء البلد الحرام بزيادة الإيمان ونقصانه.

قال الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذهب مالك والشافعي وأحمد وسائر أئمة أهل الحديث إلى أنه ـ أي الإيمان ـ تصديق الجنَان وإقرار باللسان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا هو الحق والصواب»[1].

وهو بهذا يقرّر أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص.

وقال الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما النصوص على أنّ الإيمان القلبي يزيد وينقص فمنها الأحاديث الصحيحة في «أنه يخرج من النار من قال لا إله إلاَّ الله وفي قلبه مثقال شعيرة من إيمان، ثم من قالها وفي قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ثم من قالها وفي قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان»[2]»[3].

وقال الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأعمال داخلة في الإيمان وهي أجزاؤه بعضها كالكمال له، وبعضها مبانٍ من الأصل إذا

---

(١) حاشية عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، ص(١٧).

(٢) رواه البخاري في عدة مواضع منها: كتاب الإيمان، باب: زيادة الإيمان ونقصانه (١/١٣٨)، ح(٤٤) بلفظ: «وفي قلبه وزن شعير من خير». ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها، (١/١٨٢)، ح(٣٢٥).

(٣) التنكيل (٢/٣٨٦).

انهدمت انهدم الإيمان كله لأنه مركّب من قول وفعل يزيد وينقص بحسب استكمال شُعبه»[١].

وقد أشار بعض علماء البلد الحرام إلىٰ زيادة الإيمان ونقصانه في تعريفهم للإيمان شرعًا مما يغني عن إعادته، منهم: الشيخ أبوبكر خوقير[٢]، والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة[٣]، والشيخ عبدالله خياط[٤] ـ رحمهم الله ـ.

وهذه المسألة مما استفاضت النصوص على الدلالة عليها، فمن ذلك:

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[٥].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[٦].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[٧].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على زيادة الإيمان.

أما الأدلة من السُّنَّة على زيادة الإيمان ونقصانه فمنها:

١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال للنساء: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لألباب ذوي الرأي منكنّ**»[٨]. وهذا

---

(١) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٢٩).

(٢) ما لابد منه، ص(٥٣، ٥٤).

(٣) حول ترحيب الكوثري، ص(١٠، ١١).

(٤) دليل المسلم في الاعتقاد، ص(٥٢)، تأملات في دروب الحق، ص(١٨١).

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٧) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٨) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: نقصان الإيمان بنقص الطاعات، (٨٦/١، =

الحديث أصرح حديث في بيان نقص الإيمان.

٢ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وستون، أو بضع وسبعون شُعبة، أفضلها قول لا إله إلاَّ الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان»**(١).

وغيرها من الأحاديث.

وقد ذهب جمع من الصحابة إلى القول بزيادة الإيمان ونقصانه، فعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يأخذ بيد الرجل والرجلين في الحِلَق فيقول: «تعالوا نزدد إيمانًا»(٢).

وعن ابن عباس وأبي هريرة قالا: «الإيمان يزداد وينقص»(٣).

وعن عمير بن حبيب قال: «الإيمان يزيد وينقص. قيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله ـ عز وجل ـ وحمدناه وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيّعنا فذلك نقصانه»(٤).

= ٨٧)، ح(٧٩). ورواه الترمذي في أبواب الإيمان، باب: استكمال الإيمان والزيادة والنقصان (٧/ ٢٩٩، ٣٠٠)، التحفة، ح(٢٧٤٥)، وقال: حديث حسن صحيح. ورواه أحمد في المسند (٢/ ٣٧٣). ورواه الآجري في الشريعة، باب: ذكر ما دلَّ على زيادة الإيمان ونقصانه، (٢/ ٥٨٦)، ح(٢١٩).

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: أمور الإيمان، (١/ ٧١)، ح(٩). ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الحياء شعبة من الإيمان، (١/ ٦٣)، ح(٥٨)، واللفظ له.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان، ص(٤١). والآجرّي في الشريعة (٢/ ٥٨٥)، (٢١٧)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٤٧) برقم (١٠٣٤). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٤١) برقم (١٧٠٠).

(٣) أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في السُّنَّة (١/ ٣١٤) برقم (٦٢٣). والآجرّي في الشريعة (٢/ ٥٨٢) برقم (٢١٤)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٤٤، ٨٤٥) برقم (١٢٢٦). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٥/ ٩٤٤، ٩٤٥)، برقم (١٧٠٩).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان ص(٢٠) برقم (١٤)، وعبدالله بن الإمام أحمد في السُّنَّة (١/ ٣١٥) برقم (٦٢٤)، والآجرّي في الشريعة (٢/ ٥٨٣) برقم (٢١٥)، =

كما ثبت نحو ذلك من الأقوال عن جم غفير من التابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة كالأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالِك، والشافعي، وأحمد، والبخاري، وغيرهم[١]، وهؤلاء كلهم مجمعون على أن الإيمان يزيد وينقص.

وخلاصة القول أن علماء البلد الحرام سائرون على منهج السلف في هذه المسألة، والله أعلم.

= وابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٤٥) برقم (١١٣١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٥/ ٩٤٩) برقم (١٧٢١).

(١) انظر: الشريعة للآجرّي (٢/ ٥٩٣ ـ ٦١٠)، والإبانة لابن بطة (٢/ ٨٥٠ ـ ٨٥٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي (٥/ ٨٩٣ ـ ٨٩٤).

الفصل الثاني

العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام

أولًا: الأدلة الدالة على أن الإيمان والإسلام متغايران.

ثانيًا: الأدلة الدالة على أن الإيمان والإسلام مترادفان.

أولاً: الأدلة الدالة على أن الإيمان والإسلام متغايران

إن المتأمّل في كتاب الله ـ عز وجل ـ وسُنَّة رسوله ﷺ يجد أن الإيمان يذكر تارة مفردًا غير مقترن بالإسلام، وتارة أخرى يذكر مقرونًا به، وكذلك الإسلام، ويمكن تقسيم النصوص التي جاءت في هذا الشأن إلى قسمين:

١ ـ قوله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[١]، فهذه الآية دلَّت على التفريق بين الإيمان والإسلام حيث نفت عن الأعراب الإيمان وأثبتت لهم الإسلام، وفي هذا دلالة واضحة على أنهما متغايران.

٢ ـ حديث جبريل الطويل[٢] الذي ذكر فيه الإسلام على حدة والإيمان على حدة.

٣ ـ حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ **«أن رسول الله ﷺ أعطىٰ رهطًا ـ وسعد جالس ـ فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إلي. فقلت يا رسول الله! مالك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً. فقال: أو مسلمًا. فسكتُّ قليلاً. ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي فقلت: مالك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً فقال: أو مسلمًا. ثم غلبني ما أعلم منه فعدتُّ لمقالتي، وعاد رسول الله ﷺ. ثم قال: يا سعد، إني لأعطي الرجل وغيره أحبُّ إلي منه، خشية أن يكبه الله في النار»**[٣].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: سؤال النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان (١/ ١٥٣) مع الفتح، ح(٥٠)، بطريق غير طريق مسلم، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام (١/ ٣٦)، ح(١).

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة (١/ ١٠٨) ح(٢٧). وورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه (١/ ١٣٢)، ح(٢٣٧).

ثانيًا: الأدلة الدالة على أن الإسلام والإيمان مترادفان

قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[(١)]، وقد تحدث علماء البلد الحرام عن هذه العلاقة حيث قال الشيخ أبوالسمح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على حديث سعد الآنف الذكر: «فُهم من هذا الحديث من قوله ﷺ يرد به على سعد: «أو مسلمًا» أن الإسلام أمر ظاهر يمكن أن يشهد به الإنسان الآخر يأتي بالأعمال الإسلامية الظاهرة كالصلاة والزكاة والحج مثلاً، أما الإيمان فهو متعلق بالأعمال القلبية، ولا يعلمه إلاَّ الله»[(٢)]. والذي يظهر من عبارته أنه يعني بالإسلام الأعمال الظاهرة من العبد كالصلاة والصيام والحج، وهذه الأعمال إذا فعلها الإنسان يُشهد له بالإسلام، أما الإيمان فهو أعمال القلوب التي لا يعلمها إلاَّ الله لأنها أمور خفية، ولذلك لا يُشهد له بالإيمان الخفي ولا يُنفىٰ عنه أيضًا لأنه لا يعلمه إلاَّ الله.

وقال الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان هذه العلاقة: «والإسلام في الشرع على ضربين: ظاهري فقط، وحقيقي صحيح ظاهري وباطني وهذا هو الإسلام الصحيح، أما الإسلام الظاهري فقط فهو دون الإيمان وغيره وهو الاعتراف باللسان بدون تصديق الجنان، وبه يحقن الدم ويعصم في الدنيا فقط، وإياه المراد في قول الله تعالى: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[(٣)]، والمنافق مسلم بهذا الاعتبار... والثاني: الإسلام الحقيقي وهو فوق الإسلام المطلق، وهو إنما يكون مع الاعتراف والإقرار تصديق بالقلب

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ٣٥، ٣٦.
(٢) حياة القلوب، ص(٥١).
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

ووفاء بالعمل بموجبه، والاستسلام لله في جميع ما قضىٰ وقدّر»[١].

وحاصل كلامه أن العلاقة بين الإسلام والإيمان عموم وخصوص مطلق، فالإسلام أعم مطلقًا، والإيمان أخص مطلقًا. فالإسلام عنده يطلق على ما ظهر من الأعمال، والإيمان يطلق على ما بطن من الاعتقادات وغيرها.

كما بيّن الشيخ محمد الفلاّني رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه العلاقة بقوله: «اعلم أن الإسلام والإيمان والإحسان شيء واحد غير أن بينهما عموم وخصوص.

فالإسلام أعم من الإيمان، والإحسان أخص من الإيمان. قال الله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[٢].

وهو بهذا يبين أن العلاقة بين الإيمان والإسلام هي العموم والخصوص، والله أعلم.

وحاصل مذاهب الناس في هذه المسألة ما يلي:

١ ـ أن الإسلام والإيمان شيء واحد. وبهذا القول قال البخاري على ما نقله عنه ابن حجر في الفتح[٣]، والمروزي[٤]، وابن مندة[٥]، وابن عبدالبر[٦]، وغيرهم.

٢ ـ أن العلاقة بين الإسلام والإيمان هي العموم والخصوص المطلق، فالإسلام أعم مطلقًا والإيمان أخص مطلقًا، وهذا ما ذهب إليه

---

(١) مجلة الحج، ص(٩١)، عدد (٩٦) من السُّنَّة التاسعة في غرة شعبان من عام (١٣٧٤هـ).

(٢) السيف المسلول، ص(١٠٦).

(٣) فتح الباري (١/١٠٨).

(٤) تعظيم قدر الصلاة (١/٤١٨).

(٥) الإيمان (١/ ٢٢١).

(٦) التمهيد (٩/ ٢٤٧، ٢٥٠).

الإمام الخطابي[١].

٣ ـ أن الإيمان والإسلام يتفقان إذا أُفردا، ويختلفان إذا ذكرا معًا.

وخلاصة القول أن الإسلام والإيمان إذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا. قال ابن رجب: «إن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قُرن ذلك الاسم بغيره، صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما، دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قُرن أحدهما بالآخر، دلَّ أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان: إذا أُفرد أحدهما، دخل فيه الآخر، ودلّ بانفراده [على ما يدل عليه الآخر بانفراده] فإذا قُرن بينهما، دل أحدهما على بعض ما يدلّ عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي»[٢]. وبهذا القول قال أبوبكر الإسماعيلي[٣]، وابن الصلاح[٤]، وابن تيمية[٥]، وابن أبي العز[٦]، والله أعلم.

---

(١) مختصر سنن أبي داود (٧/ ٤٩).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٧٩).

(٤) شرح مسلم للنووي (١/ ١٤٧، ١٤٨).

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٤٧٦).

(٦) شرح العقيدة الطحاوية، ص(٣٨٣).

الفصل الثالث

حكم مرتكب الكبيرة وما يتعلق بها من مسائل

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.**

المبحث الثاني: **حد الكبيرة والصغيرة.**

المبحث الثالث: **حكم مرتكب الكبيرة.**

المبحث الأول
انقسام الذنوب إلىٰ صغائر وكبائر

مسألة الكبيرة وحكم مرتكبها هي أول مسألة وقع الخلاف فيها، وقبل الخوض في ذكر أقوال علماء البلد الحرام أحب أن أمهد لهذه المسألة ببعض الأمور:

١ ـ انقسام الذنوب إلىٰ صغائر وكبائر:

وهذه المسألة اختلف العلماء فيها على قولين:

١ ـ ذهب طائفة من أهل العلم إلىٰ أنّ الذنوب جميعها كبائر وليس فيها صغائر. وهذا القول منسوب إلىٰ أبي إسحاق الاسفراييني[١]، وأبي المعالي الجويني[٢]، والخوارج[٣].

٢ ـ وذهب الجمهور إلىٰ أن الذنوب تنقسم إلىٰ كبائر وصغائر. قال ابن القيم: «الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، بنص القرآن والسُّنَّة وإجماع السلف وبالاعتبار»[٤].

وهذا القول هو القول الراجح لدلالة الكتاب والسُّنَّة عليه.

أما الكتاب:

فقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾[٥].

---

(١) انظر: شرح مسلم للنووي (٢/ ٨٤)، ومدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٤٢)، وفتح الباري (١٠/ ٤٠٩).

(٢) الإرشاد، ص(٣٢٨).

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار، ص(٦٣٢).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٣٤٢).

(٥) سورة النساء، الآية: ٣١.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما قوله: ﴿ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ فإنه يعني به نكفر عنكم، أيها المؤمنون، باجتنابكم كبائر ما ينهاكم عنه ربكم، صغائر سيئاتكم، يعني صغائر ذنوبكم»(١).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾(٢).

وقد اختلف العلماء في تفسير اللمم على قولين:

أحدهما: أنه مقدمات الفواحش كاللمس والقبلة وغيرها.

الثاني: أنه الإلمام بشيء من الفواحش، والكبائر واحدة ثم يتوب منه»(٣).

والظاهر أن كلا القولين صحيح ومراد من الآية.

أما السُّـــنَّة:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان يقول: **«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»**(٤).

---

(١) تفسير ابن جرير (٤/٤٦).

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير (١١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٩).

(٤) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة (١/ ٢٠٩) ح(١٦).

المبحث الثاني
حد الكبيرة والصغيرة

وهذه المسألة اختلف فيها علماء السلف على قولين:

أحدهما: ذهب فريق من العلماء إلى حصر الكبائر في عدد معين، ثم إنهم اختلفوا في تحديد هذا العدد، فمنهم من قال هي: أربع، ومنهم من قال: هي سبع، ومنهم من قال: هي تسع، ومنهم من قال: هي إحدى عشرة، ومنهم من قال: هي سبع عشرة، ومنهم من قال: هي سبعون، ومنهم من قال: هي سبعمائة[(١)].

والثاني: من عرّف الكبيرة بضابط دون عدد معين. وهؤلاء اختلفوا في ذكر هذا الحد والضابط على أقوال:

١ ـ أن الكبائر ما كان فيه من المظالم بينك وبين العباد، والصغائر ما كان بينك وبين الله. وهذا قول سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢ ـ أن الكبائر هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب، وهذا قول علي بن أبي طلحة.

٣ ـ قيل: هي ما أوعد الله عليه حدًّا في الدنيا أو عذابًا في الآخرة. وهذا قول الضحاك[(٢)].

ولعلّ أجمع ما قيل في الكبيرة أنها: كل معصية فيها حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو لعن، أو صُدّر بقول ليس منّا، أو نفي الإيمان عن صاحبه[(٣)]. وهذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال بعد ذكر هذا

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (٤/ ٤٠ ـ ٤٦)، والجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٠٥)، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص(١٥٦، ١٥٧).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٤٩ ـ ٣٥٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥١ ـ ٦٥٢).

الضابط: «إن هذا الضابط أولىٰ من سائر تلك الضوابط المذكورة لوجوه:

أحدها: أنه المأثور عن السلف.

الثاني: أن الله قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾(١)، فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير السيئات، واستحقاق الوعد الكريم. وكل من وُعد بغضب الله أو لعنته أو نار أو حرمان جنة، أو ما يقتضي ذلك فإنه خارج عن هذا الوعد، فلا يكون من مجتنبي الكبائر. . .

الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله في الذنوب فهو حد يتلقىٰ من خطاب الشارع. . .

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر(٢).

وبهذا القول قال بعض علماء البلد الحرام، منهم: الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال في تعريف الكبيرة: «ما كان فيه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة، زاد بعضهم: أو جاء فيه وعيد بنفي الإيمان أو لعن»(٣).

وقال الشيخ محمد الفلاني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعريفه للكبائر: «هي كل ما ورد فيه لعن أو نار أو وعيد أو حد»(٤).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣١.
(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥).
(٣) ما لابد منه، ص(٨٣).
(٤) كتاب التوحيد، ص(٥١).

المبحث الثالث
حكم مرتكب الكبيرة

أما حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السُّنَّة والجماعة فإن من ارتكب كبيرة من الكبائر ما عدا الكفر ما لم يستحلها فإنه مؤمن فاسق، وإذا مات وهو مصر عليها فهو تحت مشيئة الله ـ عز وجل ـ إن شاء غفر له وأدخله الجنة، وإن شاء عذَّبه على قدر جُرمه ثم أدخله الجنة.

وحين التأمل والنظر في كلام علماء البلد الحرام نجد أنهم ينتهجون منهج أهل السُّنَّة والجماعة في هذه المسألة.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل من ارتكب كبيرة أو أصرَّ على صغيرة سمي عاصيًا وفاسقًا، وحكم العاصي كسائر المؤمنين لا يخرج من الإسلام بمعصية»(١).

وهذا بيان منه لمذهب أهل السُّنَّة والجماعة في مرتكب الكبيرة في الدنيا حيث يسمىٰ مؤمنًا عاصيًا أو مسلمًا فاسقًا أو يوصف بكبيرته، وأنه لا يخرج من الإسلام بملابسته هذه الكبيرة ما لم يستحلها.

وقال الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض حديثه عن الشرك الأكبر: «أما غيره من مرتكبي المعاصي من المؤمنين الموحدين فهم محل المغفرة متى طلبوها في قلوبهم وأعمالهم»(٢).

كما أوضح الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ موقفه من هذه المسألة حيث قال: «إنّ الكبيرة لا تُخرج العبد المؤمن من الإيمان ولا تُدخله في الكفر إذا لم يكن عن استحلال، والاستحلال كفر، فأهل الكبائر في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن يكونوا تائبين بعد

---

(١) ما لابد منه، ص(٨٢).

(٢) أسمى الرسالات، ص(٢٩٦).

أن لقوا الله ـ عز وجل ـ عارفين، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم وإن شاء عذّبهم»[١].

وإلىٰ هذا القول ذهب جلّ علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ فمرتكب الكبيرة عندهم لا يخرج من الدين ولا يُسلب عنه الإيمان بالكلية، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فهو تحت المشيئة فإن شاء الله غفر له وعفا عنه برحمته وفضله وإن شاء عذّبه بعدله وحكمته.

وممن ذهب إلى هذا القول الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «وصرّحوا ـ أي أهل السُّنَّة والجماعة ـ أن الفاسق الملّي مرتكب الكبيرة فاسق بكبيرته، مؤمن بإيمانه، وهو تحت مشيئة الله تعالى»[٢]. ثم أوضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المؤمن لا يخرج من الإيمان بملابسة الكبائر، فقال: «فالمؤمن لا يخرج من الإيمان بملابسته كبائر الذنوب والعصيان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٣]»[٤].

وممن ذهب إلى هذا القول في هذه المسألة: الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال: «أقول: اختلفت الأمة فيمن كان مؤمنًا ثم ارتكب كبيرة، فقالت الخوارج: يكفر، وقال المعتزلة: لا يكفر ولكن يزول إيمانه، وإذا مات عن غير توبة دخل النار وخلد فيها مع الكفار، وقالت المرجئة لا يكفر ولا يزول إيمانه ولا يدخل النار، لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وقال أهل السُّنَّة: لا يكفر، ولا يزول إيمانه البتة بمجرد ارتكابه الكبيرة ولكنه يكون

(١) حبل الشرع المتين، ص(٩٥).
(٢) الكواكب الدرية، ص(٤٥).
(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٤) المصدر السابق، ص(٤٥).

ناقصًا»[١].

ومن قرّر مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في هذه المسألة: الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «والمؤمن لا يكفر بالذنوب بمعنى الخروج عن الملة، ولا يخلُد بها في النار، وله إيمان ينجو به، ولا يخرج بها من الإيمان كلية»[٢].

ومن قال بهذا القول الشيخ سليمان الحمدان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في تعليقه على حديث «**يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا...**»: «فيه الرد على الخوارج الذين يكفرون المسلم بالذنوب، وعلى المعتزلة الذين يقولون بالمنزلة بين المنزلتين، وهي أنه ليس بمؤمن ولا كافر ويخلد في النار فيوافقون الخوارج في التخليد في النار ويخالفونهم في الاسم.

والصواب ما عليه أهل السنة أن لا يُسلب عنه اسم الإيمان على الإطلاق ولا يعطاه على الإطلاق بل يُقال: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وعلى هذا يدلّ الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة»[٣].

ومن تعرَّض لتقرير مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في هذه المسألة: الشيخ عبدالله خياط رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «لكن من أصول أهل السُّنَّة والجماعة أن أخوّة الإيمان ثابتة مع المعاصي فلا يكفّرون أحدًا من أهل القبلة بذنب اقترفه أو كبيرة فعلها. ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ...﴾[٤]، فإن الله تعالى في هذه الآيات لم ينف الإيمان عن الطائفتين المتقاتلتين ولا عن القاتل

(١) التنكيل (٢/ ٣٨٥).
(٢) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٣٠).
(٣) الدر النضيد ص(٣٣، ٣٤).
(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩.

مع كون قتل النفس التي حرَّم الله قتلها كبيرة من الكبائر، لكن مرتكب الكبيرة يكفر إذا استحل الكبائر فإنه يصبح بذلك مكذبًا لله ورسوله في تحريمهما الكبائر مستخفًّا بما جاء من الوعيد الشديد عليها»[(١)].

وقد دلّت نصوص الكتاب والسُّنَّة على أن مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله ـ عز وجل ـ. إن شاء غفر له وعفا عنه، وإن شاء عذبه إلاَّ المشرك بالله إذا مات على ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[(٢)].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة في مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرته شركًا بالله»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾[(٤)].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر هذه الآية والتي بعدها: «وفي هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان، لأن الله تعالىٰ سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين»[(٥)].

وقال النبي ﷺ لأصحابه: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن**

---

(١) دليل المسلم في الاعتقاد، ص(٥٣، ٥٤).
(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٣) تفسير ابن جرير (٤/ ١٢٩).
(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩.
(٥) تفسير البغوي (٧/ ٣٤١).

أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلىٰ الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك»(١) .

وأدلّة الكتاب والسُّنَّة متضافرة على أنّ مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله ـ عز وجل ـ إن شاء غفر له وعفا عنه، وإن شاء عذّبه وعاقبه.

وقد بوّب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلاّ بالشرك لقول النبي ﷺ: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»(٢) .

وهذا القول هو قول أهل السُّنَّة والجماعة قاطبة.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفة المؤمن من أهل السُّنَّة والجماعة: «والإيمان أن الموحدين يخرجون من النار بعدما امتحشوا كما جاءت الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي ﷺ»(٣) .

وقال الإمام أبوبكر بن الزبير الحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأن لا يقول كما قالت الخوارج من أصاب كبيرة فقد كفر»(٤) .

وقال أبوعثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويعتقد أهل السُّنَّة والجماعة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبًا كثيرة صغائر كانت أو كبائر فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص فإنّ أمره إلى الله ـ عز وجل ـ إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالمًا غانمًا غير مبتلىٰ بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلىٰ يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عفا عنه وعذّبه مدة بعذاب النار، وإذا عذّبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلىٰ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: حب الأنصار من الإيمان (١/ ١١).
(٢) انظر: كتاب الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية (١/ ١٤).
(٣) طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٥).
(٤) مسند أبي بكر الحميدي (٢/ ٥٤٨) ت: حبيب الرحمٰن الأعظمي.

نعيم دار القرار»[١].

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن كلام علماء البلد الحرام في هذه المسألة موافق لما قرّره السلف ـ رحمهم الله ـ.

والناس في هذه المسألة طرفان ووسط:

فالوعيدية وهم الخوارج والمعتزلة يرون أن صاحب الكبيرة خالد مخلّد في النار، واختلفوا في حكمه في الدنيا. فقالت الخوارج: هو كافر، وقالت المعتزلة: هو في منزلة بين المنزلتين.

أما الوعدية وهم المرجئة، فإنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

أما أهل السُّنَّة والجماعة فهم الوسط، حيث جمعوا بين نصوص الوعد والوعيد، وقالوا بمقتضاها: وهو أن صاحب الكبيرة تحت المشيئة إن شاء الله تعالى غفر له، وإن شاء عذّبه ثم أدخله الجنة، والله أعلم.

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، ص(٦٥).

الباب الرابع

جهودهم في تقرير الإيمان بالملائكة والكتب والرسل، وما يتعلق بها من مسائل

الفصل الأول
الإيمـان بالملائكـة

إن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، وهو داخل تحت الإيمان بالغيب الذي أُمرنا بالإيمان به. وعلاقته بالإيمان بالرسل أن منهم حملة الوحي لرسل الله ـ عز وجل ـ، كما أن الرسل هم الذين أخبرونا عن الملائكة.

وقد قرّر علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ الإيمان بالملائكة كما قرّره غيرهم، حيث قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان معنىٰ الإيمان بالملائكة: «اعتقاد وجودهم، وأنهم عباد مكرمون، منزّهون عن الصفات البشرية، معصومون من المعاصي، مخلوقون من النور، كما في الصحيح، ولا يحصي عددهم إلاّ الله»[١]. وهو بهذا يبيّن معنى الإيمان بالملائكة، كما يبيّن بعض صفاتهم.

كما بيّن رَحِمَهُ اللَّهُ أنه يجب الإيمان بمن ورد اسمه على التفصيل فقال مبيّنًا ذلك: «نعم يكفي ـ أي الإيمان بهم ـ من غير تفصيل إلاّ من ورد تعيينه باسمه المخصوص كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل[٢]، ومنكر ونكير، ورضوان، ومالك، ورقيب وعتيد[٣]، فيجب الإيمان بهم تفصيلاً، وكذا من ورد تعيين نوعه المخصوص كحملة العرش والحفظة والكتبة، فهم علويّون مقرّبون، وآخرون موكلون على كتابة الأعمال

---

(١) ما لابد منه، ص(٥٤).

(٢) جاء في بعض الآثار تسمية ملك الموت باسم عزرائيل، ولا وجود لهذا الاسم في القرآن الكريم، ولا في الأحاديث الصحيحة. «عالم الملائكة الأبرار»، ص(٢٢).

(٣) رقيب وعتيد: وصفان للملكين الذين يسجّلان أعمال العباد. «عالم الملائكة الأبرار»، ص(٢٢).

وحفظ العبد عن المهالك، والدعوة إلىٰ الخيرات»[١].

ومن بيّن معنى الإيمان بالملائكة الشيخ محمود شويل رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: «إنّ من الإيمان الإيمان بالملائكة، وعليه فلا يتم إيمان المؤمن إلاّ أن يؤمن بالملائكة وهم عبادالله تعالىٰ المكرمون المأمورون المنهيون المميزون المتعبِّدون رسل الله إلىٰ خلقه بوحيه الذي به الحياة الأبدية السرمدية الدائمة»[٢].

ومن وضّح معنى الإيمان بالملائكة الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: «الاعتقاد الجازم بأن وراء هذا العالم عالم آخر غير منظور يشغله من الأحياء مخلوقات ذات قوى عظيمة هي المسماة بعالم الجان[٣] «أي الخفيّ»، وهم فصائل منهم: ما يسمىٰ بالملائكة يستخدمهم الله في تنفيذ أوامره، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»[٤].

كما بيّن رَحِمَهُ اللهُ بعض صفاتهم ووظائفهم حيث قال: «ومن هؤلاء الجن ما يُسمى بالملائكة، وهم قوم معصومون وصفهم الله بأنهم غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم جند من جنده أصحاب قوى عظيمة، وقد عهد إليهم بعدّة وظائف منها تبليغ رسالة الله إلىٰ أنبيائه، و تثبيت اليقين، وحب الخير في قلوب عباده»[٥].

كما بيّن بعض وظائفهم الأخرى بقوله: «من ضمنها أن تتولىٰ

---

(١) ما لابد منه، ص(٥٥).

(٢) القول الفصل، ص(٥).

(٣) قال الراغب: والجن يقال على وجهين: أحدهما: للرّوحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس. فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين، فكل ملائكة جن، وليس كل جن ملائكة... وأصل الجن ستر الشيء عن الحاسة. يقال: جنة الليل وأجنّه وجن عليه فجنه: سترة. «المفردات» (١٢٨/١) مادة: جن.

(٤) جوهر الدين، ص(٣٥).

(٥) أسمى الرسالات، ص(٢٥٦).

مراقبة أعمال العباد، وأنها تعلم بكل ما يفعلون وتنسخ صورًا طبق الأصل لكل ما يقولون وما يعملون حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾[(١)]»[(٢)].

وممن تعرّض لبيان هذا الركن: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة ذوي أجنحة منزّهين عن صفة الذكورة ونعت الأنوثة، ولا يُذكّرون ولا يُؤنّثون، وهم عاملون لأمر الله تعالىٰ، ومعصومون عن مخالفة أمره وعن الكفر والفسق والكبيرة والصغيرة، ولا يحصرون في عدد معين بل لا يعلم أحد عددهم إلاّ الله»[(٣)].

كما بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض وظائفهم التي يقومون بها بقوله: «فهم ـ أي الملائكة ـ موكّلون بأمور عظام فمنهم حملة العرش، ومنهم الكرام الكاتبون، ومنهم الملكان اللذان يسألان العبد بعد موته في قبره، ومنهم خزنة الجنة وخزنة النار»[(٤)].

وممّن بيّن هذا الركن: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «وممّا يجب الإيمان به أن الله تعالىٰ وكّل من الملائكة الكرام ـ وصفهم بالكرم لما جاء في الكتاب والسُّنَّة وصفهم بذلك ـ وهم ذوات قائمة بأنفسهاقادرة على التشكل بالقدرة الإلهية كما ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة»[(٥)].

وممّن تعرّض لبيان هذا الركن: الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «قد علمنا الله تعالى أن نؤمن بوجود

(١) سورة الانفطار، الآيات: ١٠ ـ ١٢.
(٢) المصدر السابق، ص(٢٥٩).
(٣) حبل الشرع المتين، ص(٨٢).
(٤) تنبيه النبلاء، ص(٥).
(٥) الكواكب الدرية، ص(٥٦).

الملائكة، وأن منهم عباد مكرمون مطهّرون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يسبقونه بالقول وبأمره يعملون». كما أوضح بعض وظائفهم بقوله: «وأعلمنا الله ـ عز وجل ـ أن الملائكة يحبون من يطيع ربه ـ عز وجل ـ ويعبده ويفعل الخير، ويستغفرون للذين آمنوا»[(١)]

وممن أوضح هذا الركن: الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «الملائكة: وهم جنس من عالم الغيب الذي أمرنا بالإيمان به على ما وصفهم الله لنا بلا تخرّص عن صفاتهم ولا تكييف لما أخبر الله به عنهم ولا إخراج لهم عن ظاهر اللغة والقرآن والسُّنَّة في حقهم، كما أخبر أن منهم الواسطة بين الله والرسل من بني الإنسان، والحفظة الكاتبون لأعمالنا، ولهم أوصاف ذكرها القرآن يجب على المؤمن أن يقف عندها بلا زيادة ولا نقص»[(٢)].

وممن بيّن هذا الركن: الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «الإيمان بالملائكة: أي التصديق بأن لله خلقًا يُدعون بالملائكة، وهم كما وصفهم الله تعالىٰ بقوله في كتابه ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾[(٣)]، وقوله: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[(٤)]، منهم ملك الوحي، وميكائيل، وإسرافيل»[(٥)].

وهذاالذي قرّره علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ هو الذي دلّ عليه الكتاب والسُّنَّة. قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ

---

(١) العبادة، لوحة: (٥٩٩).
(٢) تيسير الوحيين، ص(٩٤).
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٦.
(٤) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٥) دليل المسلم في الاعتقاد، ص(٤٩).
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [١].

وفي هاتين الآيتين ذُكرت أركان الإيمان، ومن بينها الإيمان بالملائكة. كما جاء في السُّنَّة بيان ذلك كما في حديث جبريل[٢] الذي ذكرت فيه أركان الإيمان الستّة.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(٢) تقدم تخريجه، ص(٢٥٦).

الفصل الثاني
الإيمان بالكُتُب المنزلة

ومعنى الإيمان بالكتب: التصديق الجازم بأنّ لله كُتبًا أنزلها على أنبيائه ورسله.

وهذا ما قرره علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ حيث قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان معنى الإيمان بالكتب: «الاعتراف بأن لله كتبًا أنزلها على رسله، وهي من كلامه حقيقة، وهي كثيرة اختلفت الروايات في عددها، فيكفي الإيمان بها إجمالاً إلاَّ الكتب الأربعة «التوراة والإنجيل والزبور والفرقان» فيجب الإيمان بها وبنزولها كل واحد منها من الله، لا اعتقاد أنها موجودة كما أُنزلت إلاَّ القرآن فإنه المخصوص بمزية حفظه من التبديل والتحريف لقوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾[1]، وقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[2]، وقد أيّده الواقع كما خص بالإعجاز من وجوه شتى»[3]. وهو بهذا يقرّر أن لله كتبًا عديدة يجب الإيمان بها إجمالاً كما يجب الإيمان بما ذُكِر في القرآن منها على التفصيل.

وعلى هذا المنهاج سار من جاء بعده من علماء البلد الحرام، فقال الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان مما دعا إليه عليه الصلاة والسلام الإيمان الجازم بأن الله ـ جل وعلا ـ بعث إلىٰ الناس بكتب أنزلها في أوقات متفرّقة، وعلى لسان رسل عديدين ترشد الناس إلى ما يهذب نفوسهم ويُصلح شئونهم، ويوجههم إلىٰ ما يرضيه ـ جل شأنه ـ، حيث

---

(١) سورة فُصّلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٣) ما لابد منه، ص(٥٧).

قال تعالى لخاتم رسله: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾[١]، ولتقادم العهد على تلك الكتب اندثر بعضها وسطت على بعضها الآخر الأيدي بالتغيير والتبديل فجاء خاتم الرسل بكتاب من عند الله تضمّن ما كان في تلك الكتب السابقة من الإيمان بالله وإسلام القلوب له. . . فكان هذا الكتاب وهو القرآن بمثابة الأصل في معرفة ما أنزل على الأنبياء السابقين، والمثبت له حيث لا طريق لإثبات شيء منها سواه. . . »[٢].

كما بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الله تولّىٰ حفظ القرآن من التبديل أو التغيير والتحريف حيث قال: «وقد أنزل الله القرآن وتكفّل ـ سبحانه ـ بصيانته من كل تغيير أو تبديل حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[٣]»[٤].

وممن أوضح ذلك: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «إن لله تعالىٰ كُتبًا أنزلها على رسله وأنبيائه وبيّن فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده، وكلها كلام الله تعالىٰ»[٥].

كما بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الكتب السماوية السابقة طرأ عليها التحريف والتبديل حيث قال: «إنّ التوراة والإنجيل والزبور والصحف الموجودة اليوم بيد اليهود والنصارى والصابئين وغيرهم أكثرها محرّفة ومبدّلة ومغيّرة فلا يُعتمد عليها. ولا يجوز قراءتها ولا العمل بها»[٦].

كما بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن القرآن ناسخ لهذه الكتب ومهيمن عليها، فقال:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٤.
(٢) أسمى الرسالات، ص(٢٦٣، ٢٦٤).
(٣) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٤) المصدر السابق، ص(٢٦٤).
(٥) حبل الشرع المتين، ص(٥٧).
(٦) المصدر نفسه، ص(٨٠).

«إن القرآن كلام الله تعالى ناسخ لجميع الكتب السماوية من التوراة والإنجيل والزبور والصحف إلاّ ما وافق القرآن العظيم، أو قصّه الله تعالى بلا إنكار. فلا يجوز العمل بالمنسوخ»[١].

وممّن بيّن الإيمان بالكتب الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في معرض جوابه عن سؤال طرحه مفاده: إذا قيل لك ما هي الكتب؟ فقال مجيبًا عنه: «فقل هي التوراة وأنزلت على موسى، والإنجيل وأنزل على عيسى، والزبور وأنزل على داود، والقرآن وأنزل على محمد ﷺ»[٢].

وممن تعرّض لذكر الإيمان بالكتب: الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في معرض حديثه عن أركان الإيمان: «وبأنّ كتب الله حقّ لأنها الجامعة بين الأمر والنهي فلا يعلم صحة ذلك إلاّ بالإيمان بها»[٣].

وقال الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا عقيدته وما يؤمن به: «وكتبه المنزّلة على أنبيائه حق وصدق»[٤].

وممّن أوضح الإيمان بالكتب: الشيخ عبدالله عبدالغني خياط رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «الإيمان بالكتب: وهي الكتب التي أنزلها الله على الرسل لهداية الخلق منها التوراة أنزلها على موسى، والإنجيل أنزله على عيسى، والزبور أنزله على داود، والقرآن أنزله على خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ»[٥].

وهذا الذي قرّره علماء البلد الحرام هو ما دل عليه الكتاب

---

(١) المصدر نفسه، ص(٨١).
(٢) القول السديد، ص(٩).
(٣) حقيقة التأويل، لوحة: (٩).
(٤) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٣١).
(٥) دليل المسلم في الاعتقاد، ص(٥٠).

والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[(١)].

كما مدح الله ـ سبحانه وتعالى ـ من آمن بكتبه جميعًا فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾[(٢)].

كما بيّن ـ سبحانه وتعالى ـ أنه أنزل كتبًا على أنبيائه ورسله فقال: ﴿الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[(٣)].

كما دلّت السُّنَّة على هذا الركن من أركان الإيمان، وذلك في حديث جبريل المشهور، والذي فيه: قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه»**[(٤)].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٤، ٥.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١ ـ ٤.

(٤) تقدّم تخريجه، ص(٢٥٦).

الفصل الثالث

الإيمان بالرسل وما يتعلق به

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: **تعريف النبي والرسول.**

المبحث الثاني: **حاجة البشر للرسالة.**

المبحث الثالث: **معنى الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام.**

المبحث الرابع: **عصمتهم عليهم السلام.**

المبحث الخامس: **بعض خصائص النبي ﷺ.**

١ـ ختم النبوة.

٢ـ عموم الرسالة.

٣ـ الإسراء والمعراج.

٤ـ الشفاعة العظمى.

المبحث الأول
تعريف النبي والرسول

النـــبي:

جاء في لسان العرب أنه مشتق من: النبأ بمعنىٰ الخبر، والجمع: أنباء، والنبي: المُخْبِر عن الله ـ عز وجل ـ[(١)].

وقيل: النبي مشتقّ من النباوة، وهي ما ارتفع من الأرض.

وقيل: النبي يأتي بمعنى الطريق الواضح[(٢)].

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن لفظة النبي تدور على ثلاث اشتقاقات.

فتارة تكون مشتقة من النبأ بمعنى الخبر. وتارة تكون مشتقة من النباوة وهي ما ارتفع من الأرض. وتارة تكون مشتقة من النبي بمعنى الطريق.

وعند التحقيق نجد أن النبوة تشمل على هذه المعاني الثلاث، فهم المخبِرون عن الله المخبَرون من الله، وهم أعلى الناس وأرفعهم قدرًا، كما أنهم الطريق إلىٰ معرفة الله ـ عز وجل ـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتحقيق أن هذا المعنى داخل في الأول، فمن أنبأه الله، وجعله منبئًا عنه، فلا يكون إلاَّ رفيع القدر عليًّا»[(٣)].

والـرسـول: مشتـق مـن الإرسـال، وهـو بمعنـى الابتعـاث

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١/ ١٦٢) مادة: نبأ.

(٢) انظر: لسان العرب (١/ ١٦٢ ـ ١٦٤) مادة نبأ. والمفردات في غريب القرآن (٢/ ٦٢٢ ـ ٦٢٤) مادة نبأ. والقاموس المحيط (٤/ ٤٥٢) مادة نبأ.

(٣) النبوات، ص(٢٢٣).

والتوجيه[١]. قال الله عن ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٣٥﴾[٢].

وأمّا تعريف النبي والرسول في الاصطلاح فقد تعددت أقوال العلماء فيهما، ومن ذلك ما قاله بعض علماء البلد الحرام.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله: النبي إنسان أوحي إليه بشرع ليعمل به في خاصة نفسه، ولم يؤمر بتبليغه إلاَّ كونه نبيًا ليُحترم.

والرسول إنسان أوحي إليه بشرع، وأُمر بتبليغه، فكل رسول نبي ولا عكس»[٣].

وقال الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رحمه الله في تعريفه للنبي: «هو إنسان أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه، فإن أُمر بتبليغه فهو رسول»[٤].

وممن أوضح الفرق بين النبي والرسول: الشيخ عبدالرحمن المعلمي رحمه الله حيث قال: «الرسول لا يطلق على الإنسان الموحىٰ إليه إلاّ إذا أُمر بالتبليغ لأن الإرسال هو عين الأمر بالتبليغ، ويعني وجود مرسِل ومرسَل ومرسل به ومرسَل إليه، فالمرسِل هو الله تعالىٰ، والمرسَل هو النبي، والمرسَل به هو الأمر بالتوحيد ونحوه، والمرسَل إليه هو القوم.

والنبي أعم من الرسول من حيث أنه يطلق على كل إنسان أُوحي إليه سواء أُمر بالتبليغ أم لم يؤمر وأخص منه من حيث أنه لا يشمل رسول غير الله تعالىٰ، فقد اجتمعا في مادة وهي الإنسان الذي أوحي إليه وأُمر

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن (٢/٢٥٨) مادة رَسَلَ. والقاموس المحيط (٣/٥٢٦) مادة رَسَلَ.
(٢) سورة النمل، الآية: ٣٥.
(٣) ما لابد منه، ص(٦٠).
(٤) الكواكب الدرية، ص(٦).

بالتبليغ، فهذا رسول ونبي، واختصّ الرسول بمادة من أرسله غير الله تعالىٰ ومن أرسله الله من الملائكة فهذا رسول فقط، واختص النبي بمادة وهي الإنسان الذي أُوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهذا نبي فقط.

ولما كانت المادة التي اختص بها لفظ نبي أبلغ من المادة التي اختص بها لفظ رسول وأقرب إلىٰ الدلالة على المادة التي اجتمعا فيها، كان مطلق لفظ نبي أخص وأبلغ في الجملة من مطلق لفظ رسول فتعين ما جاء في القرآن على طريق الترقي»[(١)].

كما أوضح الفرق بين النبي والرسول: الشيخ محمد الفلاّني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في إجابة سؤال طرحه مفاده: «ما الفرق بين النبي والرسول؟ فقال مجيبًا على هذا التساؤل: «بينهما عموم وخصوص، كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، لأن النبي من أُوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه للناس، والرسول هو من أوحي إليه بشرع وأُمر بالتبليغ»[(٢)].

وخلاصة القول أن علماء البلد الحرام يرون أن النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والنبي والرسول من أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه. وهذا هو القول المشهور في الفرق بين النبي والرسول.

وقد اعترض بعض العلماء على هذا التعريف منهم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾[(٣)]: «وآية الجمع هذه تبين أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم، من أن النبي هو من أُوحي إليه وحي، ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النبي الذي أُوحي إليه، وأُمر بتبليغ ما أُوحي إليه غير صحيح، لأن قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الآية. يدل على أن كلاً منهما مرسَل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير

---

(١) آخر ورقة من كتاب التنكيل المخطوط وهي ليست في المطبوع.
(٢) كتاب التوحيد، ص(١٣).
(٣) سورة الحج، الآية: ٥٢.

واستظهر بعضهم أن النبي الذي هو رسول أُنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن النبي المرسَل الذي هو غير الرسول، هو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أُوحي إليه أن يدعو الناس إلىٰ شريعة رسول قبله، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يُرسلون ويُؤمرون بالعمل بما في التوراة، كما بيَّنه تعالى بقوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾[(١)] الآية»[(٢)].

ولعل ما ذهب إليه علماء البلد الحرام في التفريق بين النبي والرسول قول مرجوح؛ لأنه يرد عليه أن عامة المؤمنين مأمورون بالبلاغ فكيف يبعث الله نبيًّا ويكتم ما بعثه الله به.

ولعل الراجح في التفريق بين النبي والرسول أن النبي هو الذي ينبئه الله بأمره ونهيه وخبره وهو ينبىء المؤمنين بما أنبأه الله به من الخبر والأمر والنهي، أما الرسول فهو من يأتي إلى قوم كافرين ولو لم يكن بشرع جديد»[(٣)].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن علماء البلد الحرام يفرّقون بين النبي والرسول فيجعلون النبي من أُوحي إليه بشرع ولم يُؤمر بتبليغه، والرسول من أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه.

والخلاف في هذه المسألة من الخلاف غير المؤثر في المسائل العقدية، والله أعلم.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٢) أضواء البيان لمحمّد الأمين الشنقيطي (٥/ ٧٣٥).

(٣) النبوات، ص(٢٥٦).

المبحث الثاني
حاجة البشر للرسالة

ومما لا شك فيه أن البشر في حاجة ماسة للنبوة كحاجة الجسد للروح، فإن الجسد بلا روح لا حياة فيه، وكذلك البشر لا تستقيم حياتهم ولا يصلح دينهم إلاَّ بالنبوة. وذلك لأن الإنسان مكوّن من روح وجسد، فالجسد يحتاج إلىٰ غذاء وشراب حتى تستقيم حاله، والرّوح تحتاج إلىٰ غذاء يقوّمها وهذا الغذاء هو النبوة.

وقد بيَّن علماء البلد الحرام حاجة البشرية للنبوة فقال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اقتضت حكمة الحكيم العادل أن لا يهمل أشرف مخلوقاته بدون شريعة يتم بها نظام أمورهم دينًا ودُنيا»(١). وهو بهذا يبين حاجة البشرية إلى الشريعة التي يتم بها نظام الحياة، وهذه الشريعة لا تكون إلاَّ عن طريق الرّسُل. ومن هنا تظهر حاجة البشرية إلى النبوة والرّسالة.

كما أوضح هذه الحاجة الشيخ أبوالسمح رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «إن الله تعالى لمَّا خلق الخلق اقتضت حكمته ورحمته أن يُرسل رسُلاً لبني البشر يعلمونهم ما لا تستقل به عقولهم ولا تصل إليه أفكارهم بسهولة»(٢). وهذا بيان منه لحاجة البشرية للنبوة والرسالة لأنهم بدونها يتخبطون في دياجير الظلام لا يستطيعون الخروج من هذه الظلمة إلاَّ بهذا النور الساطع عن طريق ا لأنبياء.

كما أوضح هذه الحاجة: الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «ولمَّا كانت العقول متفاوتة، والأغراض الدنيوية

---

(١) ما لابد منه، ص(٥٨).

(٢) حياة القلوب، ص(٦٢).

متباينة، ولا يستقلون بعقولهم وحدها لمعرفة حق الله عليهم وما به صلاح حالهم وما يرضاه منهم، وما لا يحب أن يأتوه من الظلم والعدوان وبغي بعضهم على بعض، لحبهم الحياة بما ركب فيهم من الميل إلى الشهوات، وامتحنهم به الشياطين ـ كان من حكمته ورحمته بهم: أن أرسل إليهم رسلاً، يوقفونهم على ما يحبه منهم، ويردونهم عما أمر به الشياطين، ويدلّونهم على ما خفي عليهم من الخير وينهونهم عما يتهافتون عليه من الشر ظنًّا منهم أنه غير ضار لهم ويبينون لهم طريق العبادة التي من أجلها خلقهم ربهم ليؤدوها مخلصين إياها له. لهذا لم تخل أمة إلاّ أرسل الله إليها نذيرًا ليذكرهم بعهد الله، ويأمرهم بما يصلحهم، وينهاهم عما يضرهم، كما تواتر ذلك عمن سبقنا وتوارثه الآخر عن الأول منذ خلق الله آدم إلى يومنا هذا، قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[2]»[3].

وهذه الحاجة للنبوة التي أثبتها علماء البلد الحرام أثبتها علماء السلف من قبل، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان حاجة العباد للرسالة: «ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلىٰ معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلاَّ على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيّب والخبيث على التفصيل إلاّ من جهتهم، ولا يُنال رضى الله البتّة إلاَّ على أيديهم... إلى آخر ما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[4].

(١) سورة القيامة، الآية: ٣٦.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.
(٣) تيسير الوحيين، ص(٢٥، ٢٦).
(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٦٩)، ت: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط.

المبحث الثالث
معنى الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان الستة، وهو من الإيمان بالغيب الذي وصف الله به المؤمنين في أول سورة البقرة، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[1]، ومعنى الإيمان بالرسل هو: الاعتقاد الجازم بأنّ الله أرسل رسلاً وأنبياء لدلالة الناس إلى ما فيه خير معاشهم ومعادهم.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معنى الإيمان بالرسل: «اعتقاد أن لله رسلاً أرسلهم لإرشاد الخلق في معاشهم ومعادهم»[2]. كما أوضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يجب الإيمان بهم إجمالاً فقال: «يكفي الإيمان بأن لله أنبياء ورسلاً هكذا بالإجمال، ولا يجب حفظ أسماء من جاء النص بذكرهم، ولكن إنكار نبوة أو رسالة واحد منهم كفر»[3].

وهذا بيان منه لمعنى الإيمان بالرسل، وأنه يكفي الإيمان بهم إجمالاً، كما بيّن كفر من فرّق بين الرسل، فآمن ببعضهم وكفر بالآخر، ومصداق هذا، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٥١﴾[4].

وممن أوضح الإيمان بالرسل: الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١ ـ ٣.

(٢) ما لابد منه، ص(٥٨).

(٣) المصدر نفسه، ص(٦٠).

(٤) سورة النساء، الآيتان: ١٥٠ ـ ١٥١.

حيث قال: «وواجب على المؤمن أن يؤمن بجميع رسل الله السابقين وعدم التفرقة بينهم في الرسالة باعتبار أن وظيفتهم جميعًا هي تبليغ الرسالة وإرشاد المكلفين إلى ما هم في حاجة إلى معرفته من أمور الدين والدنيا، فالإيمان بالبعض والكفر بالبعض الآخر كالكفر بهم جميعًا ماداموا ينتسبون إلىٰ إله واحد، حيث قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ. . .﴾[1] الآية، ذلك لأن الدين الذي أُرسل به جميع الرسل لابد أن تكون مقاصده واحدة من هداية البشر وإصلاح أمرهم»[2]. وهذا بيان منه لمعنى الإيمان بالرسل، كما أوضح أن وظيفتهم هي تبليغ الرسالة وإرشاد العباد لمعرفة أمور دينهم ودنياهم.

وممن أوضح معنى الإيمان بالرسل: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «إن الإيمان بجميع الأنبياء والرسل واجب بلا اقتصار على عدد معين في التسمية فنقول: آمنّا بجميع الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى البشر لهدايتهم ودعوتهم. . .»[3].

وقال مبينًا بعض وظائف الرسل: «إن الله تعالى أرسل رسلاً من البشر إليهم مبشرين ومنذرين ومبينين للناس ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا والدين، وأن إرسالهم لطف من الله ورحمة ومحض فضل وجود، وأن بعثتهم جائزة عقلاً وواقعة قطعًا، وأن حصول النبوة لمن حصلت له بمجرد الاصطفاء الإلهي لا غير»[4]. وهو بهذا يبين بعض صفات الرسل التي منها البشرية، كما أنه يبين بعض وظائفهم من البشارة والنذارة، ثم أخذ في بيان أن النبوة اصطفاء من الله ـ عز وجل ـ كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(٢) أسمىٰ الرسالات، ص(٢٨٠).
(٣) حبل الشرع المتين، ص(٥٦).
(٤) المصدر السابق، ص(٥٥).

يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ . . . ﴾[١]، الآية، وليست من الأمور المكتسبة كما يقوله البعض[٢].

كما أوضح معنى الإيمان بالرسل: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «فيجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالىٰ إجمالاً، فيما لم يُعينوا كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[٣]، فدلّت على الاكتفاء بذلك في الإيمان بهم من غير تفصيل إلاَّ من ثبت تسميته فيجب الإيمان به على التعيين»[٤].

وقد ذهب جل علماء البلد الحرام لبيان معنى الإيمان بالرسل على ما سبق تقريره منهم: الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي[٥]، الشيخ محمد المرزوق الفلاّني[٦]، الشيخ عبدالحق الهاشمي[٧]، الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي[٨]، والشيخ عبدالله خياط[٩] ـ رحمهم الله ـ.

وخلاصة القول: أن علماء البلد الحرام يؤمنون بأنبياء الله ورسله إجمالاً من غير تعيين إلاَّ ما جاء في النصوص تعيينهم وهم الخمسة وعشرون نبيًّا فيجب الإيمان بهم على التفصيل، والله أعلم.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٥.
(٢) وهذا هو قول الفلاسفة، انظر الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٥).
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(٤) الكواكب الدرية، ص(٧٧).
(٥) انظر: حقيقة التأويل، لوحة (٩). التنكيل (٢/ ٢٦٥).
(٦) انظر: السيف المسلول، ص(٤).
(٧) انظر: المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٣١).
(٨) انظر: أصول السيرة المحمدية، ص(١٣).
(٩) انظر: دليل المسلم في الاعتقاد، ص(٥٠).

المبحث الرابع
عصمتهم عليهم السلام

معنى العصمة في اللغة: المنع[١]. ومنه قوله تعالى عن امرأة العزيز: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾[٢]، أي: امتنع.

قال القرطبي: «سميت العصمة عصمة لأنها تمنع من ارتكاب المعصية»[٣].

واصطلاحًا:

لقد عرّف العلماء العصمة في الاصطلاح بتعريفات عدّة. ولعل أنسبها هو: «حفظ الله ظواهر الأنبياء وبواطنهم مما تستقبحه الفِطر السليمة قبل النبوة، وحفظهم من الكبيرة، وصغائر الخسّة بعدها، وتوفيقهم للتوبة والاستغفار من الصغائر وعدم إقرارهم عليها»[٤].

مفهوم العصمة:

لقد قرّر علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ أن الأنبياء معصومون من الوقوع في كبائر الذنوب أو الإصرار على الصغائر.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يجب اعتقاد عصمتهم ـ أي الأنبياء ـ من الكفر والكبائر، والإصرار على الصغائر»[٥].

كما أوضح الشيخ أبوالسمح رَحِمَهُ ٱللَّهُ مفهوم العصمة فقال: «وليس

---

(١) انظر: القاموس المحيط (٤/ ١١٣) مادة عَصَمَ.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٢.

(٣) تفسير القرطبي (٩/ ١٨٤).

(٤) عصمة الأنبياء، ص(٢٤). «رسالة ماجستير في جامعة أم القرى» د. أحمد بن عبداللطيف آل عبداللطيف.

(٥) ما لابد منه، ص(٦٢).

بمعصوم إلاَّ الأنبياء، واختلف العلماء: هل الأنبياء معصومون من الكبائر والصغائر أم من الكبائر فقط، ويجوز أن يقعوا في الصغائر، والحق أنهم معصومون من الصغائر والكبائر، لأنهم مثال الكمال الإنساني والقدوة العُليا للبشر»[١].

ولعلَّ قوله: «أنهم معصومون من الكبائر والصغائر» إنما يريد به أنهم معصومون من الإقرار على الصغائر. والله أعلم.

كما أوضح الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مفهوم عصمة الأنبياء بقوله: «وعلى عصمة الأنبياء عن الكبائر والصغائر عمدًا، وسهوًا عن الأول، وعمدًا عن الثاني انعقد الإجماع، فمن نسب إلىٰ أحد منهم الكبائر أو الكذب أو الغدر والخيانة فهو كافر بالله تعالىٰ»[٢]. وهو بهذا يقرر أن الأنبياء معصومون عن الوقوع في كبائر الذنوب كالكفر والكذب والغدر عمدًا وسهوًا، ومعصومون من الوقوع في الصغائر عمدًا، وهوبهذا يقرر أنه قد تقع الصغائر من الأنبياء إلاّ أنهم لا يقرّون عليها.

وممن تعرّض لبيان مفهوم العصمة: الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث بيّن أن الأنبياء صادقون في كل ما أخبروا، وأنهم معصومون عن الكذب حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الأنبياء صادقون في كل ما أخبروا به عن الله ـ عز وجل ـ وأن من كذّب نبيًا في خبر من ذلك فقد كفر، ومعلوم أن جميع ما أخبر به الأنبياء في شئون الدين فهو إخبار عن الله ـ عز وجل ـ، وهذا من الوضوح عند المسلمين بحيث يستغنىٰ عن إيراد حُججه»[٣].

وقال الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا عصمة النبي ﷺ: «وله ﷺ العصمة كسائر الأنبياء فيما يبلّغ عن ربه، ومن الوقوع في المعاصي

(١) الأولياء والكرامات، ص(٢٠).
(٢) حبل الشرع المتين، ص(٧٤).
(٣) التنكيل (٢/ ٢٦٥).

وليست العصمة لمن بعده من الأئمة كما تقول الرافضة»[١].

ومن أوضح هذه المسألة: الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «ولم يضمن الله سبحانه العصمة لأحد غير رسله وأنبيائه فيما بلّغوا من رسالات الله»[٢].

ومذهب السلف في هذه المسألة أن الأنبياء معصومون من الوقوع في الكبائر مع عدم إقرارهم على الصغائر، وهذا هو الذي دلّ عليه الكتاب والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾[٣].

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «خالف أمر ربه فتعدّىٰ إلىٰ ما لم يكن له أن يتعدّىٰ عليه من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها، ثم اصطفاه ربه من بعد معصيته إيّاه فرزقه الرجوع إلىٰ ما يرضى عنه، والعمل بطاعته. . .»[٤].

وقال النبي ﷺ: «**إنما أنا بشر مثلكم، أنسىٰ كما تنسون، فإذا نسيت فذكّروني**»[٥].

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوبًا ويحملهم التنزيه لهم ـ صلوات الله عليهم ـ على مخالفة كتاب الله ـ جلّ ذكره ـ»[٦].

مواقف الناس من عصمة الأنبياء:

والناس في هذه المسألة طرفان ووسط:

---

(١) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٣١).
(٢) ظلمات أبي رية، ص(٢٧٢).
(٣) سورة طه، الآية: ١٢١.
(٤) تفسير ابن جرير (٨/٤٦٨).
(٥) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب: التوجه نحو القبلة حيث كان (١/١١١)، ح(٤٠١). ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: السهو في الصلاة والسجود له (١/٤٠٠)، ح(٥٧٢).
(٦) تأويل مشكل القرآن، ص(٤٠٢).

١ ـ الذين جوّزوا وقوع الكبائر والكفر من الأنبياء عليهم السلام وهم الفضلية من الخوارج والكرامية من المرجئة.

٢ ـ الذين يرون وجوب عصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر مطلقًا. وهم أكثر المتكلمين والشيعة.

٣ ـ الذين يرون أن الأنبياء معصومون من الكبائر وصغائر الخسّة، ويجوّزون وقوع صغائر الذنوب والسهو والنسيان إلاّ أنهم يقولون: إن الله لا يقرّ الأنبياء على ما وقع منهم، وأن الأنبياء يتوبون منها. وهؤلاء هم: جمهور أهل السُّنَّة والجماعة[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهم ـ أي الأنبياء ـ معصومون في تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين بحيث لا يجوز أن يستقرّ في ذلك شيء من الخطأ»[(٢)].

وقال: «وعامة الجمهور الذين يجوّزون عليهم الصغائر يقولون: إنهم معصومون من الإقرار عليها، فلا يصدر عنهم ما يضرّهم»[(٣)].

وقال: «والقول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام. وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبوالحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو ـ أيضًا ـ قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين إلاّ ما يوافق هذا القول»[(٤)].

وهذا الرأي هو الرأي الوسط بين الآراء المذكورة، والله أعلم.

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة (١/ ٤٧٠ ـ ٤٧٣)، وعصمة الأنبياء من ص(٤٣ ـ ٦٢) د. أحمد عبداللطيف.

(٢) منهاج السنة (١/ ٤٧٠).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٤٧٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٩).

المبحث الخامس
بعض خصائص النبي ﷺ

لقد اختصّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبينا محمدًا ﷺ ببعض الخصائص التي انفرد بها عن غيره من الأنبياء فمن ذلك ما يلي:

١ ـ ختم النبـوة:

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ختم بنبوة محمد ﷺ النبوة فلا نبيَّ بعده.

وقد دلّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة، قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(١).

وقال ﷺ: **«إنه سيكون في أُمتي كذّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبيّ وأنا خاتم النبيين، لا نبيَّ بعدي»**(٢).

وقال ﷺ: **«مثلي ومثل الأنبياء، كمثل رجل بنىٰ بنيانًا فأحسنه وأجمله إلاَّ موضع لَبِنَةَ من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللّبِنَة. قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»**(٣).

وهذا الذي دلّ عليه الكتاب والسُّنَّة، هو الذي قرّره علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض حديثه عن خصائص

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) رواه أبوداود في كتاب الفتن، باب: ذكر الفتن (٤/ ٤٥٢)، ح(٤٢٥٢). والترمذي في كتاب الفتن، باب: ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذّابون (٤/ ٤٩٩)، ح(٢٢١٩)، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب: ختم النبيين (٦/ ٥٥٨)، ح(٣٥٣٥). ومسلم في كتاب الفضائل، باب: ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين (٤/ ١٧٩٠)، ح(٢٢٨٦).

النبي ﷺ: «كونه خاتم الأنبياء فلا نبيّ بعده، ولا ينافي ذلك نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان لأنه يحكم بشريعة نبينا ﷺ الناسخة لجميع الشرائع»(١). وهو بهذا يبين ختم الأنبياء بالنبي ﷺ وأنه لا نبيَّ بعده ﷺ.

وقال الشيخ عبدالحميد الخطيب رحمه الله في بيان كون النبي ﷺ خاتم النبيين:

«واصطفاه الإله من خير بيت ينتهي إلى الخليل منهم بناء
ذاك جد للأنبياء وهذا خاتم الرسل من له الانتهاء
وختام الرحيق مسك فلا غرو إذا ما طاب منه نداء»(٢)

كما أوضح الشيخ محمد سلطان المعصومي رحمه الله هذه الخاصية بقوله: «وخاتمهم وآخرهم سيدنا محمد ﷺ، ولا نبي بعد نبينا محمد ﷺ، فمن ادَّعىٰ النبوة بعده فهو كذّاب كافر»(٣).

كما بيَّن هذه الخاصية: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رحمه الله حيث قال في معرض ردّه على القائلين بأن النبوة مكتسبة: «ومن زعم أنها مكتسبة فهو زنديق يجب قتله لأن كلامه يقتضي أن النبوة لا تنقطع، وهو مخالف لنصّ القرآن إذْ نبينا محمد ﷺ خاتم النبيين»(٤). وهذا بيان منه لهذه الخاصية للنبي ﷺ.

وقال الشيخ محمد الفلاّني رحمه الله في بيان هذه الخاصية: «وخَتمهم بالنبي الأميّ العربي القرشي الهاشمي»(٥).

وممّن أوضح اختصاص النبي ﷺ بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين: الشيخ عبدالحق الهاشمي رحمه الله حيث قال: «وهو عليه السلام خُتمت به

(١) ما لابد منه، ص(١٠٩).
(٢) همزية الخطيب، ص(٢٨).
(٣) حبل الشرع المتين، ص(٥٧).
(٤) الكواكب الدرية، ص(٧٦).
(٥) السيف المسلول، ص(٤).

النبوات»(١).

كما أوضح الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك بقوله: «كما يجب عليه أن يؤمن بأنه خاتم النبيين والمرسلين، وأن لا نبيَّ ولا رسول بعده، وأنه الذي بشّر به عيسى ابن مريم، وأن النبوة والوحي انقطع بعد موته، وأن الدين قد تم بوفاته فليس لأحد أن يزيد فيه ويُنقص منه»(٢).

وممن أوضح هذه المسألة: الشيخ عبدالله خياط رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «إن الله ـ سبحانه ـ قد ختم برسالته ونبوته ـ أي النبي ﷺ ـ جميع الرسالات، فلا نبي ولا رسول بعده، كما قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ . . . ﴾(٣)»(٤).

وبهذا التقرير يظهر لنا أن علماء البلد الحرام يرون أن النبوة خُتمت بالنبي ﷺ، فلا نبيّ بعده، وكل من ادعىٰ النبوة بعده فهو دعيّ كذّاب، وهذا هو الذي قرّره علماء الإسلام وأجمعت الأمة عليه.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير آية الأحزاب السابقة: «ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تُفتح لأحد بعده إلىٰ قيام الساعة»(٥).

وقال القاضي عياض: «أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين، لا نبيّ بعده، وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين، وأنه أرسله كافة للناس، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره»(٦).

---

(١) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٣١).
(٢) تيسير الوحيين، ص(٢٧).
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.
(٤) دليل المسلم في الاعتقاد، ص(٣٧).
(٥) تفسير ابن جرير (١٠/ ٣٠٥).
(٦) الشفاء (٢/ ٢٧١).

٢ ـ عمـــوم الرســـالة:

من حكمة الله ـ عز وجل ـ أن يُرسل كل رسول إلىٰ قومه خاصة، أمّا نبينا ﷺ فكانت رسالته للناس عامة على اختلاف أوطانهم وأجناسهم. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٢].

وقال النبي ﷺ: «**أُعطيت خمسًا لم يعطهنّ أحد من الأنبياء قبلي**...» وذكر منها: «**وكان كل نبي يبعث إلىٰ قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة**»[٣].

وهذا ما قرّره علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ قال الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله في بيان ما اختص به النبي ﷺ: «رسالته إلىٰ كافة الخلق من الإنس والجن بالإجماع. قال تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾[٤][٥]، وهو بهذا يقرّر عموم رسالة النبي ﷺ إلى جميع الخلق من الإنس والجن على اختلاف ألسنتهم وبيئاتهم.

وممّن سار على هذا المنهج: الشيخ عبدالحميد الخطيب رحمه الله حيث قال:

«وغدا له يوحي الذي أوحى له ... مولاه من ذكر ومن آيات

من بعد كلّفه بإنذار العشيـ ... ـرة من ذوي الأرحام والقربات

من بعدهم قوم النبي وبعدهم ... من كان لم ينذر من النّسمات

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٣) رواه البخاري في كتاب التيمم، باب التيمم (١/ ٤٣٥)، ح(٣٣٥). ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٣٧٠)، ح(٥٢١).

(٤) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٥) ما لابد منه، ص(١٠٩).

من بعدهم كل الشعوب ومن له   يصل النداء لموعد الميقات»[١]

وهو بهذا يبين أنّ النبي ﷺ أُرسل إلىٰ كافة الشعوب من العرب والعجم والإنس والجن.

وممّن بيّن هذه الخاصية: الشيخ محمد سلطان المعصومي رحمه الله حيث قال: «إن سيدنا محمدًا عليه الصلاة والسلام مرسَلٌ ومبعوث إلىٰ كافة الخلق وجميع أهل العالم، وهو المبعوث إلىٰ عامة الجنّ، وكافة الورى بالحق والهدى»[٢].

وقال الشيخ محمد عبدالعزيز المانع رحمه الله مبينًا عموم رسالة النبي ﷺ في جواب سؤال طرحه: «فقل أُرسل للناس كافة عربهم وعجمهم إنسهم وجنّهم. والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[٤][٥].

وقال الشيخ محمد الفلاّني رحمه الله مبينًا عموم رسالة النبي ﷺ وذلك في معرض حديثه عن النبي ﷺ: «المبعوث إلىٰ جميع الثقلين الجن والإنس محمد ﷺ»[٦].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رحمه الله: «يجب على كل مكلف أن يصدق برسالة محمد ﷺ إلىٰ عموم الناس عربهم وعجمهم، وإلىٰ الجن كذلك»[٧].

وهذه المسألة مما أجمعت الأمة عليها.

---

(١) سيرة سيد ولد آدم، ص(٧٥).
(٢) حبل الشرع المتين، ص(٥٨).
(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٨.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٥) القول السديد، ص(١٢).
(٦) السيف المسلول، ص(٤).
(٧) تيسيرالوحيين، ص(٢٧).

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول ـ تعالى ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمّد للناس كلهم ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ لا إلىٰ بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرسل مُرسَلاً إلىٰ بعض الناس دون بعض. فمن كان منهم أُرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلىٰ بعضكم دون بعض، ولكنها إلىٰ جميعكم»[1].

وقال في تفسير آية سبأ: (٢٨): «وما أرسلناك يا محمد إلىٰ هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكنّا أرسلناك كافة للناس أجمعين العرب منهم والعجم والأحمر والأسود»[2].

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنه أُرسل كافة للناس وأجمعت الأمّة على حمل هذا الكلام على ظاهره»[3].

٣ ـ الإســراء والمعــراج:

لقد اختصّ الله نبيه محمدًا ﷺ من بين سائر الأنبياء بالإسراء والمعراج، ومعتقد أهل السُّنَّة والجماعة في الإسراء والمعراج أن النبي ﷺ أُسري به من مكة إلى بيت المقدس، ثم عُرج به من بيت المقدس إلى السماء السابعة بالروح والجسد يقظة لا منامًا. وهذا هو الذي قرّره علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ: «المعراج وقد كان قبل الهجرة بسنة أُسري به ﷺ يقظةً بالروح والجسد جميعًا إلى المسجد الأقصىٰ من بعد صلاة العشاء، وعُرج به إلىٰ الله من بيت المقدس إلىٰ السموات العُلى إلىٰ سدرة المنتهى إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، فكان قاب قوسين أو أدنى، ففرض عليه الله خمسين صلاة، فلما رجع إلىٰ موسى سأله عما فُرض عليه وعلى أمّته فأخبره فقال له: «ارجع إلى ربك

---

(١) تفسير ابن جرير (٦/ ٨٧).
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ٣٧٧).
(٣) الشفاء (٢/ ٢٧١).

فسأله التخفيف إن أمتك لا تطيق ذلك» فرجع إليه فسأله التخفيف، ثم رجع إلى موسىٰ فأعاده، ومازال يراجعه حتى انتهى أمره تعالىٰ إلى الصلوات الخمس، وأصبح نبينا ﷺ من ليلته تلك بمكة، فصلّى الفجر كما في الحديث الذي في الصحاح»[١]. وهو بهذا يبيّن أن الإسراء كان بالروح والجسد يقظة لا منامًا.

وقال الشيخ عبدالحميد الخطيب رحمه الله موضحًا هذه المسألة:

«وبجسمه أسرى الإله على البرا ... قِ لكي يرى الآلاء والآيات
من بيته للقدس ثم إلى السما ... ء لسدرة في منتهى الطبقات»[٢]

كما قال الشيخ محمد سلطان المعصومي رحمه الله موضحًا هذه المسألة: «إن معراج النبي سيدنا محمد رسول الله ﷺ في اليقظة بشخصه وجسده إلىٰ المسجد الأقصى، ثم إلىٰ السماء، ثم إلىٰ ما شاء الله تعالىٰ من العُلا حق ثابت. وقد أكرمه الله بما شاء فأوحىٰ إليه ما أوحىٰ»[٣].

وممّن أوضح مسألة الإسراء والمعراج: الشيخ عبدالحق الهاشمي رحمه الله، حيث قال: «وكان الإسراء والمعراج بشخصه ﷺ يقظة»[٤].

وهذا هو الذي دل عليه الكتاب والسُّنَّة. قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا

(١) ما لابد منه، ص(١٢١).
(٢) سيرة سيد ولد آدم، ص(١٠٧).
(٣) حبل الشرع المتين، ص(٩٦).
(٤) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٣١).
(٥) سورة الإسراء، الآية: ١.

يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾[(١)].

كما روى حديث الإسراء والمعراج جمع من الصحابة، منهم: عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وأم سلمة، وأبوسعيد الخدري، وأبوهريرة، وأنس بن مالك، وشدّاد بن أوس، وعائشة، وأبي بن كعب، وغيرهم.

وخرّج حديث الإسراء والمعراج جمع من المحدثين، منهم: البخاري[(٢)]، ومسلم[(٣)]، والترمذي[(٤)]، والنسائي[(٥)]، وغيرهم.

وهذا الذي قرّره علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ في أن النبي ﷺ أُسري به بجسده وروحه هو الذي عليه جماهير أهل السُّنَّة والجماعة.

قال الآجرّي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره حديث الإسراء والمعراج: «من بين جميع ما تقدّم ذكري له عُلم أن الله ـ عز وجل ـ أسرى بمحمد ﷺ بجسده وعقله. لا إنّ الإسراء كان منامًا»[(٦)].

وقال أبوالقاسم الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فصل في أن الإسراء والمعراج كان يقظة لا منامًا:

قال بعض العلماء قوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[(٧)] سبحان هاهنا للتعجب فوجب أن يحمل على ما هو أعجب، ولو كان عُرج بروحه دون بدنه لم يكن فيه كبير عجب، لأن الرجل قد يرى في

---

(١) سورة النجم، الآيات: ٣ ـ ١٤.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: المعراج (٥/ ٦٦).

(٣) انظر: صحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، (١/ ١٤٥ ـ ١٤٧)، ح(١٦٢).

(٤) انظر: سنن الترمذي في كتاب الصلاة، باب: ما جاء كم فرض الله على عباده من الصلوات (١/ ٥٣٣) ح(٢١٣).

(٥) انظر: سنن النسائي في كتاب الصلاة، باب: فرض الصلاة (١/ ٢١٧).

(٦) كتاب الشريعة (٣/ ١٥٣٩)، ت: د. عبدالله بن عمر الدميجي.

(٧) سورة الإسراء، الآية: ١.

منامه أنه عرج به إلى السماء، فإذا أخبر به لم يُتعجب منه، ولم يُنسب إلىٰ الكذب»[١].

وللناس في هذه المسألة قولان مشهوران:

أحدهما: أنه أُسري بروحه وبدنه معًا.

الثاني: أنه أُسري بروحه دون بدنه.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذين قالوا: عُرج برسول الله ﷺ طائفتان:

طائفة قالت: عُرج بروحه وبدنه، وطائفة قالت: عُرج بروحه ولم يفقد بدنه»[٢].

والصواب في هذه المسألة: أن الإسراء والمعراج كان بالروح والبدن يقظة لا منامًا، وذلك لأن الله تعالىٰ قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[٣]، فلفظ «عبد» تُطلق ويُراد بها: «الروح والبدن معًا، والله أعلم.

٤ ـ الشفاعة العظمى:

وهي الشفاعة الكبرى في فصل القضاء بين الناس يوم القيامة، وهي من خصائص النبي ﷺ التي انفرد بها عن غيره.

وقد جاءت الأحاديث بإثبات هذه الشفاعة، كما في حديث الشفاعة الطويل[٤]، وقوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع**»[٥].

---

(١) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (١/ ٥١١).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٤٠).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٨٤)، ح(١٩٤).

(٥) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب: تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٤/ ١٧٨٢)، ح(٢٢٧٨).

وقال النبي ﷺ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾[١]، قال: «**هي الشفاعة**»[٢].

وهذا ما قرّره علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله في معرض حديثه عن خصائص النبي ﷺ حيث ذكر منها: «الشفاعة العظمىٰ في موقف القيامة لأنه يحمده فيها الأولون والآخرون»[٣].

وقال الشيخ عبدالحق الهاشمي رحمه الله: «وأثبت لرسول الله ﷺ الشفاعة لأهل الموقف ثم الشفاعة لدخول الجنة، وهاتان يختص بهما»[٤].

وهذا الذي قرّره علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ هو ما عليه جمهور أهل السُّنَّة والجماعة.

قال ابن قُتيبة رحمه الله في تعليقه على حديث «**أنا سيد ولد آدم. . .**»: «وإنما أراد أنه سيد ولد آدم يوم القيامة لأنه الشافع يومئذٍ والشهيد، وله لواء الحمد والحوض، وهو أول من تنشق عنه الأرض»[٥].

وقال ابن جرير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾: «فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم»[٦].

وقال ابن خزيمة رحمه الله: «إن هذه الشفاعة التي وصفنا أنها أول

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب: من سورة بني إسرائيل (٥/ ٣٠٣)، ح(٢١٣٧)، وقال: هذا حديث حسن.

(٣) ما لابد منه، ص(١١١).

(٤) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٣١).

(٥) تأويل مختلف الحديث، ص(١٠٩).

(٦) تفسير ابن جرير (٨/ ١٣١).

الشفاعات هي التي يشفع بها النبي ﷺ ليقضي الله بين الخلق، فعندها يأمره الله عز وجل أن يُدخِل من لا حساب عليه من أمّته الجنة من الباب الأيمن، فهو أوّل الناس دخولاً الجنة من المؤمنين»[١].

والنبي ﷺ له عدّة شفاعات:

الشفاعة الأولى: شفاعته ﷺ لأهل الموقف:

عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«لايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم»**. وقال: **«إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسىٰ، ثم بمحمد ﷺ، فيشفع ليقضىٰ بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذٍ يبعثه الله مقامًا محمودًا يحمده أهل الجمع كلهم»**[٢].

الشفاعة الثانية: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقّه:

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ لعمّه أبي طالب.

عن العباس ـ رضي الله عنه ـ قال: «يا رسول الله! هل نفعت أباطالب بشيء؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: **«نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»**[٣].

الشفاعة الثالثة: شفاعته ﷺ في دخول أهل الجنة الجنة:

قال ﷺ: **«آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك»**[٤].

---

(١) كتاب التوحيد (٢/٥٩٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب: من سأل الناس تكثرًا (٢/ ١٣٠).

(٣) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: قصة أبي طالب (٤/٢٤٧). ومسلم في كتاب الإيمان، باب: شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب (١/ ١٩٥).

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: أنا أول الناس يشفع في الجنة (١/١٨٨).

الشفاعة الرابعة: شفاعته ﷺ في أهل الكبائر:

والمقصود بأهل الكبائر: العُصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم ﷺ لإخراجهم من النار.

عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يُسمّون الجهنّميين**»[١].

الشفاعة الخامسة: الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة:

عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ دعا لأبي سلمة لما تُوفي فقال: «**اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونوّر له فيه**»[٢].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار (٧/ ٢٠٣).

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب: في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضر (٢/ ٦٣٤).

الباب الخامس
جهودهم في تقرير الإيمان باليوم الآخر

الفصل الأول: **الإيمان بأشراط الساعة.**
الفصل الثاني: **الإيمان بالموت وما بعده.**
الفصل الثالث: **الإيمان بالبعث وما بعده.**

الفصل الأول

الإيمان بأشراط الساعة

والشفاعة، ودخول المؤمنين الجنة، ورؤية الله للمؤمنين»[١].

وقد أشار إلى هذا الركن: الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: «لا يسعنا إلاّ أن نؤمن باليوم الآخر»[٢].

وممّن بيّن هذا الركن: الشيخ عبدالله خياط رَحِمَهُ اللهُ حيث قال مبينًا معنى الإيمان باليوم الآخر: «الإيمان باليوم الآخر أي التصديق بأن لله يومًا يجمع فيه الخلائق من أولهم إلىٰ آخرهم، ويبعثهم من القبور بعد أن صاروا رميمًا للحساب والجزاء، إذ لا يليق بعدل الله أن يترك الخلق دون مجازاة على أعمالهم التي عملوها في الدنيا فيستوي الصالح والفاسد، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٣]»[٤].

وهم بهذا يبينون أن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان التي لا يسع المسلم إلاّ أن يؤمن بها على ما جاء في النصوص الصحيحة الصريحة، والله أعلم.

---

(١) ما لابد منه، ص(٦٤).
(٢) أسمى الرسالات، ص(٢٨٩).
(٣) سورة الزلزلة، الآيات: ٦ ـ ٨.
(٤) دليل المسلم في الاعتقاد، ص(٥٠).

الفصل الأول
الإيمان بأشراط الساعة

معنى أشراط الساعة:

أشراط: جمع شرط، وهوالعلامة[(١)].

قال ابن فارس: «الشين والراء والطاء: أصل يدل على عَلَمٍ وعلامة، وما قارب ذلك من عَلَم، ومن ذلك الشرط: العلامة. وأشراط الساعة: علاماتها»[(٢)].

معنى الساعة: هي جزء من أجزاء الزمن، ويُعبر بها عن القيامة قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[(٣)]، والساعة: تطلق ويُراد بها: معنيان:

أحدهما: القيامة؛ وذلك لسرعة الحساب فيها.

الثاني: الوقت من الزمن، وهي جزء من مجموع الليل والنهار[(٤)].

والمقصود بأشراط الساعة: هي علامات قرب وقوعها. وهذه العلامات تنقسم إلى قسمين:

علامات صغرىٰ، وعلامات كبرىٰ:

ونحن سوف نذكر كلام علماء البلد الحرام حول العلامات الكبرىٰ التي تدلّ على قرب الساعة: كظهور الدجّال، ونزول عيسى ابن مريم،

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن (١/ ٣٤٠) مادة شَرَطَ. والقاموس المحيط (٢/ ٥٥٩) مادة شَرَطَ.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٠) مادة شرط.

(٣) سورة القمر، الآية: ١.

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن (١/ ٣٢٧) مادة ساعة. والقاموس المحيط (٣/ ٥٥) مادة سَوَعَ. ومعجم مقاييس اللغة (٣/ ١١٦) مادة سَوَعَ.

وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدخان.

وهذه الأشراط هي التي تحدث عنها علماء البلدالحرام ـ رحمهم الله تعالى ـ.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله مبينًا أشراط الساعة الكبرى: «كل ما صحّ النقل فيه فيما شاهدنا أو غاب عنا نعتقده، ونعلم أنه صدق وحق، وسواء في ذلك ما عقلناه، وجهلناه، ولم نطّلع على حقيقة معناه، ومن ذلك أشراط الساعة مثل: خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وخروج المهدي، وخروج الدخان، وخروج النار من عدن»(١).

وممن بيّن هذه الأشراط: الشيخ عبدالحميد الخطيب رحمه الله حيث قال في معرض حديثه عن أشراط الساعة: «غير أن النبي ﷺ بما آتاه الله من علم لم يضنّ على الناس ببيان أشراطها. وهي كثيرة يحسن بنا أن ننقل شيئًا منها... روى البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ «أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى وأيّتها كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا»(٢). كما أنّ من أمارات اقتراب الساعة ظهور الدجال، وهو رجل مضلّل يأتي بكثير من خوارق العادات ويدّعي الربوبية، وحذّر ـ أي النبي ﷺ ـ الناس منه بقوله: «**ما من نبي إلَّا وقد أنذر أمته الأعور الكذّاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ف**

(١) ما لابد منه، ص(٧٢، ٧٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١١/ ١١٠، ١١١)، ح(٦٨٨١)، ت: أحمد شاكر، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في خروج الدجال ومكثه في الأرض (٤/ ٢٢٦٠)، ح(٢٩٤١)، بلفظ: «إن أول...».

ر»[1].

وفي حديث آخر: «**الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار**»[2].

وفي حديث آخر: «**يتبع الدجال من يهود أصفهان سبعون ألفًا عليهم الطيالس**»[3].

وفي حديث آخر: «**لينزلن ابن مريم ليس بيني وبينه نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلىٰ الحمرة والبياض ينزل بين مبصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير، ويهلك الله في زمانه المِلَل كلها إلَّا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون**»[4][5].

وممّن بيّن معنى الأشراط: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في بيان أشراط الساعة عامة: «وكل ما أخبر به الشارع من أشراط الساعة على ما وردت به الآيات والأحاديث الصحيحة حق كائن»[6]. كما بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم وأنهما من أشراط الساعة حيث قال: «إن نزول عيسى ـ على نبينا وعليه الصلاة

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه (٤/ ٢٢٤٨)، ح(٢٩٣٣).

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه (٤/ ٢٢٤٩)، ح(٢٩٣٤).

(٣) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في بقية من أحاديث الدجال (٤/ ٢٢٦٦)، ح(٢٩٤٤) بلفظ: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة**».

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٤٩٤) (٢/ ٤٠٦، ٤٣٧).

(٥) أسمى الرسالات، (ص(٣٠٤، ٣٠٥).

(٦) حبل الشرع المتين، ص(١٠١).

والسلام - علامة على قرب الساعة، حقٌّ، فيقتل الدجال الكذاب الموعود، فخروج الدجال حق. وإن عيسى عليه السلام حي مرفوع في السماء ما قتله اليهود وما صلبوه ولكن شُبّه لهم لقول الله تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾[1]»[2]، كما أوضح رحمه الله ما مع الدجال من الآيات حيث قال: «وإن الدجال يحيي ويميت ويمطر السماء فتنة لأهل الضلال»[3].

ومن العلامات التي ذكرها الشيخ المعصومي رحمه الله: خروج يأجوج ومأجوج، حيث قال: «إن خروج يأجوج ومأجوج قرب الساعة حقٌّ»[4].

ومن العلامات - أيضًا - التي ذكرها خروج الدابة فقال: «إن خروج الدابة قرب الساعة، حقٌّ؛ لقول الله تعالى في سورة النمل: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾[5]»[6]، كما أوضح بعض العلامات الأخرى مثل: خروج الدخان، فقال: «إن خروج الدخان قرب الساعة حق، لقول الله تعالى في سورة الدخان: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾[7]»[8]، كما ذكر كذلك طلوع الشمس من مغربها فقال: «إن طلوع الشمس من مغربها

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٦١.
(٢) المصدر السابق، ص(١٠٢).
(٣) هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين، ص(٧٧).
(٤) حبل الشرع المتين، ص(١٠٣).
(٥) سورة النمل، الآية: ٨٢.
(٦) المصدر السابق، ص(١٠٤).
(٧) سورة الدخان، الآيات: (١٠ - ١٢).
(٨) المصدر السابق، ص(١٠٥).

قرب الساعة حق»[١].

وممن ذكر أشراط الساعة: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في معرض كلامه عن الدجال: «سمّى دجالاً لتمويهه على الناس وتلبيسه، ويخرج بخراسان كما في سنن الترمذي، ويتبعه سبعون ألفًا من يهود أصفهان كما في صحيح مسلم، وإنما سُمي مسيحًا لأن أحد عينيه ممسوحة لا يبصر بها، ويقتله سيدنا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بباب لُدّ. . . إلىٰ أن قال: فلا تجادل في مجيئه وقتل المسيح إياه لورود ذلك في الأحاديث، ويجب علينا قبول ما صح منها وإن لم تبلغه عقولنا»[٢].
كما أوضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ نزول عيسىٰ ابن مريم حيث قال: «ومنها ـ أي أشراط الساعة ـ المسيح عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو أن ينزل من السماء، إذْ هو لم يمت حتى الآن وذلك مستنبط من القرآن وجاءت به السُّنَّة، أما القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ﴾[٣]، وأمّا السُّنَّة فأخرج الشيخان عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية»**[٤]»[٥]. كما قال في معرض حديثه عن يأجوج ومأجوج: «فمجيئهم قطعي يجب الإيمان به»[٦]. كما بيّن أن من أشراط الساعة خروج الدخان فقال: «ومن أشراط الساعة التي ورد النص بها: آية الدخان، وهي ثابتة في الكتاب والسُّنَّة،

---

(١) المصدر السابق، ص(١٠٤).
(٢) الكواكب الدرية، ص(٦٠، ٦١).
(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٩.
(٤) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب: نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ (٤/ ٢٠٤، ٢٠٥)، ح(٣٤٤٨). ومسلم في كتاب الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم حاكم بشريعة نبينا محمد ﷺ (١/ ١٣٥)، ح(١٥٥).
(٥) الكواكب الدرية، ص(٦٠).
(٦) المصدر نفسه، ص(٦١).

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ ﴾[١]، وأما السُّنَّة ففي صحيح مسلم من حديث حذيفة مرفوعًا «أنها ـ أي الساعة ـ لن تقوم حتى تروا عشر آيات فذكر منها الدخان»[٢]»[٣].

ومن الأشراط التي أوضحها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ طلوع الشمس من مغربها حيث قال: «طلوع الشمس من مغربها ثابت بالسُّنَّة الصحيحة ففي الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها**»[٤]»[٥].

كما ذكر من أشراط الساعة خروج الدابة، فقال: «والمقصود بيان أن خروج الدابة من علامات الساعة التي لا يجب الإيمان بها. قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝٨٢ ﴾[٦]»[٧].

وممن ذكر هذه الأشراط وقرّرها: الشيخ عبدالرحمٰن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال مبينًا خروج الدجال وذلك في معرض حديثه عن مآخذ العقيدة: «قلت قد كشف الشرع حالها ـ أي: الخوارق التي مع الدجال ـ بالدلالات القاطعة من المأخذين السلفيين على كذب الدجال، ولم

---

(١) سورة الدخان، الآية: ١٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي قد تكون قبل الساعة (٤/ ٢٢٢٥)، ح(٢٩٠١).

(٣) الكواكب الدرية، ص(٦٢).

(٤) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: طلوع الشمس من مغربها (٨/ ١٣٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١/ ١٣٧)، ح(١٥٧).

(٥) الكواكب الدرية، ص(٦٢).

(٦) سورة النمل، الآية: ٨٢.

(٧) الكواكب الدرية، ص(٦٣).

يكتف بذلك، بل نصّ النبي ﷺ على خروج الدجال وكذبه وظهور ما يظهر على يديه، وأن ذلك ابتلاء محض»[١]. ثم بيّن رحمه الله أن من أشراط الساعة طلوع الشمس من مغربها حيث قال: «والأخبار بأن الشمس سوف تطلع من مغربها متواترة عن النبي ﷺ»[٢].

وممن ذكر أشراط الساعة وقررها: الشيخ عبدالحق الهاشمي رحمه الله حيث قال: «وأثبت خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، وظهور المهدي»[٣].

وممن تعرّض لذكر أشراط الساعة: الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة رحمه الله حيث قال: «وأحاديث فتنة الدجال الكثيرة التي تبلغ حد التواتر المعنوي، وأحاديث الدابة وطلوع الشمس من مغربها، وحديث: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله**»[٤]، وحديث: «**لا تقوم الساعة إلَّا على شرار الخلق وعلى لكع ابن لكع**»[٥]، وحديث: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم...»[٦]. إلى أن قال: آمن بها المسلمون وإن جحدها الجاحدون»[٧].

وممن بيّن أشراط الساعة: الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي

---

(١) التنكيل (٢/ ٢٣٢).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ١٩٩).
(٣) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٣١).
(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٦٨). ومسلم في كتاب الإيمان، باب: ذهاب الإيمان بآخر الزمان (١/ ١٣١)، ح(١٤٨)، وابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب: إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث (١٥/ ٢٦٣)، ح(٦٨٤٩).
(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٢٦، ٣٥٨)، (٣/ ٤٦٦).
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: ما يُحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (١١/ ٢٩٣) ح(٦٤٢٨). والترمذي في كتاب الفتن، باب: ما جاء في القرن الثالث (٦/ ٣٨٩) ح(٢٣٢٠، ٢٣٢٢).
(٧) كتاب الشواهد والنصوص، ص(٧٩، ٨٠).

رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال في بيان بعض المغيبات: «ومن هذا يأجوج ومأجوج، والدابة، والدجال، وكثير من أشراط الساعة التي لم تعاين، ولم تدخل تحت حواسنا إلىٰ الآن، ولم يجدّ زمنها، وكل ذلك في حكم الغيب»(١).

كما أوضح رَحِمَهُ اللَّهُ أن من أشراط الساعة طلوع الشمس من مغربها فقال: «وأخبر النبي ﷺ أن منها ـ أي أشراط الساعة ـ طلوع الشمس من مغربها، وأنها إذا طلعت آمن الناس أجمعون، وحينئذٍ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل»(٢).

وممن بيّن أشراط الساعة وقرّرها: الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: «يجب ـ أيضًا ـ الإيمان بكل ما ورد في السُّنَّة من الأحاديث المنقولة بطريق صحيحة سواء في ذلك ما أدركته عقولنا أو قصرت في إدراكه وتعقله مثل الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج، وخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها»(٣).

وهذا الذي قرّره علماء البلد الحرام هو الذي دلّت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة.

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ

---

(١) تيسير الوحيين، ص(١٠٠، ١٠١).

(٢) الطواغيت المقنعة، ص(١٢١).

(٣) اعتقاد السلف، ص(١٠).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[(١)].

وقال النبي ﷺ: «**إنها لن تقوم ـ أي الساعة ـ حتى تروا عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خسوفات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلىٰ محشرهم**»[(٢)].

وقال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة من الأرض من موضعها»[(٣)].

فيجب على المؤمن أن يؤمن بهذه الأشراط كلها، ويؤمن بأنها حق، وأنها سوف تقع على ما أخبر به الشارع، والله أعلم.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.

(٢) سبق تخريجه، ص(٣١٦).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني، ص(٥٩).

الفصل الثاني
الإيمان بالموت وما بعده

من أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة أن الموت حق، وأن عذاب القبر ونعيمه حق، وكائن لا محالة. وقد تضافرت نصوص الكتاب والسُّنَّة على إثبات عذاب القبر ونعيمه، وأجمع السلف ـ رحمهم الله ـ على ذلك.

وقد قرّر علماء البلد الحرام رحمهم الله مذهب السلف في هذه المسألة واستدلوا على ذلك بنصوص الكتاب والسُّنَّة.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ مجيبًا على سؤال طرحه حول عذاب القبر ونعيمه: «الملكان منكر ونكير يسألان الميت في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وقد يكون أكثر، فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ. وأما المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، فيُعذّب. وهذه فتنة القبر التي استعاذ منها ﷺ ومن عذابه، وأمر بالاستعاذة منها»[(١)].

كما أثبت رَحِمَهُ اللَّهُ أن عذاب القبر ونعيمه يكون على الأرواح والأبدان تابعة لها فقال: «يصير الميت من حين موته إلىٰ عالم آخر فيه مستقر الأرواح ويُسمّىٰ بالبرزخ لأنه ما بين الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[(٢)]، وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة، ومنه عذاب القبر ونعيمه، وهما على الأرواح والأبدان تبع لها. وكيفية السؤال كما وردت، فحال الميت كحال النائم، وكل ما يقع عليه ليس من جنس المعهود في الدنيا، اقتضت حكمة

---

(١) ما لابد منه، ص(٦٤، ٦٥).

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

الباري ستر ما يجري في البرزخ لسعادة من يؤمن بالغيب، وشقاوة من يكفر به، فلا مجال للعقل فيه مع أنه لا يستحيل في العقل سائر المغيبات، وكيف يستحيل ذلك وقد وُجد نظيره في الدنيا»[(١)].

وهو بهذا يرد على منكري عذاب القبر ونعيمه، ويُقرّر هذه المسألة بدليل عقلي قريب وهو تمثيل عذاب القبر ونعيمه بحال النائم الذي قد يرىٰ في نومه أنه يُنعّم أو يُعذّب، ومع ذلك فإن الحاضر عنده أثناء نومه لا يشعر بذلك.

وممّن تعرّض لهذه المسألة: الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث بيّن أن الدور ثلاث، وأن لكل دار أحكامها فقال: «إن الله جعل الدور ثلاثًا دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار، ووضع لكل دار أحكامًا تختص بها، وركّب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأنفس تبع لها، ولذلك جعل أحكام الشريعة مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أظهرت النفوس خلافها، وجعل أحكام البرزخ على الأنفس والأبدان تبع لها فكما تبعت النفوس الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت لألمها والتذّت براحتها وكانت هي التي باشرت أحكام النعيم والعذاب تبعت الأبدان والنفوس في البرزخ في نعيمها وعذابها...» إلىٰ أن قال: «وتجري أحكام البرزخ على النفوس التي تباشر أسباب النعيم والعذاب فتسري منها للأبدان، وضربوا لذلك مثلاً بحال النائم فإن ما يُنعم به أو يُعذب في نومه يجري على نفسه أصلاً والبدن تبع لها، وقد يقوى حتى يؤثر على البدن تأثيرًا مشاهدًا فتراه يقوم من نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك»[(٢)]. وهو بهذا يبين أن عذاب القبر ونعيمه على الروح والبدن معًا كما أوضح ذلك، وأنه ممكن عقلاً وضرب له مثلاً بحال النائم.

---

(١) ما لابد منه، ص(٦٦).

(٢) أسمى الرسالات، ص(٢٩٠).

وممّن تعرض لبيان عذاب القبر ونعيمه: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «إن عذاب القبر للفاسقين ولبعض عصاة المؤمنين حق، وكذا تنعيم أهل الطاعة حق، وكذا سؤال منكر ونكير حق، فيسألان العبد عن ربه ودينه ونبيه، والعذاب على الجسم والروح جميعًا على ما شاء الله ـ عز وجل ـ في قوله تعالى في سورة المؤمن: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾[1]»[2].

وممن أثبت سؤال الملكين في القبر: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «منها سؤال الملكين. الإيمان بذلك واجب لثبوته عن النبي ﷺ في عدة أخبار يبلغ مجموعها التواتر»[3]. كما أوضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن نعيم القبر وعذابه حق فقال: «وقد دلّت على هذا ـ أي عذاب القبر ونعيمه ـ الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد مفارقتها لأبدانها إلىٰ أن يرجعها الله إليها»[4].

وممن تعرض لبيان السؤال في القبر: الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «وسؤال المنكر والنكير حق»[5]. ثم أوضح أن عذاب القبر ونعيمه على الروح والبدن فقال: «والعذاب والنعيم بعد الموت على النفس والبدن جميعًا وعلى النفس منفردة والأرواح باقية بعد مفارقة الأجسام»[6].

وممن تعرض لبيان ما يجري بعد الموت: الشيخ «عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «من الأمور الغيبية كل ما بعد الموت

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٦.
(٢) حبل الشرع المتين، ص(٨٣).
(٣) الكواكب الدرية، ص(٥٧).
(٤) المصدر نفسه، ص(٥٨).
(٥) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٣١).
(٦) المصدر نفسه، ص(١٣٣).

يجب على المسلم الإيمان به مع جهل بكيفيته كعذاب القبر ونعيمه وما يلقاه العبد فيه بعد مفارقة روحه جسده من سؤال وامتحان وتكليم وضرب له بالمطارق من الحديد وصياح من أليم العذاب، أو نعيم وبشرىٰ له، وقد نُصّ على أصله في القرآن»(١).

كما أوضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثبوت عذاب القبر ونعيمه فقال: «يجب على من آمن بالله ورسوله أن يسلّم بعذاب القبر قبل البعث ويصدّق به على من يستحقه كما يلزمه أن يؤمن بنعيمه إذْ لا فرق بينهما ولا بين ذلك وبين الآتي وإن لم يعلم كيفيته لبعده عن الحس سواء كان للروح والجسم معًا أم خاصًّا بالروح في قبرها الذي تودع فيه إلى أن يبعثها الله إلىٰ جسدها لوروده بنص القرآن والسُّنَّة. . . ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٦﴾(٢)، فآية آل فرعون نص في عذاب القبر إذْ من لازم عرضهم أَلَمُهم بها»(٣).

وهذا الذي قرّره علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ هو الذي دلّ عليه الكتاب والسُّنَّة وكلام سلف الأمة.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝١٨٥﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٦﴾(٥).

---

(١) تيسير الوحيين، ص(٩٥).
(٢) سورة غافر، الآيتان: ٤٥، ٤٦.
(٣) المصدر السابق، ص(٢٣٥، ٢٣٦).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.
(٥) سورة غافر، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

وقال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾(١).

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ في معنى ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾: «فإن أهل التأويل اختلفوا فيه.

فقال بعضهم: عنى بذلك أن الله يثبتهم في قبورهم قبل قيام الساعة». ثم ذكر من قال بذلك من الصحابة والتابعين(٢).

أما السُّنَّة فعن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «**استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل**»(٣).

وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة فيقول: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجّال**»(٤).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ «أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذكِ الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: «نعم عذاب القبر حق» فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلاّ تعوّذ من عذاب القبر»(٥).

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
(٢) انظر: تفسير ابن جرير (١/ ٤٤٧ ـ ٤٥٠).
(٣) أخرجه أبوداود في كتاب الجنائز، باب: الاستغفار عند القبر (٣/ ٥٥٠)، ح(٣٢٢١). والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٠) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص(١٥٦).
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: التعوذ من عذاب القبر (٢/ ١٢٤)، ح(١٣٧٧). ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة (١/ ٤١٢)، ح(٥٨٨، ٥٨٩).
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر (٢/ ١٢٣)، =

وذكر الإمام اللالكائي في اعتقاد الإمام أحمد أنه قال: «والإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تُفتن في قبورها وتُسأل عن الإيمان والإسلام ومن ربه؟ ومن نبيه؟ ويأتيه منكر ونكير كيف شاء الله ـ عز وجل ـ وكيف أراد والإيمان به والتصديق به»[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقىٰ بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا ويحصل له معها النعيم أو العذاب»[(٢)].

فيجب على المؤمن أن يعتقد ثبوت عذاب القبر ونعيمه، وأنه كائن على الروح والبدن، وأن سؤال منكر ونكير حق فيسألان العبد عن ربه ودينه ونبيه، والله أعلم.

= ح(١٣٧٢).

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١٥٨).

(٢) الروح، ص(٧٣، ٧٤).

الفصل الثالث
الإيمان بالبعث وما بعده

ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة أن الله يبعث الموتى من قبورهم ويعيدهم معادًا جسمانيًا؛ وذلك بجمع ما تفرّق من أجسامهم، وينشئهم نشأة أخرى ثم يعيد أرواحهم. قال تعالىٰ: ﴿ ۞مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾[١].

وقد قرّر علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ هذه العقيدة، فقال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ مجيبًا عن سؤال طرحه حول البعث والنشور فقال: «هما مترادفان ـ أي البعث والنشور ـ بمعنى إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها فيؤمن أهل الدين بأن البعث بعد الموت حق؛ وذلك حين ينفخ إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون».

وقد جاء في القرآن والسُّنَّة أمثال كثيرة لإثبات البعث ردًّا على الدهريين فهو من الممكنات وكذا ما بعده من الحشر والحساب وغيرهما من أحوال يوم القيامة»[٢].

وهو بهذا يبين إمكانية البعث وإعادة الأرواح للأبدان في ذلك اليوم.

وممّن قرّر البعث والمعاد الجسماني: الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «وجاء القرآن مليئًا بالآيات التي تؤكد للناس أمر البعث في يوم القيامة وتثبت لهم بأدلة منطقية أن الله خلق الخلق وخلق الإنسان من ماء أحاله إلىٰ عناصر أخرى وهي اللحم والدم والعظم، ثم

---

(١) سورة طه، الآية: ٥٥.

(٢) ما لابد منه، ص(٦٧).

كونه إنسانًا لا يعجزه أن يعيده كما هو بعد الموت أو الفناء، وهذه الأرض التي نراها أمامنا هامدة إذا سقيت بالماء تنبت أشجارًا لا نعرف أصلها، فهل مخرج هذه الأشجار من الأرض بمجرد سقيها بالماء أن يعيد خلق الإنسان بأمر منه؟ وفي هذا يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[1] »[2].

وهو بهذا يبين إمكانية البعث ويستدل على ذلك بالنشأة الأولىٰ وإحياء الأرض الميتة، وهذه من الأدلة العقلية ـ التي ذكرت في القرآن ـ على إمكانية البعث.

وممن قرر عقيدة البعث: الشيخ محمد بن سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «إن الحشر والنشر والبعث وإحياء الأموات يوم القيامة من القبور حق فسيحشر الناس يوم القيامة للحساب وجزاء الأعمال؛ لقول الله تعالىٰ في سورة المؤمنون: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[3] وفي سورة يس: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[4] »[5].

---

(١) سورة الحج، الآيات: ٥ ـ ٧.

(٢) أسمىٰ الرسالات، ص(٢٨٤، ٢٨٥).

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٦.

(٤) سورة يس، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٥) حبل الشرع المتين، ص(٨٤).

ومن ذكر هذه العقيدة وقررها: الشيخ محمد عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «أما البعث فالمراد به المعاد الجسماني، فإنه المتبادر عند الإطلاق، ويجب الإيمان به واعتقاده ويكفر منكره»(١).

ومن قرّر عقيدة البعث: الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في بيان ما يجب الإيمان به: «وبالبعث بعد الموت لأنه لا يوثق بالجزاء إلاّ بذلك»(٢).

ومن تعرّض لذكر الإيمان بالبعث: الشيخ محمد الفلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «وأنا أقول معرفة البعث ركن من أركان الإيمان، ولا شك أن منكره كافر بالله ورسوله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾(٣)، وقال جبريل للنبي ﷺ: أخبرني عن الإيمان. فقال له النبي ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه**»(٤).

وهؤلاء المنكرون للبعث صاروا كمثل الذين خلوا من قبلهم»(٥).

ومن قرّر عقيدة البعث: الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في معرض حديثه عن قصة فرعون: «وقد استُدل بهذا على البعث بعد الموت إذ قال لهم: ﴿۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ۝٥٥﴾(٦)»(٧).

ومن قرّر عقيدة البعث: الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «فقطع سيف الإسلام لسان البغي وقضى على كل عقائد

---

(١) الكواكب الدرية، ص(٦٥).
(٢) حقيقة التأويل، لوحة (٩).
(٣) سورة التغابن، الآية: ٧.
(٤) سبق تخريجه ص(٢٥٦).
(٥) السيف المسلول، ص(١٧٧).
(٦) سورة طه، الآية: ٥٥.
(٧) الطواغيت المقنعة، ص(٨٨).

الدهريين من فلاسفة ومشركين، وقرّر الله عقيدة البعث والحياة بعد الموت في غير ما آية من كتابه، مستدلاً بالنشأة الأولىٰ، خلق الإنسان من عدم، على النشأة الأخرىٰ كما قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾[١]، أي: استبعد منكر البعث إعادة الأجسام والعظام الرميمة ونَسِي نفسه وأن الله تعالىٰ خلقه من العدم فردّ عليه ـ سبحانه ـ بقوله: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾[٢]، أي أن قدرته العظيمة صالحة لإعادة الخليقة للجزاء والحساب، فذلك مقتضى العدل والحكمة، إذْ لا يستوي في عدله ـ سبحانه ـ العامل والهامل. . . » إلىٰ أن قال: «ولقد وصم القرآن منكر البعث بالكفر، وأكّد وقوع البعث وأوضح العلة في ذلك، قال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾[٣]، فهذا هو الحق الذي لا مرية فيه، يا عباد الله. وماذا بعد الحق إلاّ الضلال، وهذه العقيدة الصحيحة»[٤].

وهذا الذي قرره علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ هو ما دلّ عليه الكتاب والسُّنَّة وكلام سلف الأمة.

أما الكتاب فقد ذُكرت فيه أدلة كثيرة على إمكانية البعث والمعاد الجسماني، وهذه الأدلة عقلية شرعية منها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ

---

(١) سورة يس، الآية: ٧٨.
(٢) سورة يس، الآيات: ٧٩ ـ ٨١.
(٣) سورة التغابن، الآية: ٧.
(٤) الخطب في المسجد الحرام، المجموعة الرابعة، ص(١٨، ١٩).

تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾[(١)]، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[(٢)].

وفي حديث جبريل الطويل: «قال ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر»[(٣)].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل ابن آدم يأكله التراب إلَّا عجب الذنب منه خُلق وفيه يركّب**»[(٤)].

وقال ﷺ: «**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلَّا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر**»[(٥)].

وقال الإمام الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويؤمن أهل الدين والسُّنَّة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر الله ـ سبحانه ـ ورسوله ﷺ من أهوال ذلك اليوم الحق، واختلاف أحوال العباد فيه»[(٦)].

الصراط والميزان:

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالصراط، والميزان، كما ورد في الكتاب والسُّنَّة.

والصراط: جسر منصوب على متن جهنم بين الجنة والنار يمرّ عليه الناس على قدر أعمالهم.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٩.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان (١/ ٣٩) ح(٩).

(٤) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين، (٤/ ٢٢٧١).

(٥) رواه الترمذي في كتاب القدر، باب: ماجاء في الإيمان بالقدر خيره وشره (٤/ ٣٩٣) ح(٢١٤٥)، وابن ماجه في المقدمة، باب: القدر (١/ ٣٢) ح(٨١)، وصححه الألباني في السُّنَّة لابن أبي عاصم (١/ ٥٩) ح(١٣٠).

(٦) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص(٥٧).

وقد قرّر علماء البلد الحرام هذا الأمر على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله في حديثه عن الصراط: «هو جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون، يجوزه الأبرار، ويزول عنه الفجّار، وقد أطال العلماء في وصفه كما ورد في الآثار، فنؤمن به كما ورد»(١).

وممّن بيّن هذا الأمر: الشيخ محمد سلطان المعصومي رحمه الله حيث قال: «إن الصراط جسر على متن جهنم، أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف حق، فيمر كل الخلق عليه، فأهل الجنة سالمون، وأهل النار ساقطون»(٢).

وممن قرر الصراط: الشيخ محمد عبدالعزيز المانع رحمه الله حيث قال: «وكذا الصراط يجب الإيمان به لأنه حق ثابت»(٣).

وقال الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رحمه الله في معرض حديثه عمّا يجب إجراؤه على ظاهره: «الصراط والعبور عليه»(٤).

وهذا الذي قرره علماء البلد الحرام دلّ عليه الكتاب والسُّنَّة وكلام سلف الأمة.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾(٥)، والورود المقصود به المرور على الصراط، على الصحيح كما ذهب إلىٰ ذلك كثير من العلماء والمفسّرين»(٦).

---

(١) ما لابد منه، ص(٦٩).
(٢) حبل الشرع المتين، ص(٨٩).
(٣) الكواكب الدرية، ص(٦٧).
(٤) تيسيرالوحيين، ص(٩٩).
(٥) سورة مريم، الآية: ٧١.
(٦) هو قول ابن مسعود وجابر والحسن وقتادة وغيرهم. انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٣٦٥ ـ ٣٦٨)، انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٥٦). وذهب إلىٰ هذا =

وفي حديث الشفاعة الطويل: «**ويُضرب الصراط بين ظهري جهنم. فأكون أنا وأمتي أول من يجيز. ولا يتكلم يومئذٍ إلاَّ الرسل**»[١].

وجاء في وصف الصراط من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثم يؤتى بالجسر فيُجعل بين ظهري جهنم. قلنا: يا رسول الله! وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلّة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفًا تكون بنجد يقال لها السعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم، وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمرّ آخرهم يُسحب سحبًا**»[٢].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «والصراط حق، يوضع على شفير جهنم ويمرّ الناس عليه، والجنة من وراء ذلك، نسأل الله ـ عز وجل ـ السلامة في الجواز»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الصراط: «والصراط منصوب على متن جهنم ـ وهو الجسر بين الجنة والنار ـ يمرّ الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمرّ كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يخطف ويلقى في جهنم، فإن الجسر عليه

= القول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٩).

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: الصراط جسر جهنم (١١/ ٥٤٣) ح(٦٥٧٣)، وفي كتاب التوحيد ح(٧٤٣٣). ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٣) ح(٢٩٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ (١٣/ ٥١٦) ح(٧٤٣٧). ومسلم في كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧) ح(١٨٣).

(٣) الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد (٢/ ٢٠٨) عبدالإله الأحمدي.

كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مرّ على الصراط دخل الجنة، فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ويقتص من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»[١].

الميزان:

إن الميزان عند أهل السُّنَّة والجماعة المراد به: الميزان الحقيقي لا مجرّد العدل.

وقد قرر علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ الميزان على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال علماؤنا كغيرهم: نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، قالوا: وله لسان وكفّتان توزن به صحائف الأعمال»[٢]. وهو بهذا يقرر ما ذهب إليه أهل السُّنَّة بأن الميزان ميزان حقيقي توزن به الحسنات والسيئات.

وممن قرّر مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الميزان: الشيخ محمد بن سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «إن الميزان يوم القيامة حق، ووزن الأعمال به حق، قد أفلح من ثقل ميزانه، وقد خاب من خفَّ ميزانه لقول الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾[٣]»[٤].

وممن قرّر الميزان على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «والحق أن مؤمني الجن كالإنس في الوزن، وكفارهم ككفارهم، قال العلاّمة الشيخ

---

(١) العقيدة الواسطية، ص(٢٠).
(٢) ما لابد منه، ص(٦٩).
(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ٨، ٩.
(٤) حبل الشرع المتين، ص(٨٧).

«مرعي»[(١)]: إن المراد بالميزان الميزان الحقيقي لا مجرد العدل خلافًا لبعضهم[(٢)]. قال العلماء: له لسان وكفتان توزن بها صحائف الأعمال»[(٣)].

وممّن قرّر الميزان: الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في معرض حديثه عما يجب إجراؤه على ظاهره والإيمان به: «والميزان ما يوزن فيه»[(٤)].

وهذا الذي قرّره علماء البلد الحرام هو الذي دلّ عليه الكتاب والسُّنَّة وكلام سلف الأمة.

قال تعالىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[(٥)].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾[(٦)].

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن من الخُلق الحسن»[(٧)].

---

(١) هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الكرمي أحد علماء الحنابلة بمصر، كان إمامًا محدثًا فقيهًا، تُوفي عام (١٠٣٣هـ)، من تآليفه: غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان، وغيرها.
انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣٥٨/٤)، النعت الأكمل ص(١٨٩)، الأعلام (٢٠٣/٧).

(٢) تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان، ص(٢٤).

(٣) الكواكب الدرية، ص(٦٦، ٦٧).

(٤) تيسير الوحيين، ص(٩٩).

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٦) سورة القارعة، الآيات: ٦ ـ ٩.

(٧) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في حسن الخلق (١١٨/٦) ح(٢٠٧٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح (تحفة الأحوذي).

وقال ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[(١)].

وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السُّنَّة عشرة فمن كنّ فيه فقد استكمل السُّنَّة ومن ترك منها شيئًا فقد ترك السُّنَّة: إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، . . .»[(٢)].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء: «**يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة**»[(٣)]، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر والإيمان به والتصديق به»[(٤)].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال أبوإسحاق الزجاج: أجمع أهل السُّنَّة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأنّ الميزان له لسان وكفتان»[(٥)].

الجنــة والنــار:

ومن الإيمان باليوم الآخر الآيمان بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان موجودتان الآن، وأن نعيم الجنة دائم لا ينقطع، وأن عذاب النار دائم لا ينقطع، وهذا هو الذي قرره علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديثه عن الجنة والنار: «وهما

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب: فضل التسبيح (١١/٢٤٦) ح(٦٤٠٦). ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل التهليل والتسبيح (٤/٢٠٧٢) ح(٢٦٩٤).

(٢) شرح اعتقاد أصول أهل السُّنَّة والجماعة (١/١٥٥).

(٣) رواه البخاري بلفظ: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**». كتاب التفسير، باب: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ (٨/٥٤٤) ح(٤٧٢٩). ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٤/٢١٤٧) ح(٢٧٨٥).

(٤) عقائد أئمة السلف (أصول السُّنَّة) ص(٢٣، ٢٤) اعتنى به: فواز أحمد الزمرلي.

(٥) فتح الباري (١٣/٥٣٨).

مخلوقتان لا يفنيان، فالجنة مأوى أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون، والمجرمون في عذاب جهنم خالدون»[١]. وهو بهذا يبين أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، وأنهما لا تفنيان ولا تبيدان بل باقيتان بإبقاء الله لهما.

وممن قرّر هذه المسألة: الشيخ محمد سلطان المعصومي رحمه الله حيث قال: «إن الجنة دار النعيم ودار السلام موجودة الآن وهي باقية لا تفنى، ولا يفنى أهلها أبدًا»[٢].

كما بيّن رحمه الله أن النار كذلك فقال في معرض حديثه عن النار: «إن جهنم والنار دار العذاب والعقاب موجودة الآن وهي باقية لا تفنى، ولا يفنى أهلها»[٣].

وممّن صرح بذكر هذه المسألة وقرّرها أجمل تقرير: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رحمه الله حيث قال: «أجمع أهل السُّنَّة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان، لأن أدلة الكتاب والسُّنَّة دالة على ذلك، وقصة آدم ودخوله الجنة وإخراجه منها معلومة عند كل من قرأ القرآن أو سمعه...» إلىٰ أن قال: «وقد وردت الأحاديث الكثيرة الدالة على وجود الجنة والنار كما في حديث صلاة الكسوف[٤] الذي صرّح به النبي ﷺ في رؤية الجنة والنار، وأجمع أهل السُّنَّة والجماعة على أن الجنة لا تفنى ولا تبيد لقوله تعالىٰ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ﴾[٥]،

---

(١) ما لابد منه، ص(٧١).

(٢) حبل الشرع المتين، ص(٩١).

(٣) المصدر نفسه، ص(٩٢).

(٤) رواه البخاري في كتاب الكسوف، باب: صلاة الكسوف جماعة (٢/٦٨٦) ح(١٠٥٢). ورواه مسلم في كتاب الكسوف، باب: ما عُرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (٢/ ٦٢٢) ح(٩٠٤).

(٥) سورة الرعد، الآية: ٣٥.

وقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾[(١)]، وغير ذلك من الأدلة.

وأما النار فكذلك عند جمهور السلف لا تفنى ولا تبيد ولا يخرج منها أحد من أهلها[(٢)]، كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[(٣)]، بل أهل الجنة وأهل النار خالدون فيهما»[(٤)].

وممن قرر خلود الجنة والنار وبقاءهما: الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «وأقول بخلود الجنة والنار وبقائهما بلا موت»[(٥)].

وممن بين وجود الجنة والنار الشيخ سليمان الحمدان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في تعليقه على حديث عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ: «**والجنة حق والنار حق**»: «أي: وشهد أن الجنة حق لا شك فيها وأنها موجودة الآن؛ لأن الله أخبر في كتابه بأنه أعدها لمن آمن به وبرسله، قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[(٦)] وشهد أن النار حق، وأنها موجودة الآن أعدها للكافرين كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝١٣١﴾[(٧)]»[(٨)].

وهذا الذي قرره علماء البلد الحرام هو الذي دلّت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة.

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾[(٩)].

---

(١) سورة هود، الآية: ١٠٨.

(٢) غير الموحدين.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٧.

(٤) حاشية عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، ص(٢١).

(٥) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٣١).

(٦) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٣١.

(٨) الدر النضيد ص(٢٧).

(٩) سورة البقرة، الآية: ٣٥.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره**»[3].

وعن عمران ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»[4].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوّف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه أو طينه مسك أذفر**»[5].

عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**يُدخل الله أهل الجنة الجنة، ويُدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن**

---

(١) سورة طه، الآيات: ١١٦ ـ ١٢٢.

(٢) سورة ص، الآيتان: ٧٧، ٧٨.

(٣) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: حجبت النار بالشهوات (١١/ ٣٨٨) ح(٦٤٨٧)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٤/ ٢١٧٤) ح(٢٨٢٢).

(٤) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار (١١/ ٥٠٦) ح(٦٥٤٦).

(٥) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: في الحوض وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ (١١/ ٥٦٦) ح(٦٥٨١).

بينهم فيقول: يا أهل الجنة! لا موت، ويا أهل النار! لا موت، كلٌ خالد فيما هو فيه»[(١)].

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فالجنة، وإن كان من أهل النار فالنار**» قال: ثم يقال: «**هذا مقعدك الذي تُبعث عليه يوم القيامة**»[(٢)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «والجنة والنار مخلوقتان، قد خُلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**دخلت الجنة فرأيت قصرًا**»[(٣)]... فمن زعم أنهما لم تُخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار»[(٤)].

وقال أبوبكر الآجرّي رحمه الله: «اعلموا ـ رحمنا الله وإيّاكم ـ أن القرآن شاهد أن الله ـ عز وجل ـ خلق الجنة والنار، قبل أن يخلق آدم عليه السلام وخلق للجنة أهلاً، وللنار أهلاً، قبل أن يخرجهم إلىٰ الدنيا، لا يختلف في هذا من شمله الإسلام، وذاق حلاوة طعم الإيمان، دلّ على ذلك القرآن والسُّنَّة، فنعوذ بالله ممن يُكذّب بهذا»[(٥)].

وقال أبوعثمان الصابوني رحمه الله: ويشهد أهل السُّنَّة: أن الجنة

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب (١١/ ٤١٤) ح(٦٥٤٤). ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: النار يدخلها الجبارون (٤/ ٢١٨٩) ح(٢٨٥٠).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب: الميت يُعرض عليه مقعده بالغداة والعشي (٣/ ٣١٠) ح(١٣٧٩). ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/ ٢١٩٩) ح(٢٨٦٦).

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب: مناقب عمر بن الخطاب (٧/ ٤٩) ح(٣٦٧٩).

(٤) أصول السُّنَّة، ص(٣٥، ٣٦) (ضمن مجموعة عقائد أئمة السلف). فواز أحمد زمرلي.

(٥) الشريعة (٣/ ١٣٤٣)، ت: د. عبدالله بن عمر الدميجي.

والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان، لا يفنيان أبدًا، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدًا، وكذلك أهل النار ـ الذين هم أهلها خُلقوا لها ـ لا يخرجون منها أبدًا»[١].

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص(٢٦٤)، ت: ناصر بن عبدالرحمن الجديع.

الباب السادس

جهودهم في تقرير الإيمان بالقضاء والقدر

الفصل الأول
الإيمان بالقضاء والقدر

ومن المسائل التي قرّرها علماء البلد الحرام مسألة القضاء والقدر، وهي من المسائل الخطيرة التي يجب على المسلم الحذر أثناء الخوض فيها، كما يجب عليه أن يقف عند ما قرّره علماء أهل السُّنَّة والجماعة في هذه المسألة.

وقبل الخوض في هذه المسألة نقدّم بمقدمة إيضاحية حول بعض الأمور المتعلقة بهذه المسألة:

أولاً: معنى القضاء والقدر لغة:

١ ـ معنى القضاء: لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته»[(١)].

والقضاء: يُمدّ ويُقصر[(٢)].

وخلاصة القول: أن معنى القضاء في اللغة يدور على إحكام الشيء وإتمام الأمر.

وقد ورد لفظ القضاء في القرآن على عدة معان متداخلة. فمنها:

١ ـ الأداء والإنهاء. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾[(٣)].

٢ ـ يأتي بمعنى الفراغ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾[(٤)]، أي: فرغ من تسويتهن سبع سماوات في

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة «قضى» (٥/٩٩).

(٢) القاموس المحيط، باب الواو والياء، فصل القاف (٤/ ٤٣١).

(٣) سورة الحجر، الآية: ٦٦.

(٤) سورة فصلت، الآية: ١٢.

يومين[١].

٣ ـ يأتي بمعنى الأمر. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[٢]، أي: أمر وأوصى[٣].

٤ ـ يأتي بمعنى الحكم: ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾[٤]، أي: احكم وافعل واصنع ما بدا لك[٥].

٢ ـ القدر: لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القاف والدال والراء أصل صحيح يدلّ على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته»[٦].

ثانيًا: معنى القضاء والقدر: شرعًا:

هو: أن الله تعالىٰ قدّر الأشياء في القدم، وعلم وكتب مقادير الأشياء قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد فكل مُحدَث صادر عن علم وقدرة وإرادة[٧].

ومراتب القدر أربع، وهي:

الأولىٰ: العلم: وهو أن الله عالم بما كان وما يكون وما سيكون قبل كونه.

الثانية: أن الله كتب مقادير الخلائق قبل خلقها.

الثالثة: المشيئة: أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلاّ بمشيئة الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

---

(١) تفسير ابن جرير (١١/ ٩٢).
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٣) تفسير ابن جرير (٨/ ٥٨).
(٤) سورة طه، الآية: ٧٢.
(٥) تفسير ابن جرير (٨/ ٤٣٦).
(٦) معجم مقاييس اللغة، مادة «قدر» (٥/ ٦٢).
(٧) فتح الباري (١/ ١١٨).

الرابعة: الخلق: وهو أن الله خالق كل شيء، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلاَّ الله خالقه ـ سبحانه ـ وفعله لا خالق غيره ولا ربّ سواه[(١)].

الإيمان بالقضاء والقدر أصل من أصول الإيمان الستّة التي يجب على المؤمن الإيمان بها على ما وردت في الكتاب والسُّنَّة.

ولقد قرّر علماء البلد الحرام هذا الركن على وفق ما جاء في الكتاب والسُّنَّة.

قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان معنى الإيمان بالقضاء والقدر: «اعتقاد أنه ـ تعالىٰ ـ قدّر الخير والشر قبل الخلق من طاعة وعصيان»[(٢)]. وهو بهذا يبين أن جميع الأشياء كائنة بقدر الله ـ عز وجل ـ، وأنه قدّرها قبل أن يخلق الخلق.

وممن بين معنى الإيمان بالقضاء والقدر: الشيخ محمد عبدالظاهر أبوالسمح رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «إن الله تعالىٰ قبل أن يخلق الأشياء بآلاف السنين قدّرها تقديرًا كيفية وكمية، وقدّر أزمنتها التي تقع فيها بأدق ما يكون. قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾[(٣)]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾[(٤)]، وقال: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ

---

(١) انظر: العقيدة الواسطية، ص(٢١، ٢٢)، وشفاء العليل (١/ ٩١).
(٢) ما لابد منه، ص(٧٤).
(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٢.
(٤) سورة التغابن، الآية: ١١.

شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾[(١)]»[(٢)].

وممن بيّن مفهوم القضاء والقدر: الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالىٰ، ومعنى هذا أن نثق بأن لله أحكامًا قضائية وأحكامًا قدرية.

فأما الأحكام القضائية فهي أحكام قاطعة تتعلق أزليًا بأشياء موقوتة يقدّر لها بداية ونهاية كالخلق والتكوين والحياة والموت والتذكير والتأنيث مما لا دخل للإنسان فيه، وقد استأثر الله بالعلم بهذا القسم ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه، وسوف لا يؤاخذ عليه.

وأما الأحكام القدرية فهي أحكام معلّقة ومقدّرة بشرط أو شروط لا تنفذ إلاّ بتوفرها، وهي تتعلق بالأنظمة الكونية والسنن المطّردة والقواعد الكلية والأعمال الإيجابية كالعمل لطلب الرزق ونيل السعادة في الدنيا والآخرة»[(٣)]. وهو بهذا يبين معنى القضاء والقدر، وأن هناك فرقًا بين القضاء والقدر. وللعلماء في هذه المسألة قولان:

١ ـ الذين قالوا بأنه ليس هناك فرق بين القضاء والقدر، وكل واحد منهما في معنى الآخر.

٢ ـ الذين قالوا بالتفريق بينهما، وهؤلاء اختلفوا إلى عدة أقوال، منها:

أ ـ أن القضاء هو إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على وفق ما توجد عليه في وجودها الحادث.

ب ـ القدر إيجاد الله الأشياء على مقاديرها المحدودة في كل ما يتعلق بها. وهذا القول هو قول أهل السُّنَّة والأشاعرة[(٤)].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٢) حياة القلوب، ص(٦١).

(٣) جوهر الدين، ص(٣٦).

(٤) انظر: الدين الخالص (محمد صديق خان) (٣/ ١٥٤)، والقضاء والقدر (د. عبدالرحمن المحمود) ص(٣٠ : ٣٢).

ومن هنا نلاحظ أن الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ فرَّق بين القضاء والقدر حيث جعل القضاء ما كان ناشئًا عن الإرادة الكونية، بينما القدر عنده ما كان ناشئًا عن الإرادة الدينية.

كما بيّن رَحِمَهُ اللَّهُ مراتب الإيمان بالقضاء والقدر فقال في بيان مرتبة العلم: «وعلم الله أزلي كامل، وعلم الناس بالموجودات متأخر عن وجودها، وعلم الله بها سابق على وجودها، والله ـ تبارك وتعالى ـ كما يعلم ما هو كائن يعلم ما كان وما سيكون»[١].

وقال في بيان مرتبة الكتابة: «أما كتابة الله ـ تعالى ـ وما جرى به قلمه في لوحه المحفوظ لديه فليس كما نفهمه من سائر الكتابات، وليست بقصد تحديد معلوماته فمن قدر الأعمار وحتم وقوع الوفاة بعدها قادر على زيادة الأعمار متى أراد، وهو ـ سبحانه ـ أعلم بما كتب في لوحه عنها، وما كتبه الله عن عباده محجوب عنا. . .»، ثم قال: «إنه ما من شيء إلاَّ وقد كُتب في الأزل. . .»، ثم ذكر بعض الأحاديث التي تدلّ على كتابة الله ـ عز وجل ـ منها:

١ ـ قوله ﷺ: «**إن أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، فقال: يا رب! وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»[٢].

٢ ـ «**ما منكم من أحد إلَّا وقد كُتب مقعده من النار ومقعده من الجنة**»، قالوا: يا رسول الله! أفلا نتّكل على كتابنا وندع العمل، قال: «**اعملوا فكل ميسّر لما خُلق له، أما من كان من أهل السعادة فيصير لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل الشقاوة**» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ

---

(١) هل الله مستبد، ص(٤٣).

(٢) رواه أبوداود في كتاب السُّنَّة، باب: في القدر (٦/٣٠٦) ح(٤٦٨٦).

لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[1]»[2]»[3].

وقال في بيان مرتبة المشيئة: «وأن الأمور كلها بيد الله ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن»[4].

وممن بيّن مفهوم القضاء والقدر: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «إن كل شيء جرىٰ ويجري في الخلق فهو بتقدير الله ـ تعالى ـ وحكمه وقضائه وإرادته، ومن أنكر القدر فهو كافر بالله العظيم لقول الله تعالى في سورة القمر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[5]، وفي سورة الفرقان: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[6]»[7].

كما بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن كل ما يقع في الكون فهو مراد الله ـ عز وجل ـ حيث قال: «إن كل ما يقع في الكون فهو مراد الله تعالىٰ، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وما ليس بكائن ليس بمراد الله ـ عز وجل ـ، فالإيمان والطاعة مراد الله تعالى مع محبة الله ورضاه، والكفر والعصيان مراد الله تعالى لكن بلا رضاه ولا محبته، بل بما تقتضيه حكمته وإظهارًا لغناه عن خلقه، قال تعالى في سورة الدهر: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ

---

(١) سورة الليل، الآيات: ٥ ـ ١٠.
(٢) رواه البخاري في كتاب القدر، باب: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ (١١/ ٦٠٤) ح(٦٦٠٥). ورواه مسلم في كتاب القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (٤/ ٢٠٣٩) ح(٢٦٤٧). ورواه أبوداود في كتاب السُّنَّة، باب: في القدر (٦/ ٢٩٩) ح(٤٦٨٠). ورواه الترمذي في كتاب القدر، باب: ما جاء في الشقاء والسعادة (٦/ ٢٨٤) ح(٢٢١٩).
(٣) هل الله مستبد، ص(٤٥، ٤٦).
(٤) المصدر نفسه، ص(٧).
(٥) سورة القمر، الآية: ٤٩.
(٦) سورة الفرقان، الآية: ٢.
(٧) حبل الشرع المتين، ص(٤١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾[١]»[٢].

وهذا بيان منه للإرادة الدينية الشرعية، والإرادة الكونية القدرية.

وممن بيّن مفهوم القضاء والقدر: الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «أي شيء قدّره ـ سبحانه وتعالى ـ أو قضاه من سائر الأشياء فهو واقع حتمًا لازمًا كما قضاه، أي: حكم به وقدّره حسب ما سبق في علمه، وجرى به القلم في الكتاب الذي كتبه قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام»[٣]. كما بيّن رحمه الله أقسام الإرادة فقال: «الإرادة نوعان:

إحداهما: الإرادة الكونية المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والثانية: الإرادة الدينية الشرعية: وهذه تستلزم وقوع المراد إلاَّ أن يتعلق بها النوع الأول من الإرادة»[٤].

وممن تعرّض لبيان هذا الركن: الشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في معرض كلامه عما يجب الإيمان به: «وبالقدر لأنه لا يسلم الإيمان بقدرة الله وعلمه وحكمته إلاَّ به»[٥].

وممن أشار إلى هذا الركن: الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «وأؤمن بالقدر خيره وشرّه»[٦].

وممن تعرّض لبيان هذا الركن وأطال الحديث فيه: الشيخ عبدالله عبدالغني خياط حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإيمان بالقدر خيره وشرّه، أي: التصديق بأن كل ما يجري في الكون من خير أو شر فهو بقضاء الله

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

(٢) المصدر السابق، ص(٣٩).

(٣) الكواكب الدرية، ص(٤٢).

(٤) حاشية العقيدة الواسطية، ص(٢٢).

(٥) حقيقة التأويل، لوحة (٩).

(٦) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٣١).

وتقديره، أي: التصديق بأن كل ما يجري في الكون من خير أو شر فهو بقضاء الله وتقديره، إذ لا يكون في ملك الله ما لا يريد. والدليل على هذا من القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[١]، والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين:

الدرجة الأولى: هي أن الله تعالى ما خلق الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فأول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة»[٢]... وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلاً فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، فيقال له: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد»[٣].

أما الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»[٤].

وهذا الذي قرره علماء البلد الحرام قد دلّت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة الدالة على أن ما يجري في الكون إنما هو بقدر الله ـ عز وجل ـ وعلمه، وأنها ستقع حسب ما قدّرها الله تعالى، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[٥]، أي: قضاء مقضيًا وحكمًا مبتوتًا[٦].

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٢) سبق تخريجه، ص(٣٤٦).

(٣) رواه البخاري في كتاب القدر (١١/٥٨٣) ح(٦٥٩٤). ورواه مسلم في كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه (٤/٢٠٣٦) ح(٢٦٤٣).

(٤) دليل المسلم في الاعتقاد، ص(٥٤ ـ ٥٦).

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن (صديق حسن خان) (٧/ ٣٧٥).

وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝٤٠﴾[1].

فهذه الآيات تفيد الإخبار عن قدر الله الشامل لكل ما في الكون.

أما السُنَّة فقد وردت فيها أحاديث كثيرة تدلّ على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر منها:

١ ـ حديث جبريل المشهور[2].

٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾[3][4].

٣ ـ وعن طاووس أنه قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر. قال: وسمعت عبدالله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكَيس، أو الكَيس والعجز**»[5].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: «لا ينفعك الذي كتبت ـ أي شُعيب ابن حرب ـ حتى تؤمن بالقدر خيره وشرّه، وحلوه ومرّه كل من عند الله ـ عز وجل ـ»[6].

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: «السُنَّة عشرة. فمن كنّ فيه فقد استكمل السُنَّة، ومن ترك منها شيئًا فقد ترك السُنَّة: إثبات القدر...»[7].

---

(١) سورة طه، الآية: ٤٠.
(٢) تقدم تخريجه ص (٢٥٦).
(٣) سورة القمر، الآيتان: ٤٨، ٤٩.
(٤) رواه مسلم في كتاب القدر، باب: كل شيء بقدر (٤/ ٢٠٤٦) ح(٢٦٥٦).
(٥) رواه مسلم في كتاب القدر، باب: كل شيء بقدر (٤/ ٢٠٤٥) ح(٢٦٥٥).
(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السُنَّة والجماعة (١/ ١٥٢).
(٧) المصدر نفسه (١/ ١٥٥).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ومن السُّنَّة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها :

الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها لا يُقال : لِمَ؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها»(١) .

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٥٧).

مسألة: حكم الاحتجاج بالقدر على المعاصي

وهذه المسألة من المسائل التي يُثيرها أرباب النفوس الضعيفة لكي يُلقوا باللوم عن أنفسهم فيما يرتكبون من أخطاء وذنوب، إذ يحتجون على ما يقومون به بأنه أمر مقدّر عليهم، وحاصل لا محالة، ويستدلون على ذلك بحديث المحاجة التي جرت بين آدم وموسى عليهما السلام، وذلك في الحديث الذي رواه أبوهريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**احتج آدم وموسىٰ، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا، خيّبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحجّ آدمُ موسىٰ، فحجّ آدم موسىٰ ثلاثًا**»[(١)].

وقدأجاب علماء البلد الحرام عن الاحتجاج بالقدر على المعاصي، فقال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جوابه عن سؤال مفاده: هل يجوز الاحتجاج بالقدر في ارتكاب المناهي وترك الأوامر؟

فقال مجيبًا على هذا السؤال: «لا يجوز. فقد نهى عنه ﷺ، وصار الاعتذار به معدودًا من الحماقة عند الناس، ولا يرضى به إنسان في أحواله الخصوصية»[(٢)].

وقال الشيخ أبوالسمح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أن المحتج بالقدر محجوج

---

(١) رواه البخاري في كتاب القدر، باب: تحاج آدم وموسى عند الله (١١/٦١٨) ح(٦٦١٤). ورواه البخاري في كتاب الأنبياء والتفسير والتوحيد. ورواه مسلم في كتاب القدر، باب: حِجاج آدم وموسىٰ عليهما السلام (٤/٢٠٤٢) ح(٢٦٥٢). ورواه أبوداود في كتاب السُّنَّة، باب: في القدر (٦/٣٠٧) ح(٤٦٨٨). ورواه الترمذي في كتاب القدر، باب: رقم (٢) (٦/٢٨٣).

(٢) ما لابد منه، ص(٧٧).

بالعقل والنقل: «والمحتج بالقدر في أعماله محجوج بالعقل والنقل كما قال تعالى في المشركين: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾، فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[1]»[2].

وقال الشيخ عبدالحميد الخطيب رحمه الله في جوابه عن المحتجّ بحديث المحاجّة: «ولم أر في هذا الحديث ما يدل على أن آدم كان مسيّرًا في معصيته، أو أنه اتخذ من ذلك حجة يدافع بها عن نفسه، فالقرآن الكريم قد سجل عليه ذنب المعصية حيث قال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾[3]، كما صرّح باعتراف آدم بالمعصية، وأنه لم يدافع عن نفسه بأن العصيان أمر قد قُدّر عليه، بل قال هو وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[4]، وانتهى الفصل في هذه المعصية بغفران الله لهما، بل وباجتبائه...

ولقد اقتنع موسى بإجابة آدم، فما كان لنا أن نسوق كلمته دليلاً علىٰ أنّا مسيّرون في هذه الحياة، ونحاول أن ننفي بها عن أنفسنا القدرة على تجنب الشرور والآثام»[5].

والجواب عن هذا السؤال من وجوه:

١ ـ أن المحتجّ بالقدر إما أن يرى القدر حجة للعبد وإما أن لا يراه حجةً للعبد، فإن كان القدر حجة للعبد فهو حجة لجميع الناس، فإنهم

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٤٨، ١٤٩.
(٢) حياة القلوب، ص(٦٢).
(٣) سورة طه، الآية: ١٢١.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.
(٥) هل الله مستبد، ص(٣١، ٣٢).

كلهم مشتركون في القدر فحينئذٍ يلزم أن لا ينكر على من يظلمه ويشتمه ويأخذ ماله ويُفسد حريمه ويضرب عنقه ويُهلك الحرث والنسل، وهؤلاء جميعًا كذّابون متناقضون فإن أحدهم لا يزال يذّم هذا، ويُبغض هذا، فإن كان القدر حجة لمن فعل المحرمات وترك الواجبات لزمهم أن لا يذمّوا أحدًا ولا يُبغضوا أحدًا.

٢ ـ أن هذا يلزم منه أن يكون إبليس وفرعون وقم نوح وعاد وكل من أهلكه الله بذنوبه معذورًا، وهذا من الكفر الذي اتفق عليه أرباب الملل.

٣ ـ يلزم من الاحتجاج بالقدر تعطيل أحكام الشرع، إذ لو كان القدر حجّة لم تُقطع يد سارق، ولا قُتل قاتل، ولا أُقيم حد على ذي جريمة، ولا جوهد في سبيل الله، ولا أُمر بالمعروف، ولا نُهي عن المنكر»[(١)].

أما حديث المحاجة فقد أجاب العلماء عنه بأجوبة عديدة لعل من أظهرها: ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وآدم أعلم بالله من أن يحتج بالقدر على الذنب، وموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أعلم بالله تعالىٰ من أن يقبل هذه الحجة، فإن هذه لو كانت حجة على الذنب لكانت حجة لإبليس عدو آدم، وحجة لفرعون عدو موسىٰ، وحجة لكل كافر وفاجر، وبطل أمره ونهيه، بل إنما كان القدر حجة لآدم على موسى لأنه لام غيره لأجل المصيبة التي حصلت له بفعل ذلك، وتلك المصيبة كانت مكتوبة عليه»[(٢)].

وهناك جواب آخر ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «وقد يتوجه جواب آخر، وهو أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٦٣، ٢٦٤).

(٢) المصدر نفسه (٨/ ١٠٨).

فعل آدم، فيكون في ذكر القدر، إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته. . .

وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به ففي الحال والمسقبل بأن يرتكب فعلاً محرمًا أو يترك واجبًا فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره فيُبطل بالاحتجاج به حقًّا ويرتكب باطلاً»[١].

وخلاصة القول أن الاحتجاج بالقدر يكون عند المصائب لا عند المعائب.

أقسام الناس في حديث المحاجة:

انقسم الناس حيال هذا الحديث إلىٰ أقسام، وهم:

١ ـ فريق كذَّبوا بهذا الحديث وهم المعتزلة.

٢ ـ وفريق تأولوه بتأويلات بعيدة، منها:

أ ـ قالوا: إنما حجّه لأن آدم أبوه.

ب ـ قالوا: إنما حجّه لأن الذنب كان في شريعة، واللوم في شريعة.

جـ ـ وقال آخرون: إنما حجّه لأنه كان قد تاب من الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وغير ذلك من التأويلات.

٣ ـ وفريق جعلوه حجّة في سقوط الملام على المخالفين لأمر الله ورسوله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا المسلك أبطل مسلك سُلِك في هذا الحديث وهو شر من مسلك القدرية في ردّه»[٢].

٤ ـ القول الصائب: ـ والعلم عند الله ـ أن موسى لم يلم آدم عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ على المعصية، وإنما لامه على المصيبة.

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (١/ ٥٦، ٥٧).

(٢) انظر: شفاء العليل (١/ ٤٦ ـ ٥٠).

الفصل الثاني
الإيمان بخلق أفعال العباد

ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة أن الله ـ عز وجل ـ خالق العباد وأفعالهم، وأنه المتصرف في الكون بما يشاء وكيف يشاء، وهو خالق الخلق وما يعملون، وقد ذهب علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ إلىٰ هذا القول، وقرّروه حيث قال الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنه ـ أي الله سبحانه وتعالى ـ خلق أفعالهم جميعها ـ أي العباد ـ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[١]، و﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[٢]، فهي واقعة بإرادته وتقديره وعلمه وقدرته»[٣]. وهو بهذا يقرر ما ذهب إليه أهل السُّنَّة والجماعة من أنّ أفعال العباد مخلوقة لله ـ عز وجل ـ.

وممن بيّن هذه المسألة: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «إن الله تعالى خالق لأفعال العباد، وإنما الكسب منهم، والخالق هو الله تعالى، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ خالق الإيمان والكفر والطاعة والعصيان، والكسب من العباد، وإنّما الجزاء على الكسب، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، لقول الله تعالى في سورة الصافات: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾، وفي سورة الزمر: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[٤]، وهو بهذا يقرّر مذهب أهل السُّنَّة والجماعة.

ومن تعرّض لهذه المسألة الشيخ: محمد بن عبدالعزيز المانع

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٩٦.
(٢) سورة القمر، الآية: ٤٩.
(٣) ما لابد منه، ص(٧٤).
(٤) حبل الشرع المتين، ص(٣٥).

رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سُبحانه منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه، فالجبرية غلوا في إثبات القدر، فنفوا فعل العبد أصلاً، والمعتزلة نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة. وهدى الله المؤمنين أهل السُّنَّة، لما اختلفوا فيه من ا لحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فقالوا، العباد فاعلون، والله خالقهم وخالق أفعالهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[1].

وهذه المسألة من أكبر المسائل التي تضاربت فيها آراء النظّار»[2].

وممن تعرض لهذه المسألة وقررها وفق مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ـ أيضًا ـ الشيخ عبدالحق الهاشمي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «وإنما عمل العبد مخلوق، وهو من فعله»[3]. ثم أوضح ذلك في تعليقه على كتاب التوحيد من صحيح البخاري حيث قال: «ومن هنا شرع الإمام البخاري في مسألة خلق أفعال العباد، وهي المسألة الثامنة، وأورد البخاري آية ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾، لدلالتها على أن كل شيء بخلق الله، فدلّ على أن جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى»[4].

وقد بيّن الشيخ عبدالله خياط رَحِمَهُ اللَّهُ أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، والعباد هم الفاعلون فقال: «والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

(٢) حاشية العقيدة الواسطية، ص(١٤، ١٥).

(٣) المجموعة الثالثة من رسائله، ص(١٣٠).

(٤) كتاب التوحيد، ص(٢٠٤).

وإراداتهم»[1].

وما ذهب إليه علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ هو ما جاءت به الأدلة من الكتاب والسُّنَّة.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2]، ووجه الدلالة من الآية على أن أفعال العباد مخلوقة قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فهي داخلة في شيء فتكون حينئذٍ مخلوقة.

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[3].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾: «وجهان: أحدهما: أن يكون قوله: «ما» بمعنى المصدر، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: والله خلقكم وعملكم.

والآخر: أن يكون بمعنى الذي، فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملون، أي: والذي تعملون منه الأصنام، وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منه أصنامهم.

ورجّح القول الثاني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4].

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[5].

أما السُّنَّة فقد ورد فيها أن الله خالق أفعال العباد:

عن حذيفة ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: **«الله يصنع كل صانع وصنعته»**[6].

---

(١) دليل المسلم في الاعتقاد، ص(٥٧).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

(٤) شفاء العليل (١/١٥٧).

(٥) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٦) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، ص(٣٩). وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/١٥٨). وابن مندة في التوحيد (١/٢٦٧). واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد =

وقال ابن عمر: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»(١).

وقد ذكر اللالكائي من روي عنه ذلك من الصحابة والتابعين من أهل الأمصار(٢).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «افاعيل العباد مخلوقة، وأفاعيل العباد بقضاء وقدر»(٣).

وقال اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن أفعال العباد كلها مخلوقة لله ـ عز وجل ـ طاعاتها ومعاصيها»(٤).

وخلاصة القول: أن أفعال العباد مخلوقة، وهم فاعلون حقيقة، والله خالقهم وخالق أفعالهم، وأن لهم مشيئة وإرادة لكنها تابعة لمشيئة الله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾(٥)، ففي هذه الآية إثبات لمشيئة العبد، وأنها تابعة لمشيئة الرب، والله أعلم.

أقسام الناس في أفعال العباد:

انقسم الناس في هذه المسألة إلى طرفين ووسط، وهم:

١ ـ القائلون بأن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات لم يخلقها الله، وإنما هم خلقوها لأنفسهم، وهؤلاء المعتزلة.

٢ ـ القائلون بأن أفعال الخلق كلها لله تعالىٰ، وهي كلها اضطرارية، وهؤلاء هم الجبرية. وقال الأشاعرة: إن أفعال العباد هي من خلق

= (٣/ ٥٣٩). والحاكم في المستدرك (١/ ٣١). وقال الألباني: إسناده جيد. انظر: ظلال الجنة (١/ ١٥٨).

(١) رواه الإمام عبدالله في السُّنَّة (٢/ ٤١٧). قال محققه: إسناده حسن. ورواه البخاري في خلق أفعال العباد، ص(٤١).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ٥٣٥ ـ ٥٤١).

(٣) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (عبدالإله بن سلمان الأحمدي) (١/ ١٤٧).

(٤) شرح اعتقاد أصول أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ٥٣٤).

(٥) سورة التكوير، الآية: ٢٩.

الله إبداعًا وإحداثًا؛ لكنها من كسب العبد، ثم إنهم إذا طولبوا بالفرق بين الكسب والفعل لم يذكروا فرقًا معقولاً، وقديمًا قيل:

«مما يقال ولا حقيقة تحته ... معقولة تدنوا إلىٰ الأفهام
الكسب عند الأشعري والحال ... عند البهشمي وطفرة النظّام»[(١)]

٣ ـ وأهل الحق قالوا: إن أفعال العباد مخلوقة، والعباد هم الفاعلون حقيقة، والله خالقهم وخالق أفعالهم[(٢)].

---

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة، ص(٢٤).

(٢) انظر: العقيدة الطحاوية، ص(٣٢٥). والعقيدة الواسطية بتعليق الشيخ: عبدالله بن جبرين (٢/ ٦٠).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسأله تعالى أن يخلص لنا النيات ويرْزقنا الاستقامة على الأعمال الصالحات، وأصلي وأسلّم على خير البريات نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

فبعد أن انتهيت من بيان أجزاء البحث ومفرداته يحسن بي أن أذكر النتائج المهمة فيه، وهي على قسمين:

أولاً: النتائج الإجمالية:

١ـ أن علماء البلد الحرام ـ رحمهم الله ـ المعنيين في هذا البحث يلتزمون منهج السلف الصالح في تقرير العقيدة فيما ظهر من مؤلفاتهم ورسائلهم، وما نقله عنهم تلامذته والمعاصرون لهم.

٢ـ تأثرهم بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية، ويمكن إبراز ذلك من خلال ما يلي:

أ ـ انتهاج منهجه في تأليف بعض كتبهم مثل كتاب «ما لا بد منه في أمور الدين»[(١)] حيث ساق فيه مؤلفه ملخصًا لأبواب كتاب التوحيد تحت عنوان: ما ينافي التوحيد، وكتاب «جوهر الدين»[(٢)] حيث ذكر فيه مؤلفه بعض أبواب كتاب التوحيد بالنص من غير ذكر العنوان.

ب ـ دفاعهم عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته، يقول الشيخ محمود شويل رحمه الله في دفاعه عن ما ينسب إلى الشيخ في تكفيره المسلمين: «فإن ما كفر ـ يعني الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ تبعًا للقرآن من دعا غائبًا، أو ميتًا، أو نذر لقبر، أو ذبح لغير الله»[(٣)].

---

(١) انظر: ص(٢٧، ٢٨، ١٩).

(٢) انظر: ص(٢٨، ٣٠).

(٣) القول السديد ص(٣٤).

ثانيًا: النتائج التفصيلية:

١ـ أن علماء البلد الحرام يعتمدون في استقاء العقيدة على الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، ويرفضون استقاء العقيدة من مصادر أهل الأهواء ويقفون منها موقف المعارض لها الراد عليها.

٢ـ أنهم يقسمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

٣ـ أن إثبات وجود الله عندهم أمرٌ فطري فطرت عليه النفوس.

٤ـ أن معتقدهم في توحيد الأسماء والصفات هو إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

٥ـ أن معتقدهم في الإيمان أنه قول وعمل يزيد وينقص.

٦ـ أن معتقدهم في مرتكب الكبيرة أنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وأن حكمه في الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء عذَّبه وإن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة.

٧ـ يعتقدون أن لله عز وجل ملائكة موكلون بأعمال يقومون بها على أكمل وجه، وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويؤمنون بهم جملة وتفصيلاً.

٨ـ يؤمنون بأن لله كتبًا أنزلها على أنبيائه ورسله، وأنها كلام الله يؤمنون بذلك إجمالاً إلاَّ الكتب التي ذكرت كالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان فيؤمنون بها على التفصيل.

٩ـ يؤمنون بأن لله رسلاً أرسلهم لهداية البشر، وأنهم معصومون من الوقوع في الكبائر والإقرار على الصغائر، يؤمنون بذلك إجمالاً إلاَّ من ذكر اسمه في القرآن والسنة فإنهم يؤمنون به على التفصيل.

١٠ـ يؤمنون بأن النبوة فضل واصطفاء من الله، وأنها ختمت بنبوة محمد ﷺ، وأن رسالته ﷺ عامة لجميع البشر.

١١ـ يؤمنون بالإسراء والمعراج وأنه كان يقظة لا منامًا وبالروح والجسد معًا.

١٢ـ يؤمنون باليوم الآخر من أشراط الساعة إلى دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

١٣ـ يؤمنون بالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومرِّه من الله سبحانه وتعالى، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

١٤ـ يؤمنون بأن الله خالق العباد وأفعالهم، وأنهم فاعلون حقيقة.

ملحق
تراجم علماء البلد الحرام

أسماء المترجم لهم من علماء البلد الحرام

الرقم	الاســـم	تاريخ الوفاة
١ـ	أبوبكر بن محمد عارف خوقير	١٣٤٩هـ
٢ـ	عبدالستار الدهلوي	١٣٥٥هـ
٣ـ	محمد نور فطاني	١٣٦٣هـ
٤ـ	محمد عبدالظاهر أبوالسمح	١٣٧٠هـ
٥ـ	محمود شويل	١٣٧٢هـ
٦ـ	عبدالحميد الخطيب	١٣٨١هـ
٧ـ	محمد سلطان المعصومي	١٣٨١هـ
٨ـ	عبدالوهاب الدهلوي	١٣٨١هـ
٩ـ	محمد بن عبدالعزيز المانع	١٣٨٥هـ
١٠ـ	عبدالرحمن بن يحيىٰ المعلمي	١٣٨٦هـ
١١ـ	سليمان الصنيع	١٣٨٩هـ
١٢ـ	محمد مخدوم	١٣٨٩هـ
١٣ـ	محمد الفلّاني	١٣٩٢هـ
١٤ـ	عبدالحق الهاشمي	١٣٩٢هـ
١٥ـ	محمد عبدالرزاق حمزة	١٣٩٢هـ
١٦ـ	سليمان بن عبدالرحمن الحمدان	١٣٩٧هـ
١٧ـ	عبدالله بن محمد بن جبر القصيمي	١٣٩٨هـ
١٨ـ	عبدالمهيمن أبوالسمح	١٣٩٩هـ
١٩ـ	عبدالله بن حميد	١٤٠٢هـ
٢٠ـ	عبدالعزيز بن راشد النجدي	١٤٠٣هـ
٢١ـ	عبدالله بن عبدالغني خياط	١٤١٥هـ

ترجمة الشيخ

أبي بكر بن محمد عارف خوقير

رحمه الله

١٢٨٢ ـ ١٣٤٩هـ

اسمه ونسبه:

هو أبوبكر بن محمد بن عارف بن عبدالقادر بن محمد بن علي خوقير الكتبي المكي الحنبلي[١].

مولده ونشأته:

وُلد الشيخ أبوبكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مكة سنة ثنتين وثمانين ومائتين بعد الألف من الهجرة[٢] (١٢٨٢هـ).

وقد سأله أحد تلاميذه[٣] عن مولده، فقال له: «أقبل على شأنك، فإني رويت بسندي إلىٰ الإمام الشافعي، قال: «سألت مالك بن أنس عن سنّه، فقال: أقبل على شأنك»، فليس من المروءة إخبار الرجل عن سنّه، إنْ كان صغيرًا استحقروه، وإن كان كبيرًا استهرموه»[٤].

لقد نشأ الشيخ محبًّا للعلم شغوفًا به؛ حيث حفظ القرآن في صغره؛ ثم اشتغل بطلب العلم؛ وكان مولعًا بكتب الحديث ومطالعتها؛ فقد كان يسافر إلى الهند من أجل جلب كتب السلف ـ رحمهم الله تعالىٰ ـ ثم يقوم بنشرها في مكة، وكان ينتهز فرصة وجوده في الهند فيتلقى العلم عن علمائها المشهورين.

وقد هداه الله تعالى إلى الالتزام بمنهج السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ على يدي الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى حيث تتلمذ عليه واستفاد منه.

وقد عكف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمهما الله تعالى ـ فشغل ذهنه ما كان

---

(١) انظر: سير وتراجم، ص(١٧). والأعلام (٢/ ٧٠). ومعجم المؤلفين (١/ ٤٤٤).
(٢) المصادر السابقة. والإضافات على النعت الأكمل، (ص٤١٦).
(٣) هو الشيخ «عبدالستار الدهلوي» انظر: سير وتراجم، ص(١٦).
(٤) سِير وتراجم، ص(١٧).

عليه الناس من انحراف خطير عن عقيدة السلف فأخذ يدعو الناس إلى العودة إلى ما كان عليه سلفهم ـ رحمهم الله ـ من توحيد الله ـ عز وجل ـ، حيث أخذ يقرر التوحيد بأنواعه الثلاث، ويدعو إلىٰ نبذ البدع والخرافات(١).

صفاتــه:

كان مهذبًا، رقيق الطبع، حسن المعاشرة، على قوة في دينه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وكان مجلسه لا يخلو من دُعابة ونكت أدبية وتاريخية(٢).

رحلاته العلمية:

لقد كان للشيخ عدّة رحلات من بينها رحلاته إلى الهند، وذلك من أجل جلب كتب السلف، ثم القيام بنشرها في مكة، كما كانت له رحلات إلى مصر من أجل طباعة كتبه، وكان في أثناء هذه الرحلات يلتقي بعلماء الأزهر ويتبادلون الأحاديث حول المسائل العلمية(٣).

مشـايخه:

كان للشيخ أبي بكر رحمه الله مشايخ كثيرون تلقّى عنهم العلم وأخذ عنهم الإسناد. يقول الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله: «رويت عن مشايخ معروفين مشهورين بعلوّ الإسناد منهم:

١ ـ الشيخ حسين بن عيسى اليماني.

٢ ـ القاضي أحمد بن إبراهيم بن عيسىٰ.

٣ ـ الشيخ محمد الأنصاري.

٤ ـ الشيخ محمد بن عبدالعزيز الهاشمي الجفري الهندي.

---

(١) المصدر السابق، ص(١٣).

(٢) مجلة المنار، مجلد (٣١) الجزء الثالث من سنة (١٣٤٩هـ) ص(٢٤٠).

(٣) سير وتراجم، ص(١٧)، والإضافات على النعت الأكمل، ص(٤١٦).

٥ ـ أحمد دحلان[١] .

٦ ـ الشيخ عبدالرحمن سراج مفتي مكة .

٧ ـ الشيخ حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي .

٨ ـ محمد بن سعيد بن سنبل[٢] .

تلاميـذه:

وقد قام بالتدريس في الحرم المكي في زمن الأشراف وبعد خروجه من السجن في زمن الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله، وقد تتلمذ عليه خلق كثير من أبرزهم:

١ ـ عبدالستار الدهلوي .

٢ ـ سليمان الصنيع .

٣ ـ أحمد علي أسد الله الكاظمي .

٤ ـ عبدالله بن عبدالغني خياط[٣] .

مؤلفاتـه:

اشتغل الشيخ أبوبكر خوقير رحمه الله بالتأليف والتصنيف، كما اشتغل غيره من العلماء، فترك ثروة علمية طيبة، منها ما يلي:

١ ـ التحقيق فيما يُنسب إلى أهل الطريق[٤] :

وقد عرض في هذا الكتاب لنقد المتصوفة، حيث رتّبه إلىٰ مقدّمة وستة فصول وخاتمة .

المقدّمة: عرض فيها لبيان بعض الألفاظ التي يكثر استعمالها عند

---

(١) صاحب رسالة الدرر السنية في الرد على الوهابية .

(٢) سير وتراجم، ص(١٧، ١٨). والإضافات على النعت الأكمل، ص(٤١٦).

(٣) انظر: سير وتراجم، ص(١٧). أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر لإبراهيم الحازمي، ص(٨١). وعلماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبدالله البسام (٢/ ٣٠٢).

(٤) ذكره صاحب كتاب(الأعلام) (٢/ ٧٠)، وصاحب كتاب معجم المؤلفين (١/ ٤٤٥)، وصاحب مجلة المنار (٣١/ ٣٢٠).

المتصوفة مثل: علم الباطن والظاهر، والحقيقة والشريعة، والتصوف والصوفية، والطريق والطريقة.

الفصل الأول: عرض فيه إسناد خرقة التلقين، وطرائق الصوفية، وطرائق المحدثين.

الفصل الثاني: عرض فيه لحكم الذكر المعروف وغيره عند الصوفية والمذاهب الأربعة.

الفصل الثالث: عرض فيه للكلام عن الأسانيد التي يحتج بها أهل الطريق على ذكرهم المركب.

الفصل الرابع: عرض فيه لنسبة الصوفية لأهل الصفة، وبيّن أن هذه النسبة غير صحيحة، حيث قال: «ويحاول الصوفية في جعل أن هؤلاء ـ أي أهل الصفة ـ سلفهم، ويشبهون جماعتهم في التكايا بهم كما حاول بعضهم أن ينسب الصوفي إلى الصفة، وغلطه واضح بالنسبة إلى اللسان العربي»[١].

الفصل الخامس: عرض فيه للذكر بالاسم المفرد، والذكر القلبي أو الصدري.

الفصل السادس: عرض فيه لحكم الأموال التي تنفق لجمع الناس على هذا الذكر.

الخاتمة: خلص فيها إلىٰ اشتمال الذكر المعروف عند الصوفية على أنواع من البدع أوصلها إلى عشرة.

وهو مخطوط يوجد منه نسخة في جامعة الملك سعود برقم (١٥٩٠)، وعدد أوراقه (٣١) لوح مقاس (٢٤×١٨) ويقوم أحد المحققين بتحقيقه.

---

(١) التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق، لوحة (٣٠).

٢ ـ تحرير الكلام في الجواب عن سؤال الهندي في صفة الكلام:

وهو عبارة عن جواب عن سؤال طُرح عليه حول صفة الكلام، فأجاب بهذه الرسالة وعرض فيها مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في القرآن، وأنه كلام الله غير مخلوق، ثم عرض كلام المخالفين لأهل السنة في هذه المسألة وأورد شبههم وما يحتجون به على مذهبهم فتعرّض له بالتفنيد والردّ، والله أعلم.

وهو مخطوط يوجد منه نسخة في مكتبة الحرم المكي برقم (١٢٩٨)، وعدد أوراقه (١٠) لوحات مقاس (١٧×٢٣). ويقوم أحد المحققين بتحقيقه.

٣ ـ ما لابد منه في أمور الدين[١]:

وهو عبارة عن سؤال وجواب في مسائل العقيدة، حوى خلاصة ما في الكتب المطولة مع سهولة أسلوبه وسلاسة عباراته، فهو بين الإيجاز المخلّ والتطويل المملّ.

وقد أثنى على هذا الكتاب جملة من علماء الأزهر منهم الشيخ محمد بن بخيت المطيعي، حيث قال: «فإني قد اطلعت على كتاب «ما لابد منه في أمور الدين» لمؤلفه الفاضل الشيخ أبوبكر بن محمد عارف، المدرس بالحرم المكي، فوجدته كتابًا يحتاج إليه المبتديء ولا يستغني عنه المنتهي»[٢].

وهو مطبوع في خمسين ومائة صفحة من الحجم الصغير، طبعه مؤلفه بمطبعة التمدن بالقاهرة سنة (١٣٣٢هـ).

كما قام خالد بن علي العنبري بتحقيقه، وطبعته دار سعد النجيم للنشر والتوزيع عام (١٤١٢هـ).

---

(١) ذكره صاحب كتاب سير وتراجم، ص(٢٠)، وصاحب كتاب الأعلام (٢/ ٧٠)، وصاحب كتاب معجم المؤلفين (١/ ٤٤٤)، وصاحب مجلة المنار (٣١/ ٣٢٠).

(٢) ذيل ما لابد منه، ص(١٤٢).

٤ ـ مختصر في فقه الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وهو عبارة عن كتاب مختصر في المسائل الفقهية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وهو مطبوع بمطبعة دار الطباعة المنيرية في مصر، ويقع في أربعين صفحة.

٥ ـ مسامرة الضيف في رحلة الشتاء والصيف[(١)] :

وهو كتاب أدبي لطيف على نسق كتاب الجاحظ «سلوة الحرّيف بمناظرة الربيع والخريف».

وهو مطبوع، طبع في بيروت سنة (١٣٢٠هـ) ويقع في ثلاث وتسعين صفحة.

٦ ـ ثبت الأثبات الشهيرة:

وهذا الكتاب عبارة عن أسانيده ومشايخه الذين أخذ عنهم بالإسناد المتصل.

وهو مخطوط في مكتبة الحرم المكي برقم (٤٢٧٣) وعدد أوراقه (١٣) لوحة مقاس (٢٩×١٩).

٧ ـ فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهّال[(٢)] :

وسبب تأليفه لهذا الكتاب أنه ورد إلى جدّة رجل من أهل الهند فذهب له الشيخ من أجل المدارسة والمذاكرة، وحصلت بينهما مذاكرة في مسألة التوسّل وما يتفرع عنها من مسائل، فتبيّن للشيخ أن هذا الرجل من أهل البدع، فما كان منه إلا أن كتب هذه الرسالة يوضح فيها مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، ويعرض

---

(١) ذكره صاحب كتاب الأعلام (٢/ ٧٠)، وصاحب معجم المؤلفين (١/ ٤٤٤)، وصاحب مجلة المنار (٣١/ ٣٢٠).

(٢) ذكره صاحب كتاب الأعلام (٢/ ٧٠)، وصاحب معجم المؤلفين (١/ ٤٤٤)، وصاحب مجلة المنار (٣١/ ٣٢٠).

لشُبه أهل الضلال على المسألة ذاتها، ثم يقوم بالرد عليها ويورد كلام العلماء حول كل شبهة. كما بيّن في هذه الرسالة أنواع التوسل الجائز، والتوسل الممنوع.

وهو مطبوع بمطبعة المنار الإسلامية بمصر سنة (١٣٢٤هـ) على نفقة الشيخ عبدالقادر التلمساني، ويقع في (٧٢) صفحة.

٨ ـ حسن الاتصال بفصل المقال في الرد على بابصيل وكمال.

٩ ـ السجن والمسجونون.

١٠ ـ ما لا غنى عنه شرح ما لابدّ منه[1].

محنتـه:

من سنن الله ـ عز وجل ـ في عباده المؤمنين أن يبتليهم ليرىٰ مدى ثباتهم وصبرهم على وعورة هذا الطريق، كما أنّ من سنن الله أن أهل الباطل لا يتركون أهل الحق دون إيذاء. ومن هذا الباب كان ما جرى للشيخ أبي بكر خوقير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما تعرّض للسجن، وذلك بسبب دعوته إلى محاربة البدع والخرافات ولاسيما بدع القبوريين والمتصوفين، فبلغ ذلك حكام البلاد آنذاك فتربصوا به وضيقوا عليه ومنعوه من التدريس حيث أمر الشريف حسين بن علي بالقبض عليه فسجنه مع المجرمين في غرفة واحدة، وذلك عام (١٣٣٩هـ) حيث سُجن دون تحقيق أو حكم، وظل في السجن ثمانية عشر شهرًا، ثم نحوًا من سبعين شهرًا، يعني زهاء سبع سنوات، ولم يُفرج عنه إلا بعد أن دخل جيش الملك عبدالعزيز إلىٰ مكة وزالت دولة الأشراف.

يقول عمر عبدالجبار رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يحدّث عن حال الشيخ في

---

(١) ذكر هذه الكتب الثلاثة صاحب مجلة المنار في (٣١/ ٣٢٠)، وقد بحثت عنها في مكتبة جامعة الملك سعود ومكتبة الحرم المكي والنبوي، ومكتبة مكة ومكتبة دار الحديث الخيرية وبعض المكتبات الخاصة فلم أعثر لها على أثر، ويحتمل أن يد بعض المناوئين امتدت لها فأتلفتها وأخفتها، والله أعلم.

السجن: «لقد شاهدت الشيخ أبابكر أثناء دخولي السجن في غرفته بملابس رثّة، وهو أشعث طال شعر رأسه ولحيته ـ إذ لا يُسمح لسجين باستعمال مقص أو موس ـ فسلّمت عليه فردّ السلام وقال: إن الله مع الصابرين، ولي أسوة بإمامنا أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وظلّ في السجن إلى أن أُفرج عنه مع بقية السجناء بعد استيلاء الملك عبدالعزيز على مكة عام (١٣٤٣هـ)، وبعد خروجه اعتزل الوظائف ولازم المسجد والبيت»[(١)].

وفاتــه:

لكل حيّ نهاية ـ إلا الله سبحانه وتعالى ـ ولكل إنسان أجل، ففي ربيع الأول من سنة (١٣٤٩هـ) تُوفي الشيخ، وذلك بمرض الزحار عن عمر يناهز السبعين وكانت وفاته في مكة شرّفها الله، وقد اجتمع الناس لشهود جنازته رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنّاته[(٢)].

---

(١) سير وتراجم، ص(١٩، ٢٠)، وتفسير المنار (٤/ ١٠).

(٢) انظر: سير وتراجم، ص(٢٠)، والإضافات على النعت الأكمل، ص(٤١٤). ومجلة المنار (٣١/ ٣٢٠).

ترجمة الشيخ

عبد الستار الدهلوي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١٢٨٦ ـ ١٣٥٥هـ

اسمه ونسبه:

عبدالستار بن عبدالوهاب بن خدايار بن عظيم حسين يار بن أحمد يار المباركشاهوي البكري الصديقي الحنفي الدهلوي أبوالفيض وأبوالأسعاد[(١)].

مولده ونشأته:

وُلد رَحِمَهُ اللهُ بمكة عام (١٢٨٦هـ) وحفظ القرآن في صغره ثم التحق بالمدرسة الصولتية وأخذ من علمائها، وكان محبًا للعلم شغوفًا به، وخاصة علم الحديث ورجاله، وعلم التراجم، وقد رحل في طلب العلم مستسهلاً وعورة الطريق إلى المدينة حيث أخذ عن بعض علمائها، ثم رحل إلى الطائف وأخذ عن بعض علمائها، ومازال يتصل بالعلماء القادمين لمكّة في مواسم الحج وغيره. كما سافر إلى مصر وأخذ عن علمائها[(٢)].

مشايخه:

تلقى الشيخ عبدالستار الدهلوي رَحِمَهُ اللهُ العلم عن علماء كثيرين من أبرزهم:

١ ـ الشيخ أبوبكر خوقير.

٢ ـ الشيخ عباس بن جعفر بن صديق الفقيه.

٣ ـ عبدالله بن عباس بن صديق.

٤ ـ عبدالرحمٰن سراج مفتي الأحناف.

٥ ـ أحمد بن محمد الحضراوي.

٦ ـ عبدالقادر بن أحمد الطرابلسي.

٧ ـ محمد سعيد محمد الظاهري.

---

(١) الأعلام للزركلي (٣/ ٣٥٤).

(٢) سير وتراجم، ص(٢٢١، ٢٢٢).

٨ ـ عثمان بن عبدالسلام الداغستاني.

٩ ـ عبدالمطلب الطائفي.

١٠ ـ عبدالحفيظ القاري الحنفي.

وقد أجازه كثير من العلماء وأثنوا على نشاطه وإقباله على الطلب[١].

تلاميذه:

من أبرز تلاميذ الشيخ عبدالستار الدهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشيخ سليمان الصنيع مدير مكتبة الحرم سابقًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢].

مصنفاته:

لقد ترك الشيخ عبدالستار الدهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ آثارًا كثيرة من المؤلفات الخطيّة التي تدلّ على غزارة علمه وسعة اطلاعه في الحديث وعلومه، والتاريخ وطبقاته، فمن مؤلفاته:

١ ـ **التحقيق المصون في علم الغيب بما كان ويكون:**

أبان فيه انفراد الله ـ عز وجل ـ بعلم الغيب، وردّ على الزاعمين أن النبي ﷺ يعلم الغيب، وفنّد شبههم في ذلك، وأبان منهج أهل السُّنَّة والجماعة في هذه المسألة.

وهو مخطوط في مكتبة الحرم المكي برقم (٣)، وعدد أوراقه (٢٣) لوحة مقاس (١٨×٢٣) يوجد فيه ثلاث نسخ: الأولى: كاملة، والباقي: فيه نقص، ويقوم أحد المحققين بالعمل على تحقيقه.

٢ ـ **الإنصاف في حكم الاعتكاف.**

٣ ـ **نور الأمة في تخريج كشف الغمة.**

٤ ـ **أزهار البساتين الطيبة النشر في ذكر أعيان كل عصر:**

وهو مخطوط بخط المؤلف يوجد منه نسخة في مكتبة الحرم برقم

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحات.

(٢) المصدر السابق، ص(٢٢٥).

(ف/ ١١٧/ ٢ح).

٥ ـ **جواهر الأصول إلى اصطلاح علم الرسول.**

٦ ـ **رفع الأستار المسدولة[1] في ذكر بعض الأحاديث المسلسلة.**

٧ ـ **النجمة الزاهرة في أفاضل المائة العاشرة:**

وهي مخطوط يوجد منه نسخة في مكتبة الحرم المكي برقم (ف١٤٠/ ٤ح).

٨ ـ **سرد النقول في تراجم العلماء الفحول:**

وهو مخطوط بخط المؤلف يوجد منه نسخة في مكتبة الحرم المكي برقم (ف١٣١/ ١ح).

٩ ـ **مقدمة في النسب:**

وهو مخطوط يوجد منه نسخة في مكتبة الحرم المكي برقم (ف١٢٢/٦ح).

١٠ ـ **تحفة الأحباب في بيان اتصال الأنساب:**

وهو مخطوط بخط المؤلف يوجد منه نسخة في مكتبة الحرم برقم (ف١٣٠/ ٣ح).

١١ ـ **السلسلة الذهبية في الشجرة الحجبية:**

وهومخطوط بخط المؤلف يوجد منه نسخة في مكتبة الحرم المكي برقم (ف١٣١/ ٤م ح).

١٢ ـ **نثر المآثر فيمن أدركت من الأكابر:**

وهو مخطوط بخط المؤلف يوجد منه نسخة في مكتبة الحرم برقم (ف١٣٩/ ٢ح).

١٣ ـ **فيض الملك المتعال بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي:**

وهو مخطوط بخط المؤلف وخطه معتاد يوجد منه نسخة في مكتبة

---

(١) كذا ولعلها: «المسدلة» مراعاة للسجع، وهي صحيحة.

الحرم المكي برقم (ف١٢٦/ ١).

١٤ ـ عذب المواريد في برنامج كتب الأسانيد.

١٥ ـ ما قاله الأساطين في أوقات الأمراء السلاطين[١].

وهذه الكتب كما يظهر من عناوينها تهتم بالجوانب التاريخية والتراجم.

وفاته:

وفي عام (١٣٥٥هـ) انتقل إلىٰ رحمة الله الشيخ عبدالستار الدهلوي بمكة شرّفها الله، وقد كانت أمنيته أن يموت في المدينة حيث كتب في صدر كتاب له أسماه «أزهار البستان في طبقات الأعيان» بخط يده قوله: «لجامعه فلان المكي وطنًا وإقامة وإن شاء الله المدني موتًا» ولكنه توفي بمكة ـ رحمه الله تعالى ـ وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا وإياه وإخواننا المسلمين في دار كرامته[٢].

---

(١) انظر الأعلام (٣/ ٣٥٤)، وسير وتراجم، ص(٢٢٣، ٢٢٤).

(٢) الأعلام (٣/ ٣٥٤). ونشر الرياحين في تاريخ البلد الأمين (١/ ٣٤٢).

ترجمة الشيخ
محمد نور فطاني
رحمه الله
١٢٩٠ - ١٣٦٣هـ

اسمه ونسبه[١]:

محمد نور بن الشيخ محمد الصغير الجاوي الفطاني.

نبذة عن حياته[٢]:

وُلد رَحِمَهُ اللَّهُ في مكة عام ١٢٩٠هـ، ونشأ في حجر والده، وبدأ دراسته على يديه، ثم أتمها على يد الشيخ عبدالحق مؤسس المدرسة الفخرية والشيخ عابد مفتي المالكية، وبعد أن حصل على الشهادة وأُجيز بالتدريس أراد إتمام علمه فسافر إلى مصر والتحق بالأزهر فدرس هناك، ثم عاد إلى مكة وواصل طلبه للعلم، كما عقد حلقة للتدريس بالمسجد الحرام، وعكف على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ محمد بن عبدالوهاب يطالعها ويستفيد منها.

مشايخه[٣]:

١ ـ والده: محمد صغير الجاوي الفطاني.

٢ ـ الشيخ عبدالحق.

٣ ـ الشيخ عابد مفتي المالكية.

٤ ـ محمد عبده (صاحب كتاب التوحيد وتلميذ جمال الدين الأفغاني).

٥ ـ بخيت الحنفي.

صفاته:

كان معتدل القامة، نحيف البنية، أجرد العارضين، خفيف اللحية، هادئًا في حديثه، هادئًا في عمله، هادئًا في تقرير درسه.

---

(١) انظر: المختصر من كتاب نشر النَّور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر لمحمد سعيد العمودي وأحمد علي الأسدي، ص(٤٧٤).

(٢) استفدت هذه الترجمة من كتاب سير وتراجم من ص(٣٠٢) إلى ص(٣٠٦).

(٣) المصدر نفسه.

قال عنه عمر عبدالجبار: «كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلفي العقيدة»[(١)].

أعماله:

١ ـ عين في عهد الشريف حسين عضوًا بمديرية المعارف بمكة.

٢ ـ وفي العهد السعودي عين قاضيًا بالمحكمة الكبرى.

٣ ـ تولى التدريس في المسجد الحرام منذ عهد الأشراف إلى آخر حياته.

٤ ـ تولى رئاسة مشايخ الجاوه.

جهوده:

لقد قام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بجهد كبير في نشر العقيدة السلفية بين الجاوه، حيث قام بترجمة الهداية السنية في العقيدة السلفية للشيخ سليمان بن سحمان إلى اللغة الملّاوية، وقامت الدولة السعودية بطبعها وتوزيعها ويوجد منها نسخة في مكتبة الحرم بنفس الترجمة، كما قام بترجمة سلم المبتديء في الفقه الشافعي، وكان يقوم بتدريس المطوفين مناسك الحج، كما كان يدرس في الفقه والتفسير والحديث.

وفاته:

وفي عام ١٣٦٣هـ توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مكة عن عمر يناهز ثلاث وسبعين سنة رحمه الله تعالى[(٢)].

---

(١) سير وتراجم، ص(٣٠٢).

(٢) انظر: سير وتراجم، ص(٣٠٢).

ترجمة الشيخ
محمد عبد الظاهر أبو السمح
رَحِمَهُ اللَّهُ

١٣٠٠ ـ ١٣٧٠هـ

اسمه:

محمد عبدالظاهر بن محمد نور الدين الفقيه أبوالسمح(١).

مولده ونشأته:

وُلد رحمه الله عام (١٣٠٠هـ) في بلدة تلّين التابعة لمديرية الشرقية بمصر وكان من عائلة اشتهرت برعايتها لشؤون تحفيظ القرآن الكريم، حفظ القرآن الكريم على يد والده في التاسعة من عمره، والتحق بالأزهر ودرس على علمائه فقرأ الروايات السبع، وحفظ متون العلوم، وبرع في العربية وبعض العلوم الشرعية، ثم اتصل بالشيخ أمين الشنقيطي فأنار له سبيل العقيدة السلفية فعكف على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ ثم تقلب في بعض المناصب حيث عمل مدرسًا بمدرسة ابتدائية بالسويس، ثم عين مدرسًا بمدرسة الإسكندرية، وإمامًا وخطيبًا في مسجد أبي هاشم، ثم طلبه الملك عبدالعزيز آل سعود وعينه إمامًا وخطيبًا ومدرسًا بالمسجد الحرام، وفي عام (١٣٥٢هـ) أسس مدرسة دار الحديث بمكة(٢).

صفاته:

يقول عنه الشيخ إبراهيم بن عبيد: «كان رجلاً عاقلاً أديبًا ذا بشاشة وتواضع رزينًا، له لحية كثّة بيضاء، ممتليء الجسم، بهيّ المنظر، كان لخطبته وقراءته وقع في النفوس»(٣).

مشايخه:

لقد تتلمذ الشيخ عبدالظاهر على عدد من المشايخ منهم:

---

(١) انظر: تذكرة أولي النهىٰ (٣/٣٠٦)، والأعلام (٤/١١)، ومعجم المؤلفين (٢/١٥٥)، وسير وتراجم، ص(٢٢٧).

(٢) المصادر نفسها.

(٣) تذكرة أولي النهى (٣/٣٠٦).

١ ـ محمد عبده.

٢ ـ محمد رشيد رضا.

٣ ـ عبدالله بن حسن آل الشيخ(١).

ومن أبرز تلاميذه: الشيخ عبدالله عبدالغني خياط ـ رحمهما الله تعالى ـ.

مؤلفاته:

١ ـ الرسالة المكية في الردّ على الرسالة الرمليّة.

وهي عبارة عن ردّ على رسالة نشرها صاحب مجلة الأسعاد في المحمودية، قرّر فيها الشيخ التوحيد بأنواعه الثلاثة، والشفاعة وأقسامها، والتوسل وأنواعه، ومعنى شهادة التوحيد.

وهي مطبوعة بمطبعة المنار بمصر تقع في أربع وأربعين صفحة.

٢ ـ القصيدة الرملية في انتصار أهل السُّنَّة المحمدية على أهل البدع القبورية:

وهي عبارة عن منظومة ذكر فيها نصره على أعدائه كما أبطل أكاذيبهم وتُهمهم ضده، وبيّن شفاعات الرسول ﷺ وكرامات الأولياء، وإثبات الذكر الشرعي وإنكار الذكر البدعي.

وهي مطبوعة بذيل الرسالة المكية تقع في ثلاث وسبعين بيتًا.

٣ ـ حياة القلوب بدعاء علاّم الغيوب:

عرض فيه المؤلف رحمه الله أنواع التوحيد الثلاثة، ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم ذكر بعض الموضوعات المتفرقة حول الإسلام ونظامه، ثم ذيله بقصيدة في نقد صاحب الأغلال.

وهو مطبوع بمطبعة سفير يقع في ثلاث وتسعين صفحة.

---

(١) انظر: سير وتراجم، ص(٢٢٧)، وعلماء نجد (١/ ٢٣٥).

٤ ـ القصيدة النونية في بيان الوسيلتين الإسلامية والشركية وأنواع التوحيد:

وهو عبارة عن نظم في أنواع التوحيد الثلاثة، والتوسّل وأنواعه، وبيان مفهوم العبادة.

وهي مطبوعة مع حياة القلوب تقع في سبعة عشر ومائة بيتٍ.

٥ ـ الأولياء والكرامات:

عرض فيه لتعريف الكرامة لغة واصطلاحًا، وثبوتها بالكتاب والسنة، وشروط الكرامة، ومعنى الولاية، ثم ذكر نماذج من كرامات الأولياء.

وهو مطبوع بمطبعة الإمام يقع في ثمان ومائة صفحة.

٦ ـ مناسك الحج وفق السنة المحمدية:

عرض فيه لصفة الحج وأعماله والزيارة الشرعية، ومعنى الدعاء.

وهو مطبوع في مطبعة مكة للطباعة والنشر بتحقيق محمد بن أحمد السيد أحمد، ويقع في سبعين صفحة.

وفاته:

وفي عام (١٣٧٠هـ) انتابه مرض نُقل على إثره إلى مستشفى الجيزة بالقاهرة حيث تُوفي بها، ودُفن هناك ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة[١] ـ.

---

(١) انظر: الأعلام (٤/ ١١)، ومعجم المؤلفين (٢/ ١٥٥).

ترجمة الشيخ

محمود شويل

رحمه الله

١٣٠٢ ـ ١٣٧٢هـ

اسمه ومولده:

محمود شويل، ولد في المدينة عام (١٣٠٢هـ).

نبذة عن حياته:

كان متواضعًا يحب مساعدة الفقراء والمحتاجين، وكان يحارب الرذيلة شديدًا في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، كان عالمًا مطلعًا لبق الحديث لطيف المعاشرة، قام برحلات طويلة إلى أسبانيا وتركيا وبخارى، أُذن له بالتدريس بالحرم النبوي عام (١٣٢٧هـ)، كما تولى التدريس في الحرم المكي فترة من الزمن ليست بالقصيرة[١]، وقد تتلمذ على فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ وأفاد منه[٢].

مؤلفاته:

لقد اشتغل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتأليف فترك عددًا من الكتب منها:

١ - **كشف تلبيس إبليس الذي تكنى بأبي إدريس:**

وهذا الكتاب عبارة عن دفاع عن الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضد مفتريات البوتي، وهو مطبوع في مطبعة الإمام ويقع في ست عشرة صفحة.

٢ - **منزلة الحديث من الدين:**

وهو عبارة عن بحث في تعارض الأدلة السمعية والعقلية، بين فيه أن الأدلة السمعية لا تعارض الأدلة العقلية، وهو عبارة عن جواب على شكيب أرسلان حول كتابه «محمد المثل الكامل».

وهو مطبوع يقع في تسع وثلاثين صفحة.

---

(١) انظر: الأعلام (٧/ ١٧٤)، ومعجم المؤلفين (٣/ ٨١٣)، وماذا في الحجاز أحمد محمد جمال، ص(٥٩).

(٢) علماء نجد (١/ ٢٣٦).

٣ ـ **القول السديد في قمع الحرازي العنيد:**
وهو عبارة عن ردّ على مفتريات الحرازي على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ حيث بين فيه مفتريات الحرازي ثم دحضها بالبرهان من الكتاب والسُّنَّة وأقوال علماء الأمة.
وهذا الكتاب مطبوع في مطبعة الإمام، يقع في ثمان وعشرين ومائة صفحة.

٤ ـ **القول الفصل في حقيقة اتصاف الملائكة بالعقل:**
وهو عبارة عن رده على الشيخ حامد الفقي حول مسألة: هل الملائكة يتصفون بالعقل بين فيه اتصاف الملائكة بالعقل، وذلك بالدليل من الكتاب والسنة.

وفاته:

وفي العشرين من جمادى الآخرة من عام (١٣٧٢هـ) توفي الشيخ محمود شويل رَحِمَهُ اللهُ بالمدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم ـ، ودُفن بها، ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة[١] ـ.

---

(١) انظر: جريدة البلاد (٢١) جمادى الثانية عام (١٣٧٣هـ) العدد (١٤٨٠) من السنة الثامنة عشرة.

ترجمة الشيخ

عبد الحميد الخطيب

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١٣١٦ ـ ١٣٨١هـ

اسمه ونسبه:

هو عبدالحميد بن أحمد بن عبداللطيف الخطيب[١].

مولده ونشأته:

وفي رُبى مكة من يوم (٢٤) من شهر صفر من عام (١٣١٦هـ) وُلد الشيخ عبدالحميد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ فربّاه والده تربية إسلامية، يقول الشيخ عبدالحميد الخطيب: «كنت إذا طلبت من والدي شيئًا في صغري يقول لي: اطلب من الله أن يعطيك. فأقول له: أين هو الله؟ فيجيبني: هو في السماء يراك من حيث لا تراه، ثم يأتيني بما طلبته ويقول لي: ها إن الله أرسل لك ما طلبته، فكنت دائمًا إذا طلبت من الله شيئًا في السر ولم أنله أرجع إلى والدي وأقول له: إني طلبت من الله كذا وكذا فلم يعطني الله، فيقول لي والدي: هذا لا يمكن أن يكون إلا إذا صدر منك ما يغضب الله كأن قصّرت في عبادتك، أو أخّرت صلاتك أو اغتبت أحدًا فتبْ إلى الله واستغفره يغفر لك ويعطيك ما طلبته. فأعمل بوصية والدي فيحقق لي ما طلبته»[٢].

وقد آتت هذه التربية ثمارها حيث غرست في نفس الشيخ عبدالحميد الخطيب محبة الله والاعتماد عليه والثقة به والاستعانة به.

وكان والده رَحِمَهُ اللَّهُ يلقّنه العقائد السلفية من كتاب الله وسنة رسوله، ويحذّره من مطالعة كتب علماء الكلام والفلاسفة، ويحثه على مطالعة الفقه واستنباط الأدلّة من الكتاب والسنة. كما كان يأمره بتعليم صغار طلبة العلم[٣].

---

(١) انظر: الأعلام (٣/ ٢٨٤). ونشر الرياحين (١/ ٣١٨) ومعجم المؤلفين (٢/ ٦٥).

(٢) سير وتراجم، ص(٢٠١).

(٣) المصدر السابق، ص(٢٠١، ٢٠٢).

وظائفه:

وفي أواخر عهد الحسين سافر رَحِمَهُ اللَّهُ إلى مصر فاشتغل بالصحافة، وبعد وصوله إلى مكة عُيّن عضوًا بمجلس الشورى، ولكن هذا لم يشغله عن تدريسه بالمسجد الحرام، ثم عُيّن سفيرًا للمملكة في باكستان إلىٰ أن أُصيب بمرض فأُعفي من هذا العمل[1].

مصنفاته:

لم يستعذب الشيخ عبدالحميد رَحِمَهُ اللَّهُ الراحة والكسل، بل إنه برى قلمه يدعو إلى الله ـ عز وجل ـ في الصحف والمجلات، كما قام بتأليف جملة من الكتب، منها:

١ ـ **جوهر الدين:**

حيث بيّن فيه حقيقة العبادة، والتحذير من الشرك، ونواقض التوحيد، ومعنى الوسيلة وأنواعها، كما حذّر من التبرك بالأشجار والأحجار والتمائم، وبيّن حقيقة الإسلام، ومحبة الله ورسوله، وأركان الإسلام وهو مطبوع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر عام (١٣٧٠هـ)، ويقع في إحدى وخمسين صفحة.

٢ ـ **أسمى الرسالات**[2]:

حيث قسّمه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول منه: عبارة عن سيرة النبي ﷺ وبعوثه وسراياه وغزواته، وكتبه وأخلاقه وشمائله ومرضه ووفاته.

أما القسم الثاني: فقد جعله لمسائل الإيمان والإسلام وبيان أركانهما وما يتعلق بهما من صفات الله ـ عز وجل ـ والإيمان باليوم الآخر وأشراط الساعة، والإيمان بالقضاء والقدر.

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص(٢٠٢).

(٢) وقد أثنى عليه بعض العلماء منهم الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، والشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع.

أما القسم الثالث: فقد جعله لقضايا متفرقة حول الإسلام ونظامه.

وهو مطبوع، طُبع في دار الكتاب العربي عام (١٣٧٣هـ)، ويقع في ثلاثين وستمائة صفحة.

٣ ـ **هل الله مستبد:**

عرض فيه لمسألة القضاء والقدر ومراتبه والفرق المخالفة في هذه المسألة، ثم ردّ على شبههم التي يحتجون بها، والله أعلم.

وهو مطبوع في دار الكتاب العربي بمصر عام (١٣٧٤هـ)، ويقع في سبع وأربعين صفحة.

٤ ـ **تفسير الخطيب المكي:**

حيث قام بتفسير القرآن بأسلوب سهل ميسر موجز أبان فيه معاني الآيات ودلالاتها ولم يتعرّض لتأويل الألفاظ أو المعاني، وألمح فيه إلى القراءات الواردة في بعض الآيات.

وهو مطبوع في مطبعة الترقي عام (١٣٧٨هـ) في عدة أجزاء.

٥ ـ **سيرة سيد ولد آدم**(١):

وهو عبارة عن نظم للسيرة النبوية في نحو (٢٣٠٠) بيت وهو عبارة عن القسم الأخير من تائية الخطيب.

وهو مطبوع بالمطبعة السلفية عام (١٣٦٢هـ).

٦ ـ **نهـج البُـردة**(٢):

وهو عبارة عن نظم في محبة الله ورسوله عارض فيها البوصيري في بردته، فذكر فيها مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في محبة الرسول ﷺ وأثنى عليها الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ فقال: «حري بها أن

(١) وقد أثنى عليه الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، وعبدالله بن حسن آل الشيخ، ومحمد بن عبدالعزيز المانع ومحمد عبدالظاهر أبوالسمح، ومحمد عبدالرزاق حمزة.

(٢) ذكره صاحب كتاب سير وتراجم، ص(٢٠٤)، وصاحب معجم المؤلفين (٢/ ٦٥).

تسمىٰ: نهج السلف الصالح».

٧ ـ **مناجـاة الله**(١):

وهو جزء من تائية الخطيب المشهورة، ذكر فيها بعض قضايا العقيدة من توحيد الأسماء والصفات، واليوم الآخر وما يتعلق به، وهي مطبوعة تقع في (٤٢) صفحة.

٨ ـ **تائيـة الخطيب**(٢):

وهي منظومة في سبب تأخر المسلمين، وحكمة التشريع الإسلامي، ومبادىء الإسلام وغاياته، وتقع في خمسة آلاف بيت.

٩ ـ **همزيـة الخطـيب**(٣):

وهي منظومة في محبة الله تعالى ورسوله ﷺ، وهي مطبوعة تقع في خمسة وخمسين ومائة بيت.

١٠ ـ **الاستغاثة الكبرى**(٤):

وهي عبارة عن منظومة تقع في نحو سبعمائة بيت في الدعوة إلى الرجوع إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ والالتزام بهذا الدين، وهي مطبوعة بحمد الله تعالى.

١١ ـ **الإمام العادل**(٥):

وهو تاريخ شامل لحياة الملك عبدالعزيز آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ طفولته إلىٰ وفاته، يقع في جزئين، وهو مطبوع في مطبعة

---

(١) ذكرها صاحب كتاب الأعلام (٣/ ٢٨٤)، وصاحب كتاب سير وتراجم ص(٢٠٣)، وصاحب معجم المؤلفين (٢/ ٦٥).

(٢) ذكرها صاحب كتاب الأعلام (٣/ ٢٨٤)، وصاحب كتاب سير وتراجم ص(٢٠٣)، وصاحب معجم المؤلفين (٢/ ٦٥).

(٣) ذكرها صاحب كتاب سير وتراجم، ص(٢٠٤).

(٤) ذكرها صاحب كتاب سير وتراجم، ص(٢٠٤).

(٥) ذكره صاحب كتاب الأعرم (٣/ ٢٨٤)، وصاحب سير وتراجم ص(٢٠٤)، وصاحب معجم المؤلفين (٢/ ٦٥).

مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

وفاته:

وفي أثناء توليه منصب سفارة المملكة في باكستان أُصيب بمرض القلب فأشار عليه الأطباء بلزوم الراحة والإقامة في بلد بارد، وذلك في عام (١٣٧٤هـ) حيث طلب الإعفاء من الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ فأُعفي من العمل وأقام في دمشق إلىٰ أن توفي في يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر ربيع الأول عام (١٣٨١هـ) عن عمرٍ يناهز خمس وستون سنة[١].

(١) انظر: سير وتراجم ص(٣٠٢)، والأعلام (٣/ ٢٨٤)، ومعجم المؤلفين (٢/ ٦٥)، وجريدة البلاد، عدد (٧٤٩٢) ص(١١) يوم السبت ١٥ صفر (١٤٠٤هـ).

ترجمة الشيخ

محمد سلطان المعصومي

رحمه الله

١٢٩٧ - ١٣٨١هـ

اسمه ونسبه:

محمد سلطان بن أبي عبدالله محمد أورون بن محمد ميرسيد بن عبدالرحيم بن عبدالله بن عبدالصمد بن عبداللطيف بن محمد معصوم الخجندي[(١)].

مولده ونشأته:

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في بلدة خجندة عام (١٢٩٧هـ)، وربّاه والداه وعلّماه القراءة والخط، فقرأ كثيرًا من الكتب والرسائل باللغة الفارسية التي هي لغة أهل بلاده، ثم قرأ كثيرًا من الكتب باللغة التركية، ثم شرع في قراءة الكتب العربية فقرأ قواعد الصرف و النحو والبلاغة كرسالة العزي، وعوامل الجرماني، وكفاية ابن الحاجب، ثم توغل في دراسة كتب المنطق والفلسفة، كما هو سنة أهل العلم هناك حيث قرأ الشمسية وحاشيتها، وإشارات ابن سينا، وحكمة العين وشرحها، ثم قرأ كتب علم الكلام والعقائد مثل: العقيدة النسفية وشرحها، والعقيدة العضدية وشرحها، وجوهرة التوحيد، ومقاصد الكلام، والمواقف، والطحاوية، وغيرها[(٢)].

رحلته في طلب العلم:

وبعد أن حصلت له ملكة المطالعة وبلغ من العمر ثلاث وعشرون سنة وظهر له خطأ المقلدين عزم على السفر إلى بلاد الحجاز، حيث خرج من وطنه عام (١٣٢٣هـ) في شهر شوال حيث ركب القطار فمرّ على عدة بلاد حتى حط عصا الترحال في أم القرىٰ في اليوم الثامن من ذي الحجة من عام (١٣٢٣هـ)، وبعد قضاء الحج زار بعض علماء الحجاز وأخذ عنهم، ثم بعد ذلك عزم على الرحيل إلى بلاد الشام حيث

---

(١) مختصر ترجمة حال محمد سلطان المعصومي ص(٦٤).

(٢) المصدر نفسه ص(٦٥).

التقىٰ ببعض علمائها فأخذ عنهم، ثم توجه إلى دمشق فوجد فيها بعض بدع الصوفية وفرقها كالرفاعية والبطاحية فأنكر عليهم بدعهم، ثم توجه إلى بيروت والتقى ببعض علمائها، ثم رحل إلى بيت المقدس فزار المسجد الأقصىٰ وأقام فيه أيامًا، ثم انتقل إلى مصر فدخل القاهرة وأقام في جامع الأزهر في رواق السليماني والتقى بالشيخ محمد بخيت المطيعي والشيخ محمد رشيد رضا واشترك في مجلة المنار، واشترى جميع أعدادها ومؤلفات محمد عبده، كما اشترى ما طبع من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ثم قفل راجعًا إلى وطنه و أهله فمرّ في طريقه ببعض المدن حتى حطّ عصا الترحال في مدينته واشتغل بالتدريس في المدرسة التي أنشأها والده حيث انهمك في قراءة كتب ابن تيمية وابن القيم وابن عبدالبر ـ رحمهم الله[(١)] ـ.

محنته وصبره:

يحدّث المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن محنته فيقول: «وإذ كنا كذلك مشتغلين بما هنالك إذ حدث الانقلاب العظيم في الممالك الروسية بشؤم الحرب العالمية العمومية سنة (١٩١٧م) حيث أعلنوا الحرية والعدالة والمساواة، ورفعوا أعلامًا منقوشة فيها لا إله إلاَّ الله، ومكتوب تحتها: الحرية والعدل والمساواة، فأسسوا في البلاد مجالس ومحاكم وسموها شورى إسلامية، وانتخبوا أعضاءها من أفاضل البلاد وأعيانها حتى انتخبوني رئيسًا على تلك المجالس والمحاكم، وسافرت إلى موسكو غير مرّة للاشتراك في مجالس الشيوخ والمبعوثين، ومضىٰ على هذا تسعة أشهر، وبعده حدث النزاع بين الناس، وظهرت الاشتراكية والشيوعية واللادينية وكان زعيمها لينين وتلميذه استالين، وعاثوا في الأرض فسادًا فقتلوا الأمراء والعلماء وأصحاب الأموال والمعامل،

(١) المصدر السابق ص(٦٦ـ٦٧).

ونُهبت الأموال وصُودرت الأملاك وأُجري قانون الاشتراك، ورُفعت أعلام اللادينية، ونُشرت في الجرائد أن الشرع شرع الطبيعة فلا دين ولا إله فسجنوا من سجنوا من العلماء ونجا من نجّاه الله تعالى وفرّ إلى الممالك الخارجية، وأنا لمّا كنت متمسكًا بالدين مصرًّا على تعليم الناس دينهم حبستني وأنا في خجندة سنة (١٣٤٢هـ) وبعد شهرين نجاني الله بفضله، وفي سنة (١٣٤٤هـ) حبستني مرة ثانية وكانت تشدد عليّ في محافظتي على الدين ونجاني الله تعالى أيضًا، فتركت خجندة وهاجرت إلى مرغينان وأقمت هناك فاستقبلني أهلها وعينوني قاضيًا وخطيبًا في الجامع، وكانت الحكومة تراقبني مراقبة شديدة، فاستعفيت وتنحيت واعتزلت الناس لعدم إمكان الحكم بالحق».

وقد حصلت له بعض المناظرات مع الملاحدة في طاشقند حول إثبات وجود الله، ولما انتصر عليهم وقطع حجتهم وعاد إلى مرغينان من بلاد فرغانة هجم الملاحدة بعد يومين على داره وفتّشوا كل الأماكن فكشفوا عن المخازن المبلّطة، وصادروا كل ما فيها من الأموال التي نافت على عشرين ألف جنيه، وصادروا ما في المكتبة من كتب وحبسوه، ثم بعد أيام حكموا عليه بالإعدام رميًا بالرصاص إلاَّ أن الله نجّاه من كيدهم، وتمكن من الفرار إلى الصين التي مكث فيها بضع سنين، وفي شهر ذي الحجة من عام (١٣٥٢هـ) خرج من الصين متوجهًا إلى البيت الحرام فوصله في مستهل شهر ذي القعدة سنة (١٣٥٣هـ)[(١)].

مشايخه:

وبعد أن حصلت له مبادىء القراءة والعلوم لدى مشايخ بلده، ارتحل في طلب العلم فتتلمذ على عدد من المشايخ، منهم:

١ ـ عبدالجليل بن برّادة المدني.

---

(١) انظر: مختصر ترجمة حال محمد سلطان المعصومي ص(٦٤ : ٧٣).

٢ ـ محمد سعيد بابصيل الشافعي: كان مفتي الشافعية، ورئيس علماء الحرم المكي إبان حكومة الأشراف، وُلد بمكة، وتوفي بها عام (١٣٣٠هـ)[١].

٣ ـ شعيب بن عبدالرحمٰن المغربي الدكاني: وُلد عام (١٢٩٥هـ) في المغرب ونشأ بها، ثم ارتحل إلى مصر، ثم إلى مكة وذلك عام (١٣١٤هـ) فجلس للتدريس في زمن الأشراف وتزوج في مكة، وأقام بها إلى عام (١٣٢٩هـ)، ثم رحل إلى بلاده المغرب، وعُيّن وزيرًا للعدل فيها، وقدم مكة حاجًّا مرتين ثم عاد إلى المغرب بأسرته وظل فيها إلى أن توفي عام (١٣٥٦هـ)[٢].

٤ ـ أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي الشافعي: وُلد بالاسكندرية عام (١٢٥٢هـ)، وقدم مكة وعمره سبع سنوات فحفظ القرآن، وتلقى علومه عن جملة من علماء البلد الحرام، توفي عام (١٣٢٧هـ)[٣].

٥ ـ محمد صالح كمال: وُلد بمكة عام (١٢٦٣هـ) ونشأ بها، وحفظ القرآن وصلّى به التراويح، ثم شرع في طلبه للعلم فحفظ كثيرًا من المتون على والده، وفي عام (١٢٩٧هـ) تولىٰ قضاء جدة فظلّ به عامين ثم اعتذر ورجع إلى مكة، وفي عام (١٣٣٢هـ) انتقل إلى رحمة الله[٤].

٦ ـ محمد مراد بن عبدالله القازاني المكي الحنفي: من أهل بلدة قازان، وأقام في مكة أكثر من أربعين عامًا ودرّس في التفسير والحديث والفقه الحنفي، كان محدّثًا أديبًا ومؤرخًا، له كتاب الدرر

---

(١) انظر: سير وتراجم، ص(٢٧٧).

(٢) المصدر نفسه، ص(١٤٠).

(٣) المصدر السابق، ص(٦٠).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص(٢٦٤).

المكنونات النفيسة في تعريب المكتوبات الشريفة، وقبل الحرب العالمية سافر إلى روسيا وتوفي هناك عام (١٣٥٢هـ)[١].

٧ ـ عبدالحي الكتّاني الفاسي المالكي: كان طويل القامة أبيض اللون متوسط اللحية، وكان عالمًا محدّثًا أديبًا[٢].

٨ ـ أحمد بن إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي: كان إمامًا وخطيبًا بالمسجد النبوي عام (١٣٢٥هـ)، وكان جميل الصورة متوسط القامة أعمى البصر، وتوفي بالمدينة عام (١٣٢٨هـ)[٣].

٩ ـ الشيخ عبدالله القدّومي النابلسي: كان حنبلي المذهب متوسط القامة، مدور اللحية، عقد دروسه في المسجد النبوي عام (١٣٠٥هـ) في التفسير والحديث[٤].

١٠ ـ بدر الدين بن يوسف المغربي الأصل الدمشقي المسكن والوفاة: كان محدّثًا واعظًا فقيهًا، طويل القامة، المتوفى سنة (١٣٥٤هـ)[٥].

١١ ـ عبدالحليم القندهاري الأفغاني الأصل الدمشقي المسكن والوفاة الحنفي المذهب الصوفي المشرب: كان متوسط القامة أسمر اللون، توفي في دمشق عام (١٣٢٦هـ)[٦].

١٢ ـ محمد بخيت المطيعي الحنفي: كان مدرّسًا في الجامع الأزهر، ثم صار مفتيًا للأحناف فكان يميل إلى مذهب التأويل في

---

(١) انظر: مجلة الحج تحت عنوان «عرفت هؤلاء» لمحمد سلطان المعصومي الجزء السادس، ص(٣٥٤) من شهر ذي الحجة عام (١٣٧١هـ).

(٢) المصدر نفسه، وكذلك الصفحات.

(٣) مجلة الحج (١٠/ ٦٢٧، ٦٢٨) من شهر ربيع الثاني عام (١٣٧٢هـ).

(٤) المصدر نفسه (١٠/ ٦٢٩، ٦٣٠) من شهر ربيع الثاني عام (١٣٧٢هـ).

(٥) المصدر السابق (١/ ٤١) من السنة السابعة في شهر رجب عام (١٣٧٢هـ).

(٦) المصدر السابق (١/ ٤٢).

الصفات، توفي عام (١٣٥٤هـ)[١]

تلاميذه:

١ ـ محمد قاضي مخدوم.

٢ ـ عبدالقادر بن إبراهيم تركستاني:

تولى التدريس بالمسجد الحرام إلى عام (١٤٠٥هـ)، ثم أُعفي بسبب مرض القلب، وقد قام بترجمة مائة مسألة من كتاب (حبل الشرع المتين) إلى اللغة التركية، وقام بطباعته وتوزيعه، كما قام بكتابة ردّ على الملاحدة في تركيا ولكنه لم يزل بخط يده، ولازال الشيخ على قيد الحياة.

٣ ـ حافظ برهان: أحد مدرّسي المسجد الحرام حاليًا.

مراحل حياته:

مرّ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأطوار مختلفة نظرًا لاختلاف البيئة التي نشأ فيها وتربىٰ بينها، فقد مرّ بمراحل ثلاث، وهي كما يلي:

المرحلة الأولى: كان فيها نقشبنديًا حيث قال عن نفسه: «ولمّا كان عامة العلماء والمشايخ قائلين بلزوم البيعة على شيخ من مشايخ الطرق، وعاملين بها في عامة البلدان، وكنت أنا من جملتهم متوغلاً في مطالعة كتب التصوّف: كالعوارف للسهروردي، وقوت القلوب لأبي طالب المكي، وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، والمكتوبات للشيخ أحمد السرهندي، وكانت الطريقة النقشبندية من بين سائر الطرق أعدلها وأقومها حسب دعوىٰ أهلها، وأنها مبنية على اتباع الكتاب والسُّنَّة وإجماع أهل السُّنَّة والجماعة مع اجتناب البدع. . .» إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فبناءً على تلك المقالات الحقّة التي زخرفوا بها طريقتهم دخلت في هذه الطريقة، وبايعت على يد الشيخ محمد معصوم فعلمني

(١) المصدر السابق (٣/ ١٨٥) من شهر رمضان عام (١٣٧٢هـ).

كيفية السلوك، وأمرني بالذكر بتكرار الاسم المفرد اسم الذات «الله» لاصقاً اللسان بالحنك الأعلى متوجهًا إلى القلب. . .» إلىٰ أن قال: «ثم فتح الله عليَّ بعلم القرآن، وبعلم السُّنَّة وما عمله الخلفاء الراشدون فاستعنت بالله وطالعت تفاسير الأئمة الكرام»[١].

المرحلة الثانية: كان فيها ماتريديًّا حيث قال عن نفسه في آخر كتاب «العقود الدرية السلطانية»: «الماتريدي، الحنفي، النقشبندي»[٢]. كما تتضح هذه المرحلة في ثنايا بعض المسائل التي ذكرها في كتاب (حبل الشرع المتين).

المرحلة الثالثة: وهي التي رجع فيها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى مذهب أهل السُّنَّة والجماعة كما يتضح ذلك من كتبه التي صنفها في هذه المرحلة أمثال: «البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع» و«مفتاح الجنة لا إله إلاَّ الله» و«حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميّت المدد» و«المشاهدات المعصومية عند قبر خير البريّة».

وقد أثنىٰ على مؤلفاته التي رجع فيها إلى مذهب السلف كثير من علماء البلد الحرام منهم: الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، والشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع، والشيخ محمد إبراهيم آل الشيخ، والشيخ محمد عبدالظاهر أبوالسمح، والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة.

مؤلفاتــه:

لقد ترك الشيخ محمد المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ تراثًا علميًّا وافرًا، حيث ترك أكثرمن تسعين مصنفًا مابين كتاب ورسالة صغيرة، نذكر منها مايلي:

١ ـ حبل الشرع المتين وعروة الدين المبين:

وقد صنَّف هذا الكتاب في بداية حياته في مدينة خجندة وفرغ من

---

(١) انظر: مختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص(٥٥، ٥٦) لمحمد سلطان المعصومي.

(٢) العقود الدرّية السلطانية فيما ينسب إلى الأيام النيروزية، ص(٨٢) للمعصومي.

تأليفه عام (١٣٣٠هـ)، وهو عبارة عن قسمين:

القسم الأول: في أصول الدين حيث تعرّض لذكر مسائل العقيدة، وهو عبارة عن خمسمائة مسألة.

القسم الثاني: ما يتعلق بالمسائل الفقهية، وهو عبارة عن خمسمائة مسألة.

ويعتبر هذا الكتاب من أول كتبه المصنفة، حيث يلاحظ على هذا الكتاب بعض الملاحظات، وهي كما يلي:

١ ـ تقرير مذهب المتكلمين في أول واجب، حيث قال: «إن النظر في معرفة الله تعالى واجب. وهو أول ما يجب على المكلف، فبه تحصل المعرفة»[١]. وكان هذا في أول حياته حيث نجد أنه رجع عنه، وذلك في رسالته مفتاح الجنة حيث قال: «ولا شك أن أول ما فرض الله تعالى على عباده الإيمان بالله والكفر بالطاغوت»[٢].

٢ ـ موافقة المتكلمين في قولهم أن الصفات زائدة على الذات حيث قال: «إن لله تعالى صفاتٍ أزليّة أبديّة زائدة على ذاته تعالى، وقائمة به، وهي: لا هو ولا غيره»[٣]. وهذه الإطلاقات ليست من إطلاقات السلف، بل معتقدهم إثبات صفات الله ـ عز وجل ـ على ما يليق به.

ولعل الشيخ تراجع عن ذلك حيث أشار إلى ذلك بقوله: «أنه كتب عليه شرحًا ـ أي على حبل الشرع المتين ـ بيّن فيه بعض المسائل التي اعترض عليه فيها» سمّاه إتحاف الإخوة المؤمنين في شرح حبل الشرع المتين»[٤].

---

(١) حبل الشرع المتين، ص(٢٨).
(٢) مفتاح الجنة، ص(٤٣).
(٣) حبل الشرع المتين، ص(٢٨).
(٤) مجلة الحج (١٢/٧٩٧) ١٦ جمادى الثانية عام (١٣٧٧هـ).

كما نجد أن الشيخ أثبت كثيرًا من الصفات على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة حيث قال: «وأخص الله تعالى الخالق رب العالمين جل جلاله بما يليق به من صفات الألوهية من القدرة والكمال كما هو معتقد مذهب أهل السُّنَّة والجماعة والسلف الصالحين»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن لله تعالى وجهًا، وهو صفة لله تعالى بلا كيفية ولا تشبيه، وما قيل أن المراد منه ذات الله تعالى فهو تأويل للنص وإخراج عن ظاهره، وذا باطل بلا مرية»(٢).

وهذا الكتاب مطبوع في المطبعة السلفية، ويقع في ثلاث وأربعين ومائتي صفحة.

٢ ـ أجوبة المسائل الثمان:

وهو عبارة عن مسائل سُئل عنها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن طريق أحد تلاميذه، وهذه المسائل هي:

المسألة الأولى: عبارة عن سؤال عن مسألة الاستواء.

المسألة الثانية: عبارة عن سؤال حول شفاعة النبي ﷺ.

المسألة الثالثة: عبارة عن سؤال حول الخروج من مكة إلى التنعيم من أجل العمرة.

المسألة الرابعة: عبارة عن سؤال حول زيارة القبور.

المسألة الخامسة: عبارة عن سؤال حول نبوة آدم عليه السلام.

المسألة السادسة: عبارة عن سؤال حول حكم قراءة دلائل الخيرات.

المسألة السابعة: عبارة عن سؤال حول المسح على الشُّرَّاب.

المسألة الثامنة: عبارة عن سؤال حول حكم المصافحة بيد واحدة.

وقد سأله تلميذه محمد حسن جنزي شنوي الصيني حينما سمع

---

(١) حكم الله الواحد الصمد، ص(٣٢).

(٢) حبل الشرع المتين، ص(٤٤).

بعض البخاريين والصينيين يشنّعون على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه بسبب هذه المسائل، فأجاب الشيخ عن هذه المسائل بهذه الرسالة.

وهي مطبوعة طبعتين، طبعة قديمة طُبعت في المطبعة السلفية، وتقع في تسع وثلاثين صفحة، وطبعة أخرى طُبعت في دار الراية عام (١٤١٧هـ) بتحقيق علي بن حسن بن علي بن عبدالحميد، وتقع في أربع وثلاثين ومائة صفحة.

٣ ـ **حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد:**

وهو عبارة عن جواب على رسائل أرسلها له بعض طلبة العلم في دلهي تتضمن بيان حال كتب قام بنشرها محمود خان الطرازي، وهذه الكتب هي: «آه مهجوران وداد مظلومان»، و«أنّة مهجور ونفثة مصدور»، و«دليل المهاجرين» فطالعها الشيخ من أولها إلى آخرها، ثم قام بتحرير هذا الكتاب جوابًا عليها، أبان فيه حكم الاستغاثة بالميت والغائب، والاستمداد من أرواح الأموات والمزارات وأصحاب الضرائح.

وهو مطبوع طبعتين: الطبعة الأولى بمطبعة عيسى البابي الحلبي، وتقع في أربعين صفحة، والطبعة الثانية بدار العاصمة في (٨٦)صفحة.

٤ ـ **المشاهدات المعصومة عند قبر خير البريّة:**

وهو عبارة عن مشاهدات الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ للانحرافات والمخالفات التي رآها تقع عند قبر النبي ﷺ فكتب هذه الرسالة وبيّن فيها حال تلك الانحرافات، وأنها مناقضة للنقل الصحيح والعقل الصريح.

وقد طُبعت هذه الرسالة طبعتين في حياة المؤلف: الأولى في مصر، والثانية في باكستان وهي طبعة حجريّة، كما قامت الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بنشرها وتوزيعها، وأخيرًا طُبعت هذه الرسالة بدار العاصمة بتحقيق محمد بن عبدالرحمن الخميس

وتقع في ست وثمانين صفحة، وأما أصلها فيقع في ثمان وأربعين صفحة.

٥ ـ البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع:

وهو عبارة عن بيان حال التابعين والمتبوعين يوم القيامة، كما بيّن أن المتبوعين على قسمين: أهل حق وأهل ضلال.

وقد طُبعت هذه الرسالة طبعتين: الأولى على نفقة المؤلف، وتقع في ثنتي وخمسين صفحة، وقامت بطباعتها دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي، والطبعة الثانية في مطبعة دار الراية بتحقيق عبدالملك شاكر، وتقع في ثمان وتسعين صفحة.

٦ ـ هل المسلم ملزم باتباع مذهب معيّن من المذاهب الأربعة:

وهي عبارة عن جواب على سؤال ورد على الشيخ من مسلمي بلاد اليابان حاصله:

ما حقيقة دين الإسلام؟ ثم ما معنى المذهب؟ وهل يلزم من تشرّف بدين الإسلام أن يتمذهب على أحد المذاهب الأربعة أي يكون مالكيًّا، أو حنفيًّا، أو شافعيًّا، أو حنبليًّا أو لا يلزم؟

فأجاب الشيخ بهذه الرسالة حيث أبان فيها شؤم التقليد والمقلّدين، وأن الواجب اتباعه هو الكتاب والسُّنَّة، كما أبان منزلة الأئمة الأربعة، وأنهم سائرون على هدي الكتاب والسُّنَّة.

وقد طُبعت هذه الرسالة بعنوانها الأصلي: «هدية السلطان لمسلمي بلاد اليابان» قام بطبعها الأستاذ/ محمد عيد عباسي، كما قام الأستاذ/ محمود مهدي الاستانبولي بإعادة طباعتها عام (١٣٩٨هـ) في دار المعرفة بدمشق، وقامت الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بتوزيعها، كما طُبعت بتحقيق سليم الهلالي بالمكتبة الإسلامية، وتقع في ثلاث عشرة ومائة صفحة، وقبل ذلك كله طبعت في عصر المؤلف.

٧ ـ **تمييز المحظوظين عن المحرومين:**

وهو عبارة عن تفسير آيات الخطابات الإلهية التي خاطب الله بها عباده، وقد قسمه إلى قسمين:

الأول: ما كان خطابًا للناس عامة.

الثاني: ما كان خطابًا للمؤمنين خاصة.

ثم ذيّله بالأحاديث التي تحث على فهم الكتاب والسُّنَّة، والعمل بموجبهما، ثم ذكر أقوال الصحابة والتابعين في الحث على فهم معاني القرآن الكريم، كما ذكر أقوال العلماء المحققين في الحضّ على ذلك.

وهذا الكتاب مطبوع طبعتين:

الطبعة الأولى: طبعت على نفقة المؤلف عام (١٣٦٨هـ) بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وتقع في إحدى وثلاثين ومائتي صفحة.

والطبعة الثانية: بتحقيق علي حسن عبدالحميد، وقد قامت دار ابن الجوزي بطباعتها عام (١٤١٢هـ)، وتقع في ست وثمانين وثلاثمائة صفحة.

٨ ـ **مفتاح الجنة لا إله إلاَّ الله، أو مفتاح دار السلام:**

وهو عبارة عن شرح وافٍ لمعنى لا إله إلاَّ الله، وشروطها، وما ينافيها، والمنفي والمثبت منها.

وقد طُبعت مرتين:

الأولى: في عصر المؤلف.

والثانية: طُبعت بتحقيق علي حسن عبدالحميد في المكتبة الإسلامية، وتقع في تسعين صفحة.

٩ ـ **أوضح البرهان في تفسير أم القرى:**

وهو عبارة عن تفسير شامل لسورة الفاتحة أبان فيه فضائلها ومعناها، كما أوضح فيه أنواع التوحيد الثلاث، وحكم الاستغاثة

بالأموات، ومعنى العبادة، وحكم البناء على القبور، والشرك وأنواعه، والنفاق وأنواعه، وأخيرًا ختمه ببيان صفات المؤمنين الموحدين، وصفات أهل الضلال.

وهو مطبوع على نفقة الملك عبدالعزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ عام (١٣٥٧هـ) في مطبعة أم القرى، ويقع في ثلاث عشرة وأربعمائة صفحة.

١٠ ـ تنبيه النبلاء من العلماء إلى قول حامد الفقي إن الملائكة غير عقلاء:

وهو عبارة عن ردّ على مقالات نشرها محمد حامد الفقي حول عدم اتصاف الملائكة بالعقل.

فقام الشيخ بالردّ على تلك المقالات، أبان فيها باتصاف الملائكة بالعقل مدلّلاً على ذلك من الكتاب والسنة والعقل الصحيح.

وهو مطبوع على نفقة المؤلف عام (١٣٧٤هـ) بالمطبعة السلفية، ويقع في ثلاث وخمسين صفحة، معه مقالات أخرى حول هذه المسألة للمؤلف نفسه.

١١ ـ تحفة السلطان في وتر رمضان:

ألّفها الشيخ حينما شاهد ما في المسجد الحرام من خلاف واختلاف بين الأحناف في مسألة صلاة الوتر هل تصلّى بتسليم واحد أم لابد الفصل بينها بسلامين، فأبان الشيخ في هذه الرسالة أن كلا الصورتين صحيح، وذكر الأدلة المؤيدة من السُّنَّة النبوية للصورتين.

وهو مطبوع على نفقة الملك عبدالعزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ عام (١٣٥٧هـ)، وقد طبع في مطبعة أم القرى، ويقع في تسع وسبعين صفحة.

١٢ ـ **القول السديد في تفسير سورة الحديد:**
وهو تفسير شامل لسورة الحديد.
وهو مطبوع باللغة التركية الأوزبكيّة، وقد طبع بالمطبعة السلفية عام (١٣٧٤هـ).

١٣ ـ **تحفة الخواص في تفسير معنى آية الكرسي والإخلاص:**
وهو عبارة عن تفسير لآية الكرسي وسورة الإخلاص.
وهو مطبوع باللغة التركية الأوزبكية، وقد طُبع بالمطبعة السلفية عام (١٣٧٤هـ).
وقد قام بطبع هذا الكتاب والذي قبله تلاميذه المهاجرون المقيمون في بلد الله الحرام.

١٤ ـ **العقود الدرية فيما ينسب إلى الأيام النيروزية:**
وقد ألّفه الشيخ رحمه الله حينما رجع من الحرمين إلى بلده ورأى فيها ما رأى من البدع والمنكرات، أبان فيه حكم أفعال أيام النيروز، ومعنى النيروز ووقته، وبعض البدع التي اعتادها العوام والخواص في أمثال هذه الأيام وغيرها.
وقد طُبع مرتين:
الأولى: في دار الكتب العربية بمصر عام (١٣٢٨هـ)، ويقع في ثلاثين صفحة من القطع المتوسط.
الثانية: في دار ابن حزم عام (١٤١٨هـ) بتحقيق محمد خير رمضان يوسف، ويقع في إحدى عشر ومائة صفحة.

١٥ ـ **رفع الالتباس في أمر الخضر وإلياس:**
وهو عبارة عن ردّ على ما قام بنشره محمد طاهر الكردي حول التقاء الخِضر وإلياس في العام مرة واحدة، فأبان الشيخ في هذا الردّ حال الأحاديث التي يستدلون بها في هذه المسألة، كما أبان الأحاديث المبيّنة على وفاتهما عليهما السلام، ونقل كلام أهل

العلم في هذه المسألة.

وهو عبارة عن مقال نُشر في مجلة الحج عام (١٣٨٠هـ)، وقد كتبه الشيخ في مكة، وعرضه على الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ فوافقه عليه.

١٦ ـ الأمن في الإيمان والسلم في الإسلام:

أبان فيه معنى الإسلام والإيمان، والفرق بينهما، وقد نُشر مختصرًا في مجلة الحج في شهر شعبان عام (١٣٧٤هـ)، ويقع في أربع صفحات ص(٩٠ : ٩٣).

١٧ ـ إتحاف المؤمنين في شرح حبل الشرع المتين:

وهو عبارة عن سبع وعشرين مجلدًا، أبان فيها منشأ كل مسألة ومأخذها من كتب أهل العلم.

وهذا الكتاب مفقود لا يُعلم عنه شيء.

١٨ ـ النصائح الإيمانية والدرر السلطانية.

١٩ ـ فشو الظلام من موافقة العلماء للعوام:

ألّفه لبيان ضرر تساهل العلماء ومداهنتهم للعوام.

٢٠ ـ إرشاد الأمة الإسلامية في التحذير من مدارس النصرانية.

٢١ ـ سيف الأدب فيمن غير النسب.

٢٢ ـ التحفة الدرية في البدع العصرية.

٢٣ ـ إبطال التشديد في مسألة التقليد.

٢٤ ـ رسالة منشأ التكايا والزوايا والأربطة في الممالك الإسلامية.

٢٥ ـ الأجوبة المعصومية في المسائل الشرعية.

٢٦ ـ الهدية المعصومية في المناسك النبوية.

٢٧ ـ السيف الصارم السلطاني لقطع عنق البولشوفيك.

٢٨ ـ أسامي البلدان من تحرير السلطان (في الجغرافيا).

٢٩ ـ اللآليء الغالية في الرحلة الحجازية.

٣٠ ـ الدرر الفاخرة في الآثار الخالية.
٣١ ـ بيان المقام في دار الحرب ودار الإسلام.
٣٢ ـ إيضاح أمر المكينة في ذبح الشياه دفعة بتسمية واحدة.
٣٣ ـ الواقعات السلطانية والأجوبة الخجندية.
٣٤ ـ هداية المستفتين في أجرة القضاة والمفتين.
٣٥ ـ السيف الصارم الحتوف في تخطئة موسىٰ بيكيوف.
٣٦ ـ تنبيه الوسنان في ترميم الأسنان.
٣٧ ـ إنباء النبيين في بيان حدوث الاشتراكيين وفرقهم.
٣٨ ـ المكاشفة عن حالات البلاشفة.
٣٩ ـ البرهان والسلطان في الحكايات والعرفان.
٤٠ـ رحلة السلطان في الأماكن والبلدان، ومن لاقاه وصاحبه أولي الفضل والعرفان.
٤١ ـ رسالة في بيان يأجوج ومأجوج، طبع مختصرها في مجلة الحج بمكة.
٤٢ ـ السهام المعصومية في نحور الشيوعية.
٤٣ ـ أعمال أهل الجنة وصفاتهم.
٤٤ ـ الفرقة الناجية والمذاهب.
٤٥ ـ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.

وغيرها من الكتب التي ذكرها أحد أبنائه في آخر كتاب (عقد الجوهر الثمين في تكملة حبل الشرع المتين)، حيث أوصلها إلى أربعة وتسعين مؤلّفًا، ولم أطلع إلاّ على القليل منها.

وفاته:

وبعد أذان المغرب من يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء السابع من شهر جمادىٰ الأولى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية، انتقل الشيخ إلى رحمة الله، وذلك على إثر مرض ألمَّ به أدخل على إثره مستشفى

الملك عبدالعزيز بالزاهر، وصُلي عليه بعد صلاة الفجر من اليوم التالية لوفاته، وصلى عليه الشيخ عبدالمهيمن أبوالسمح، وكان ذلك اليوم يومًا مشهودًا، ودُفن في مقبرة المعلاة بمكة[1].

---

(١) انظر: جريدة الندوة عدد (٨٤٥) في ١٣٨١/٥/٩هـ، ومذكرات ابنته عائشة المعصومي، حررتها في يوم ١٣٨١/٥/١٠هـ.

ترجمة الشيخ
عبدالوهاب الدهلوي
رحمه الله

١٣١٥ ـ ١٣٨١هـ

اسمه ونسبه:

عبدالوهاب بن عبدالجبار بن علي خان الدهلوي[(١)].

نبذة عن حياته:

وُلد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام (١٣١٥هـ)، وكان من العلماء السلفيين في البلد الحرام، اشتهر بكتاباته في مجلة الحج حيث كتب أكثر من أحد عشر مقالاً تحت عنوان: «استفدت من هؤلاء» ذكر فيها العلماء الذين استفاد من كتاباتهم من خلال مطالعاته، حيث كان يذكر كل عالم ثم يذكر الكتب التي استفاد منها لهذا العالم ويبيّن مذهب هذا العالم إن كان من السلف أو من الصوفية أو غيرهم.

وفاته:

في يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي الحجة من عام (١٣٨١هـ) توفي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث كتبت عنه مجلة الحج في عددها الصادر في ١٩/ ذي الحجة عام ١٣٨١هـ قائلة: لقد توفي أحد أعلام هذا البلد الشيخ: عبدالوهاب الدهلوي العالم السلفي الضليع والباحث المؤرخ المعروف، وقد شُيعت جنازته بعد عشاء ذلك اليوم حيث صلى عليه بالمسجد الحرام.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ فريدًا في أخلاقه، كما كان فريدًا في طلبه للعلم والعكوف عليه في سعة اطلاعه واستقلال فكره[(٢)].

---

(١) نشر الرياحين (١/ ٤١٨).

(٢) مجلة الحج، العدد الصادر في ١٩ ذي الحجة من عام ١٣٨١هـ.

ترجمة الشيخ

محمد بن عبدالعزيز بن مانع

رحمه الله

١٣٠٠ ـ ١٣٨٥هـ

اسـمه ونسـبه:

محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن مانع بن إبراهيم بن حمدان بن محمد بن مانع بن شبرمة(١) .

مولده ونشأته:

وُلد رَحِمَهُ اللَّهُ في مدينة عنيزة عام (١٣٠٠هـ)، وربّاه والده تربية حسنة حيث أدخله وهو في السابعة من عمره عند الكتّاب ليتعلّم القرآن، وكان والده مريضًا إذ ذاك فتُوفي وله من العمر تسع سنين فتولّىٰ رعايته عمه عبدالله فقرأ القرآن وجوّده، ثم اشتغل بطلب العلم فقرأ مختصرات العلوم الشرعية والعربية ككتاب التوحيد، ودليل الطالب، وبلوغ المرام، ثم سافر إلىٰ بغداد للاستزادة من العلم فقرأ على علمائها النحو والصرف، والفقه، والفرائض، وغير ذلك، ثم سافر إلى دمشق فقرأ على علمائها في الحديث، ثم عاد إلى العراق ولازم مشايخه، وكان يزور القصيم والحجاز ويقرأ على علمائهما(٢) .

صفاتـه:

كان نبيهًا مفرط الذكاء، ولديه موهبة، وكان قوي البديهة سريع الحفظ، وكان قصير القامة قمحي اللون، خفيف الشعر، طلق الوجه، حسن الخلق، نديمًا للجليس(٣) .

مشايخه:

١ ـ الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم .

٢ ـ الشيخ عبدالله بن عايض .

٣ ـ الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر .

---

(١) انظر: روضة الناظرين (٢/٣١٢)، علماء نجد (٦/ ١٠٠)، الأعلام (٦/ ٢٠٩).

(٢) علماء نجد (٦/ ١٠٢)، الأعلام (٦/ ٢٠٩).

(٣) روضة الناظرين (٢/٣١٨).

٤ ـ الشيخ صالح العثمان القاضي.
٥ ـ الشيخ عبدالله بن محمد بن دخيل.
٦ ـ الشيخ محمود شكري الألوسي.
٧ ـ الشيخ على نعمان الألوسي.
٨ ـ الشيخ محمد الذهبي.
٩ ـ الشيخ جمال الدين القاسمي.
١٠ ـ الشيخ عبدالرزاق البيطار.
١١ ـ الشيخ بدر الدين الحسيني الأزهري.
١٢ ـ الشيخ عبدالوهاب أفندي.
١٣ ـ الشيخ عبدالرزاق الأعظمي البغدادي.
١٤ ـ الشيخ يحيى بن قاسم الأثري[١].
١٥ ـ محمد بن عوجان.

أعماله:

١ ـ في عام (١٣٣٤هـ) عينه حاكم قطر قاضيًا فيها، وولاه التدريس والخطابة.

٢ ـ وفي عام (١٣٥٨هـ) طلبه الملك عبدالعزيز وعينه مدرسًا بالمسجد الحرام والمدارس الحكومية، ثم عينه رئيسًا لهيئة التمييز وهيئة الأمر بالمعروف وهيئة الوعظ والإرشاد.

٣ ـ وفي عام (١٣٦٥هـ) عُيّن مديرًا عامًا للمعارف، ثم أسند إليه رئاسة دار التوحيد.

٤ ـ وفي عام (١٣٧٤هـ) طلبه حاكم قطر وصار مشرفًا على سير التعليم فيها[٢].

---

(١) انظر: روضة الناظرين (٢/٣١٣، ٣١٤)، علماء نجد (٦/١٠٤)، الأعلام (٦/٢٠٩).

(٢) علماء نجد (٦/١٠٥، ١٠٦، ١٠٧).

تلاميذه:

وقد تتلمذ عليه جمع من طلاب العلم من أشهرهم:

١ - عبدالرحمن بن ناصر السعدي.

٢ - عثمان بن صالح القاضي.

٣ - محمد بن عبدالله آل مانع.

٤ - عبدالله بن عمر الدهيش.

٥ - فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك.

٦ - علي بن محمد الهندي.

٧ - عبدالرحمٰن الشعلان.

٨ - عبدالله الأنصاري.

٩ - عبدالعزيز بن حسن آل الشيخ.

١٠ - عبدالعزيز بن محمد بن مانع.

وغيرهم كثير[١].

مؤلفاتـه:

١ - الكواكب الدرية في شرح الدرة المضيئة في عقد أهل الفرقة المرضية:

وهو عبارة عن تعليق على منظومة السفاريني في العقيدة، حيث علّق عليها تعليقًا مختصرًا أبان فيها بعض المسائل العقدية موضحًا لها بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة.

وهو مطبوع على نفقة الشيخ محمد نصيف في مطبعة المدني، يقع في ثنتي وثلاثين ومائة صفحة.

٢ - حاشية عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة (العقيدة الطحاوية):

وهي عبارة عن تعليق على العقيدة الطحاوية أبان فيها منهج أهل السُّنَّة والجماعة، وذكر بعض المآخذ على صاحب المتن.

---

(١) علماء نجد (٦/١٠٩، ١١٠، ١١١).

وهي مطبوعة في مكتبة الرياض الحديثة، تقع في أربع وأربعين صفحة.

٣ ـ حاشية العقيدة الواسطية:

وهي عبارة عن تعليقات لطيفة وطفيفة على العقيدة الواسطية.

وهي مطبوعة تقع في ثلاثين صفحة.

٤ ـ القول السديد فيما يجب لله تعالىٰ على العبيد:

وهو عبارة عن رسالة صغيرة على طريقة السؤال والجواب حول الأصول الثلاثة وما يتعلق بها من مسائل.

وهي مطبوعة تقع في أربع عشرة صفحة.

٥ ـ حاشية على عمدة الفقه.

٦ ـ حاشية على دليل الطالب.

٧ ـ رسالة في آداب البحث والمناظرة.

٨ ـ تحديق النظر في أخبار المهدي المنتظر.

٩ ـ كشف الغطا عما في إعلام الورى من الخطا.

١٠ ـ إرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والآداب.

١١ ـ إقامة البرهان على تحريم الأجرة في تلاوة القرآن.

١٢ ـ سبل الهدى في شرح شواهد شرح قطر الندىٰ.

١٣ ـ مختصر عنوان المجد في تاريخ نجد[١].

وفاتـه:

لقد أُصيب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدة أمراض، وسافر للقاهرة عام (١٣٦٣هـ) وشفاه الله من تلك الأمراض، وفي عام (١٣٨٥هـ) أصيب بمرض البروستات فأجريت له عملية بأحد مستشفيات بيروت فأخذت صحته في التأخر حتى وافاه الأجل قبيل الفجر من يوم السبت الثاني عشر

---

(١) انظر: روضة الناظرين (٢/٣١٧)، علماء نجد (٦/١١١، ١١٢)، الأعلام (٦/٢٠٩).

من شهر رجب من عام (١٣٨٥هـ) في بيروت، ونُقل جثمانه إلى قطر، وصُلّي عليه فيها، ودُفن بها ـ رحمه الله تعالى[1] ـ.

(١) علماء نجد (٦/١١٢).

ترجمة الشيخ

عبدالرحمن بن يحيى المعلمي

رحمه الله

١٣١٣ ـ ١٣٨٦هـ

اسمه ونسبه:

عبدالرحمن بن يحيىٰ بن علي بن محمد المعلمي العتمي[(١)(٢)].

مولده ونشأته:

وُلد رحمه الله في قرية المحاقرة من بلاد عَزلة من ناحية عُتمة عام (١٣١٣هـ)، ونشأ في بيئة صالحة متدينة، ورباه والداه تربية حسنة[(٣)].

طلبه للعلم:

قرأ القرآن على والده وعلى رجل من عشيرته قراءة متقنة مجوّدة، ثم سافر إلىٰ الحجرية وأُدخل في مدرسة حكومية درس فيها القرآن والتجويد والحساب، ثم اتجه بعد ذلك إلىٰ علم النحو فقرأ شيئًا من شرح الكفراوي على الآجرمية، كما طالع (المغني) لابن هشام، ثم ذهب إلىٰ بلدة «الطِّفن» فقرأ على الشيخ أحمد بن محمد المعلمي في الفقه والفرائض والنحو، ثم رجع إلى بيت الريمي فقرأ بعض الكتب، كما قرأ المقامات للحريري وبعض كتب الأدب وأولع بالشعر فقرضه[(٤)].

أعمالـه:

١ ـ في عام (١٣٣٦هـ) ولّاه الإدريسي رئاسة القضاء في عسير.

٢ ـ وفي عام (١٣٤١هـ) عُيّن مصححًا للكتب في دائرة المعارف بحيدر

---

(١) عتمه: مضموم: حصن في جبال وصاب من أعمال زبيد، انظر: معجم البلدان (٤/ ٨٢) لياقوت الحموي.

(٢) انظر: مجلة الحج (١٦) ربيع الثاني (١٣٨٦هـ) ص(٦١٧)، ومقدمة التنكيل (١/ ٣).

(٣) استفدت الترجمة من مجلة الحج (١٠، ١٦) ربيع الثاني (١٣٨٦هـ)، ومقدمة التنكيل بقلم عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المعلمي وكتاب (الشيخ عبدالرحمن المعلمي وجهوده في السنة) والأعلام (٣/ ٣٤٢).

(٤) المصادر نفسها.

أباد، فمكث فيها قرابة ثلاثين عامًا.

٣ ـ وفي عام (١٣٧١هـ) عُيّن أميناً بمكتبة الحرم المكي، فظل بها منكبًّا على قراءة الكتب إلىٰ أن تُوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)].

مشايخه:

١ ـ يحيى بن علي «والده» حيث قرأ عليه القرآن وجوده.

٢ ـ أحمد بن مصلح الريمي، فقد كانت له معه مذاكرات في كتب النحو.

٣ ـ أحمد بن محمد بن سليمان المعلمي، قرأ عليه في الفقه والفرائض والنحو.

٤ ـ عبدالقادر بن محمد الصديقي القادري، حيث أخذ منه بعض الإجازات أثناء إقامته في حيدر أباد.

٥ ـ سالم بن عبدالرحمن باصهي، حيث ذكره الشيخ في رسالة ردّه على رجل حلولي.

آثـاره:

تنقسم آثاره إلى أقسام:

أولًا: مؤلفاته: وهي الكتب التي قام بتأليفها ومنها:

١ ـ التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل:

وهو عبارة عن ردّ على محمد زاهد الكوثري في تعقّبه للإمام الخطيب البغدادي في ترجمة الإمام أبي حنيفة، أبان فيه كلام الرجل ومطاعنه في الصحابة والتابعين والأئمة الثلاثة وكبار أئمة الحديث، وقد رتّبه المؤلف على أربعة أقسام:

الأول: في تحرير القواعد التي خلط فيها الكوثري في علم

---

(١) انظر: مقدمة التنكيل (١/ ٦، ٧، ٨)، وجهود المعلمي في السُّنَّة، ص(٢٥ : ٨٦)، وبلوغ الأماني من كلام المعلمي اليماني لإسلام ابن محمود النجار ص(٢٣ : ٣٢)، والأعلام (٣/ ٣٤٢).

الحديث.

الثاني: في تراجم الأئمة الذين تكلّم فيهم الكوثري، حيث حاول الدفاع عنهم وترجم لهم.

الثالث: بعض المسائل الفقهية التي تعرّض لها الكوثري، والنظر فيها.

الرابع: بيان عقيدة السلف التي طعن الكوثري فيها، وبعض المسائل التي تعرض لها.

وهو مطبوع يقع في جزئين، طبع دار الكتب السلفية.

٢ ـ **طليعة التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل**:

وهو عبارة عن مغالطات الكوثري في كتابه «التأنيب».

وهو مطبوع مع التنكيل يقع في ست وستين صفحة.

٣ ـ **القائد إلى تصحيح العقائد**:

وهو عبارة عن جزء من التنكيل ذكر فيه عقيدة السلف، وبعض المسائل التي تعرّض لها الكوثري بالنقد، وغرضه رَحِمَهُ اللَّهُ بيان عقيدة السلف.

وهو مطبوع بتحقيق الشيخ محمد ناصر الألباني، طبع المكتب الإسلامي يقع في ثنتي وسبعين ومائتي صفحة.

٤ ـ **الأنوار الكاشفة لما في كتاب (أضواء على السُّنَّة) من الزلل والتضليل والمجازفة**:

وهو عبارة عن ردّ على كتاب أبي رية «أضواء على السُّنَّة المحمدية».

وهو مطبوع بمطبعة المكتب الإسلامي يقع في عشرين وثلاثمائة صفحة.

٥ ـ **علم الرجال**:

وهو عبارة عن محاضرة ألقاها في دائرة المعارف العثمانية بحيدر

أباد بالهند عام (١٣٥٧هـ)، أبان فيها شرف علم الرجال وأهميته وتاريخه، كما بيّن بعض طرق الأئمة في اختيار الرواة.

وهو مطبوع في دار البصائر بدمشق.

٦ ـ مقام إبراهيم عليه السلام هل يجوز تأخيره عن موضعه عند الحاجة لتوسيع المطاف.

وهو مطبوع بتحقيق علي بن حسن عبدالحميد في مطبعة دار الراية يقع في مائة صفحة.

٧ ـ العبـــادة:

ذكره الشيخ رحمه الله في سبعة مواضع من كتاب «القائد إلى إصلاح العقائد». وهو عبارة عن بيان شامل لمفهوم العبادة وما يخالفها.

وهو مخطوط يقع في مجلد كبير، عدد صفحاته (٤٤٠) صفحة، وعليه حواشٍ كثيرة، وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة (٢٣) سطرًا، وعدد الكلمات في السطر (١٦) كلمة، وخطّه في بعض الصفحات جيّد وفي بعضها الآخر لا بأس به، غير أن الكتاب غير منظّم، وفيه بعض الكشط.

٨ ـ حقيقة التأويل:

وهو عبارة عن رسالة في بيان حقيقة التأويل، وتمييز الحق منه والباطل، وقد قسّمه إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في معنى التأويل.

الباب الثاني: في الصدق والكذب.

الباب الثالث: في حكم التأويل.

وهي مخطوطة تقع في (٤٧) صفحة في كل صفحة (١٦) سطرًا في كل سطر (١٠) كلمات[1].

---

(١) يوجد منه نسخة عند الشيخ «منصور بن عبدالعزيز السماري» المدرس بقسم السُّنَّة بالجامعة الإسلامية.

٩ ـ الردّ على المتصوفة القائلين بوحدة الوجود:

وهو عبارة عن رسالة في الرد على حسن الضالعي من أهل صبيا كان يتظاهر بالحلول والاتحاد، قسّمه إلى:

١ ـ **مقدمة**: أبان فيها سبب التأليف.

٢ ـ **الفصل الأول**: في وحدة الوجود، وبيان عقائد أئمة الصوفية.

٣ ـ **الفصل الثاني**: في الأدلة المناقضة لهذه العقيدة من النقل والعقل

٤ ـ **الفصل الثالث**: في حكم من دعا إلى ذلك أو اعتقده أو شك فيه أو سكت عنه.

٥ ـ **الخاتمة**: ذكر فيها أحاديث تحذّر من الدجاجلة وما هم عليه.

وهو مخطوط يقع في (٢٨) صفحة، وتوجد في مكتبة الحرم، وقد أصابتها الأرضة، وخطها في بعض المواضع لا بأس به، أما بعضها الآخر ففيه صعوبة.

١٠ ـ البناء على القبور:

وهي عبارة عن رسالة ردّ فيها على بعض معاصريه ممن أجاز البناء على القبور، فأبان الشيخ في هذه الرسالة الأدلة من الكتاب والسنة على إبطال ما ادعاه الخصم حيث قال في مطلعها:

«فإني اطلعت على بعض الرسائل التي أُلّفت في هذه الأيام في شأن البناء على القبور، وسمعت بما جرىٰ في هذه المسألة من النزاع، فأردت أن أنظر في هذه المسألة نظر طالب للحق متحرٍ للصواب، عملاً بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1].

وهي مطبوعة بهذا العنوان في دار أطلس بتحقيق حاكم بن عبيسان المطيري، تقع في ثنتي عشرة ومائة صفحة.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

ومحققة أيضًا تحت عنوان (عمارة القبور) بتحقيق ماجد الزيادي، طُبعت في المكتبة المكية.

وغيرها من الرسائل نحو:

١١ ـ الاحتجاج بخبر الواحد.

١٢ ـ تحقيق البدعة.

١٣ ـ أحكام الكذب.

١٤ ـ الاستبصار في نقد الأخبار.

١٥ ـ الأحاديث التي ذكرها مسلم في مقدمة صحيحه مستشهدًا بها في بحث الخلاف في اشتراط العلم باللقاء.

١٦ ـ بحث حول تفسير الرازي.

١٧ ـ أصول التصحيح.

١٨ ـ عقيدة العرب في وثنيتهم.

١٩ ـ سيرة المصطفى ﷺ من عرفات إلى مزدلفة.

٢٠ ـ فلسفة الأعياد وحكمها في الإسلام.

٢١ ـ أحكام الحديث الضعيف.

٢٢ ـ إغاثة العلماء من طعن صاحب الوراثة في الإسلام.

٢٣ ـ الحنيفية والعرب.

٢٤ ـ النقد البريء.

ثانيًا: ما قام بتحقيقه:

١ ـ التاريخ الكبير للبخاري.

٢ ـ الجرح والتعديل لعبدالرحمٰن بن ابي حاتم الرازي.

٣ ـ الرد على الأخنائي لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

٤ ـ الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكُنىٰ والأنساب لابن ماكولا.

٥ ـ الأنساب للسمعاني.

٦ ـ تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي.

٧ ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم.

٨ ـ المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة الدّينوري.

ثالثاً: ما شارك في تحقيقه:

١ ـ الجواب الباهر في زوار المقابر لشيخ الإسلام، شاركه في تحقيقه: الشيخ سليمان الصنيع.

٢ ـ مسند أبي عوانه، شارك الشيخ في تحقيقه وتصحيح الجزء الأول والثاني الشيخ هاشم الندوي.

٣ ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي.

٤ ـ الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي.

٥ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني.

٦ ـ عمدة الفقه لابن قدامة الحنبلي.

وغيرها من الكتب التي شارك في تحقيقها.

وفاتـه:

في صبيحة يوم الخميس السادس من شهر صفر من عام (١٣٨٦هـ) بعدما أدّى صلاة الفجر في الحرم المكي عاد إلى مكتبة الحرم ـ حيث كان يقيم فيها ـ وُجد على سريره ميتًا، وقد توفي عن عمر يناهز ثلاث وسبعين سنة، ودُفن بمكة ـ رحمه الله تعالى[1] ـ.

---

(١) انظر: مجلة الحج ج(١٠)، (١٦)ربيع الثاني (١٣٨٦هـ) ص(٦١٧، ٦١٧). والأعلام (٣/ ٣٤٢). وجهود المعلمي في السُّنَّة للدكتور منصور السماري، ص(٢٥).

ترجمة الشيخ

سليمان بن عبدالرحمن الصنيع

رَحِمَهُ اللَّهُ

١٣٢٣ ـ ١٣٨٩هـ

اسمه ونسبه:

سليمان بن عبدالرحمن بن محمد بن علي بن عبدالله بن حمد الصنيع.

مولده ونشأته:

وُلد رَحِمَهُ اللهُ في مكة عام (١٣٢٣هـ)، وتربىٰ في حجر والده، وأدخله الكتاب في مسجد الجودرية، وتعلم فيه القرآن، ثم خرج منه، وأدخله والده المدرسة الرشيدية في عهد الدولة العثمانية فأقام فيها سنتين، ثم أُغلقت بعد النهضة العربية ضد الأتراك، فدخل بعد ذلك مدرسة تحسين الخطوط ومعرفة الحساب التجاري.

وفي هذه المدة التحق بعلماء المسجد الحرام فأخذ مباديء علوم العربية والحديث والعقيدة والتفسير.

مشايخه:

١ ـ الشيخ أحمد الهرساني. حيث أخذ عليه الحديث وعلومه.

٢ ـ الشيخ أبوبكر خوقير. حيث درس عليه التوحيد وعقيدة السلف.

٣ ـ الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ. درس عليه الواسطية والأصول الثلاثة وكشف الشبهات.

٤ ـ الشيخ محمد بن عبدالرزاق حمزة. حيث لازمه وأخذ عنه علم التفسير والحديث وأصولهما والتوحيد. وغيرهم كثير.

٥ ـ الشيخ عبدالستار الدهلوي.

سماعاته:

لقد سمع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كثيرًا من العلماء واستجازهم فأجازوه، منهم:

١ ـ الشيخ عبدالستار الدهلوي. سمع منه حديث المسلسل بعاشوراء، والمسلسل بسورة الصف، وسمع منه قطعة من سنن الدارمي

وتفسير البغوي والشوكاني فأجازه بكل ما استجازه له وعنه روايته.

٢ ـ الشيخ عبدالله بن محمد غازي. سمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية، والمسلسل بسورة الصف، والمسلسل بعاشوراء.

وسمع من الشيخ عبدالحي الكتاني، محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، وغيرهم.

آثاره:

لقد خلّف الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مكتبة كبيرة حوت جميع كتب السُّنَّة المطبوعة وما عليها من الشروح والحواشي، كما شارك في تحقيق كثير من الكتب، وأبرز آثاره:

١ ـ بحوث وتحقيقات وتعليقات أغلبها استدراكات على كتب الحديث، إلاَّ أنها لم تُجمع ولم يضمها كتاب.

٢ ـ تراجم العلماء المعاصرين ممن لم يُترجم لهم من المواطنين والقادمين إلاَّ أنه توفي قبل ترتيبها وتبويبها.

أعماله:

١ ـ عُين وكيلاً لرئيس جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مدة طويلة.

٢ ـ عُين عضوًا فخريًا في لجنة مدرسة دار الحديث بمكة إلى وفاته.

٣ ـ عُين أمينًا لمكتبة الحرم المكي إلى قبيل مرض موته.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في مكة المكرمة يوم الأربعاء ٢٠ صفر من عام ١٣٨٩هـ، ودُفن في مقبرة المعلاة[١].

---

(١) هذه الترجمة مختصرة من كتاب (علماء نجد خلال ثمانية قرون) للشيخ عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام (٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٧).

ترجمة الشيخ

محمد مخدوم

رحمه الله

١٣٠٩ ـ ١٣٨٩هـ

اسـمه:

محمد أمين قاضي مخدوم.

نبذة عن حياته:

وُلد رَحِمَهُ اللَّهُ في عام (١٣٠٩هـ)، وتربىٰ في حجر والده، ونشّأه تنشئة صالحة، ورحل به والده إلى الحجاز وأقام في المدينة النبوية وحفظ القرآن بها عام (١٣١٨هـ)، ثم انتقل إلى مكة ودرس على بعض علمائها البخاريين. وفي عام (١٣٧٢هـ) عينه فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مدرّسًا بالمسجد الحرام، وظل فيه إلى قبيل وفاته.

مشايخه:

وأبرز مشايخه الذين تتلمذ عليهم: الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث أفاد منه فائدة كبيرة.

مؤلفاتـه:

١ ـ **الردود اللامعة على البوتي ومن شايعه:**

وهو عبارة عن ردّ على أوراق وجدها المؤلف لأبي إدريس عبدالله ابن عبدالرحيم البوتي ينال فيها من الشيخ محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ اللَّهُ حول تحريمه لنداء الأموات والاستغاثة بهم، فكتب الشيخ محمد مخدوم هذه الرسالة دفاعًا عن المعصومي، ذكر فيها الأدلة من الكتاب والسنة التي تؤيد ما ذهب إليه المعصومي.

وهو مطبوع يقع في أربعين صفحة من الحجم الصغير.

٢ ـ **التفكير فريضة إسلامية:**

وهو عبارة عن مقالات متفرّقة كتبها المؤلف من خلال مطالعاته وتجاربه.

وهو مطبوع يقع في إحدى وستين صفحة.

٣ ـ الهجــرة:

وهو عبار عن رسالة صغيرة ذكر فيها حكم الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، وحث فيها البخاريين على الهجرة من بلادهم إلى بلاد الحرمين.

وهو مطبوع يقع في خمس وعشرين صفحة.

٤ ـ خير الكلام في القراءة خلف الإمام.

٥ ـ كفىٰ يا معصومي.

٦ ـ القراءة للأموات(١).

وفاتــه:

وفي عام (١٣٨٩هـ) توفي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مكة وصُلي عليه في الحرم المكي، ودُفن بها(٢).

---

(١) هذه الكتب ذكرها أبناؤه.

(٢) هذه الترجمة مختصرة مما أفاد أبناء الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ترجمة الشيخ

محمد الفلاني

رحمه الله

٠٠٠٠ ـ ١٣٩٢هـ

اسمه ونسبه:

محمد المرزوق بن عبدالمؤمن بن خمّر بن فمّي بن زنفو بن عاشور بن المدّ بن ألفا عمر بن جمأ الله بن بولد بن فايتي[١].

مولده:

وُلد رَحِمَهُ اللَّهُ في قرية فتقه، وهي من أرض ماسن[٢]، حفظ القرآن وهو صغير[٣].

صفاته:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ نحيفًا متوسطًا له لحية صغيرة يصبغها بالحناء، وكان أثناء سيره يخفض رأسه وينظر إلى الأرض، وكان يتبسّم ولا يضحك، وكان لا يتحدث في شيء من أمور الدنيا.

طريقته في التدريس:

كان يبدأ تدريسه بعد صلاة العصر في الأصول الثلاثة، ثم الأربعين النووية، ثم رياض الصالحين، ثم يصلي المغرب فيبدأ بعده بتدريس كتاب التوحيد، ثم بلوغ المرام.

مراحل حياته:

لقد مرّ رَحِمَهُ اللَّهُ في حياته بمرحلتين:

المرحلة الأولى: كان في بداية حياته على مذهب التيجانية حتى وصل فيها مرحلة كبيرة، ثم قدم إلى بلاد الحرمين الشريفين من أجل الحج فالتقى ببعض العلماء وتناقش معهم حول هذه الطريقة وأبانوا له عوارها وما فيها من ضلال، فما كان منه إلاّ أن رجع عن هذه الطريقة الضالة المضلة.

---

(١) السيف المسلول، ص(٩٩).

(٢) في مالي.

(٣) المصدر السابق، ص(٩٩).

المرحلة الثانية: مرحلة رجوعه إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وكان ذلك عن طريق بعض العلماء أمثال: محمد الطيب الأنصاري، وعبدالرحمن الأفريقي.

مشايخه:

تتلمذ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بعد مجيئه إلى الحجاز على بعض علماء دار الحديث المدنية والمكية منهم:

١ ـ الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الإفريقي.

٢ ـ الشيخ محمد الطيب الأنصاري.

تلاميذه:

تتلمذ على الشيخ عدد من الأفارقة منهم:

١ ـ محمود دجل.

٢ ـ محمود سعيد.

٣ ـ حامد سامبو.

٤ ـ عيسى عبدالرحمن.

٥ ـ موسى علي الأقمه.

نبذة عن حياته:

كانت حياته رَحِمَهُ اللَّهُ حافلة بالذكريات، حيث حدثت له حادثة مع بعض المناوئين له، وذلك حينما كان ينكر عليهم بدعة المولد فتآمروا عليه وألقوا بعض الأوساخ عليه في المسجدوآذوه أشد الإيذاء ولكنه مع ذلك كان صابرًا محتسبًا.

وكان شديدًا في إنكار المنكر، وكان لا يرىٰ منكرًا إلا أنكره، ومن ذلك إنكاره على المدخّنين والمسبلين وحالقي اللحى، حتى إنك لا ترىٰ في حيّه الذي يسكن فيه أحدًا يفعل شيئًا من هذه المنكرات، بل إنه إذا سمع صوت الموسيقى ينبعث من بيت ذهب لأصحابه وطالبهم بإخراج هذه الآلة، ثم يقوم بتكسيرها، وكان يقوم بجولات في إنكار المنكرات

التي يراها، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يرى التصوير حتى إن حفيظته لا يوجد بها صورته.

مؤلفاتـه:

اشتغل رَحِمَهُ اللَّهُ بالتأليف والتصنيف فترك تراثًا طيبًا بعضه رأى النور وبعضه الآخر لم يره، ومن أبرز مؤلفاته:

١ ـ **السيف المسلول لاستقامة دين الإسلام بالكتاب والسُّنَّة وما وافقهما من أقوال العلماء الذين لهم قدم صدق في الدين:**

وهذا الكتاب عبارة عن موضوعات متفرقة، بدأه بما يتعلق بالعقيدة حيث ذكر أنواع التوحيد الثلاثة، ثم ذكر طرفًا من أركان الإيمان والإسلام والإحسان، ثم ذيله ببعض تعقيبات على بعض الكتب وأهل الطرق.

وهوبحمد الله مطبوع في ثلاثٍ وثلاثين ومائتي صفحة.

٢ ـ **السيف القاطع للنزاع:**

وهو عبارة موضوعات متفرقة، بدأه بالموضوعات المتعلقة بالعقيدة، ثم ثنّى ببعض الموضوعات حول بعض المنكرات المنتشرة، وثلّث ببعض الموضوعات المتعلقة ببعض البدع المنتشرة بين الناس، ثم ختمه بما يتعلق بالفرائض. وهو مطبوع بحمد الله تحت إشراف الإدارة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ويقع في أربع وتسعين ومائة صفحة.

٣ ـ **كتاب التوحيد:**

وهو عبارة عن كتاب عن طريق السؤال والجواب في موضوعات العقيدة المتفرقة وختمه ببعض الأسئلة التي تتعلق بالفرقة التيجانية.

٤ ـ **القبض والإرسال:**

وهو عبارة عن رسالة تحدّث فيها رَحِمَهُ اللَّهُ عن مسألة القبض بعد الركوع من الصلاة، وذكر كلام الفقهاء والمحدثين في هذه

المسألة، ومال إلى مسألة القبض.

وفاته:

وفي عام (١٣٩٢هـ) أُصيب رَحِمَهُ اللَّهُ بمرض نُقِل على إثره إلىٰ مستشفى أجياد حيث بقي فيها أيامًا ثم انتقل إلى رحمة الله وصلّى عليه في الحرم المكي، ودُفن بالمعلاة، تغمده الله برحمته.

ترجمة الشيخ

عبدالحق الهاشمي

رحمه الله

١٣٠٢ ـ ١٣٩٢هـ

اسمه ونسبه:

أبومحمد عبدالحق بن عبدالواحد بن محمد بن الهاشم بن رمضان الهاشمي، يرجع نسبه إلى بني عدي ـ أحد قبائل الحجاز ـ الهندي ثم المكيّ السّلفي[(١)].

مولده ونشأته:

وُلد رَحِمَهُ اللهُ في قرية «كوتلة الشيوخ» بمقاطعة «بها ولفور» سنة (١٣٠٢هـ) وقد تربىٰ في حجر والديه، وكان آخر أولادهما، وقد مات إخوته الذين وُلدوا قبله وبقي وحده محبوبًا من والديه، ورباه والده تربية حسنة، فقرأ القرآن على والده، وأخذ منه اللغة الفارسية، وعلم التصريف والنحو. ثم أمره بالخروج لطلب العلم فخرج إلى القرى والبلدان وتلقى مختلف العلوم عن العلماء حيث أخذ نصيبًا وافرًا من علم الصرف والنحو والمعاني والبيان والبلاغة والأدب واللغة والشعر، ودرس كتب العقائد وأصول الفقه، وقرأ أمهات الكتب في الفقه والتفسير على المشايخ، ثم أقبل على علوم الحديث والقرآن، وطالع كتبًا كثيرة لأئمة السُّنَّة[(٢)].

مشايخه:

قال رَحِمَهُ اللهُ: «أما مشايخي فكثيرون أذكر منهم هـٰهنا أشهر شيوخي الذين استفدت منهم العلوم، وأقدمهم على غيرهم لاعتقادهم مذهب السلف. . .»[(٣)].

---

(١) انظر: الأعلام (٣/ ٢٨١) وانظر ترجمة موجزة لعبدالحق الهاشمي بخط اليد لابنه أبي خالد عبدالوكيل الهاشمي، ص(١). والنظائر، ص(٦٣) لبكر بن عبدالله أبوزيد. وانظر: ترجمته لنفسه، ص(١٣٩).

(٢) انظر: هذه عقيدتي وترجمتي لعبدالحق الهاشمي نفسه، ص(١٣٥).

(٣) هذه عقيدتي وترجمتي، ص(١٣٧).

ثم ذكر بعض مشايخه، منهم:

١ ـ أبوالقاسم عيسى بن أحمد الراعي.

٢ ـ أبوالفضل إمام الدين بن محمد بن ماجه القنبري الغزاني السلماني.

٣ ـ أبوالفضل محمد بن عبدالله الرياسي.

٤ ـ أبوعبدالرب محمد بن أبي محمد الغيطي.

٥ ـ أبواليسار محمد بن عبدالله الغيطي.

٦ ـ أحمد بن عبدالله بن سالم البغدادي المدني.

٧ ـ أبوإسماعيل إبراهيم بن عبدالله اللاهوري.

٨ ـ أبومحمد بن محمود الطنافسي.

٩ ـ أبوعبدالله عثمان الحسين العظيم أبادي.

١٠ ـ أبوالحسن محمد بن الحسين الدهلوي.

١١ ـ نذير حسين الدهلوي.

١٢ ـ أبوسعيد حسين بن عبدالرحيم البتالوي.

وغيرهم كثير[١].

تلاميذه:

وقد تتلمذ عليه عدد كبير من طلاب العلم أثناء تدريسه في المسجد الحرام، منهم:

١ ـ ابنه عبدالجميل بن عبدالحق الهاشمي الشهير بأبي تراب الظاهري.

٢ ـ ابنه أبوخالد عبدالوكيل بن عبدالحق الهاشمي.

٣ ـ عبدالله بن سليم الصاعدي.

٤ ـ سليمان الحربي.

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص(١٣٧ : ١٣٩).

مطالعاته:

لقد تميز الشيخ بحبه للقراءة والاطلاع، وكان مولعًا بقراءة الكتب في جميع الفنون حتى إنه اطلع على أكثر من مائة كتاب من بينها: ألفية ابن مالك وشروحها لابن الناظم، وابن عقيل، والمكودي، والأشموني. وقرأ أوضح المسالك ومغني اللبيب وشرح قطر الندى وكتاب سيبويه، كما قرأ في كتب الأدب مقامات الحريري ومقامات بديع الهمذاني وحماسة أبي تمام وديوان حسّان والمتنبي والبحتري، وكتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، كما قرأ على بعض مشايخه تفسير ابن جرير والبغوي وابن كثير والجلالين والبيضاوي والكشاف والدر المنثور وتفسير القرطبي. كما طالع كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في مسائل العقائد والتوحيد، والعقيدة الطحاوية، وكتاب الأسماء والصفات للبيهقي، وقرأ في أصول الفقه: الرسالة للإمام الشافعي، وكتاب الأم له، وأصول ابن الحاجب، وأصول القاضي البيضاوي، والمدونة الكبرى لابن سحنون، وفتح القدير لابن الهمام، وأصول الشاشي، وشرح نور الأنوار، كما قرأ في كتب الحديث: بلوغ المرام، ومشكاة المصابيح، وجامع الأصول لابن الأثير، ومجمع الزوائد للهيثمي والجامع الكبير للسيوطي، والترغيب والترهيب للمنذري، وموطأ الإمام مالك، والصحيحين، والسنن الأربعة، ومسند أحمد والطيالسي، والدارمي، والشافعي، والسنن الكبرى للبيهقي، والمستدرك للحاكم، وسنن الدارقطني، ومعجم الطبراني الصغير، وصحيح ابن حبان، ومسند أبي يعلىٰ، والبزار، والفردوس، ومصنف عبدالرزاق، وابن أبي شيبة، وغيرها. كما قرأ في كتب الرجال: طبقات ابن سعد، والإصابة لابن حجر، وأسد الغابة لابن الأثير، والتجريد للذهبي، وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب لابن حجر، ورجال الصحيحين للمقدسي، وميزان الاعتدال والكاشف، وسير أعلام النبلاء للذهبي، وتذكرة

الحفاظ، ولسان الميزان، وغيرها كثير(١).

وهذا يدل على نهم الشيخ في الاطلاع والقراءة، والله أعلم.

رحلته إلى الحجاز:

لقد كان الشيخ يتردد على الحجاز منذ زمن الأشراف، وفي عهد الدولة السعودية قدم الشيخ رحمه الله إلى مكة في وفد من علماء الهند والتقى بالملك عبدالعزيز رحمه الله فأكرمه، ثم عاد إلى الهند، وفي عام (١٣٦٨هـ) طلبه الملك عبدالعزيز وعينه مدرسًا بالمسجد الحرام، ووصل الشيخ إلىٰ مكة وهو فرح حيث عقد حلقة دروس في المسجد الحرام، وألقى دروسًا في مدرسة المهاجرين السلفية ودار الحديث المكية(٢).

مؤلفاته:

لقد اشتغل الشيخ رحمه الله بالتأليف منذ ستين عامًا حيث ترك تراثًا وافرًا يشهد له بسعة الباع في الحديث وعلومه، وصنّف نحو خمسين كتابًا، منها ما يلي:

١ ـ نصرة الباري في شرح تراجم البخاري، في أربع مجلدات.

٢ ـ مشارق الأنوار في شرح ما في الموطأ والصحيحين من الأخبار، أتم منه أربعة عشر مجلدًا.

٣ ـ تفسير القرآن، أتم منه تسع مجلدات.

٤ ـ مفتاح الموطأ في الصحيحين، في سبع مجلدات.

٥ ـ مسند الصحيحين، في ثماني مجلدات.

٦ ـ كتاب اللّباب في شرح التراجم والأبواب، في سبع مجلدات.

٧ ـ تراجم رجال المسند، في أربع مجلدات.

٨ ـ شرح مقدمة صحيح مسلم، مجلد واحد.

---

(١) هذه عقيدتي وترجمتي، ص(١٤٠ : ١٤٢).

(٢) ترجمة الشيخ عبدالحق لابنه عبدالوكيل الهاشمي، ص(٥، ٦) مكتوبة بخط اليد.

٩ ـ كتاب رفع اليدين في الصلاة.

١٠ ـ كتاب الجهـاد.

١١ ـ كتاب أسباب إسلام الصحابة.

١٢ ـ كتاب الخلافة الراشدة[١].

وجميع هذه الرسائل مخطوطة بحوزة بعض أبنائه، كما أن له بعض الرسائل المطبوعة نحو:

١ ـ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، حيث اقتصر فيه على بيان أغراض الإمام البخاري من الأبواب التي عقدها، ومطابقة الأحاديث لها، وترجم لبعض رجال السَّنَد. وهو مطبوع في مطابع سحر، ويقع في أربع وستين ومائتي صفحة.

٢ ـ ثلاث مجموعات من رسائله، تحوي كل مجموعة جملة من المسائل والرسائل، من بينها: رسالة (هذه عقيدتي وترجمتي) ذكر فيها: عقيدته في الأسماء والصفات، والإيمان، والأنبياء، وأشراط الساعة. ثم ذكر نبذة عن حياته ومطالعاته وشيوخه.

٣ ـ كشاف القناع في مسألة الدعاء بعد المكتوبة بهيئة الاجتماع: تعرّض فيه لبيان حكم الدعاء بعد الصلوات مجتمعين، نقل كلام أهل العلم حول هذه المسألة.

وهو مطبوع ضمن المجموعة الثانية من رسائله ويقع في خمسين صفحة.

وفاتـه:

يقول ابنه عبدالوكيل: «وفي شهر رمضان من عام (١٣٩٢هـ) أُصيب الشيخ بذات الرئة مرتين مرة في اليمنى ومرة في اليسرى وبقي على هذه الحال طيلة شهر رمضان المبارك، وفي يوم الخميس الثاني

---

(١) انظر: كتاب الأعلام (٣/ ٢٨١). ونشر الرياحين (١/ ١٣٦). وترجمة عبدالحق الهاشمي لابنه، ص(٧ : ٩).

عشر من شوال من عام (١٣٩٢هـ) أسلم روحه بكلمة الشهادة لبارئها في مكة شرّفها الله، ثم غُسّل وصُلي عليه بالمسجد الحرام بعد صلاة العشاء، ثم نقل إلى المدينة النبوية وصُلي عليه بعد صلاة الفجر من صباح يوم الجمعة، ودُفن بالبقيع بين ما يُشار إليه بأنه قبر الإمام مالك وقبر إبراهيم ـ عليه السلام ـ وأمام قبر سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ»[(١)].

(١) انظر: ترجمة عبدالحق الهاشمي لابنه عبدالوكيل، ص(١٠ : ١٢)، والنظائر «التراجم الذاتية» ص(٦٣).

ترجمة الشيخ

محمد عبدالرزاق حمزة

رحمه الله

١٣١١ ـ ١٣٩٢هـ

اسمه ونسبه:

محمد عبدالرزاق حمزة، ينتهي نسبه إلى حمزة بن عبدالمطلب ـ رضي الله عنه[١] ـ.

مولده ونشأته:

وُلد الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة سنة (١٣١١هـ) في كفر «شكر» ـ إحدى قرى مصر التي تقع قريبًا من بنْها شمال القاهرة ـ، وبها تلقى تعليمه، وحفظ القرآن الكريم، ولما بلغ السن القانونية التي تخوله لدخول الأزهر أبدى رغبته لأبيه ولكنه وجد ممانعة من ذويه، وذلك لبُعد المسافة بين بلده والقاهرة، ولكن الشيخ أصرّ على طلبه فما كان من أبيه إلا أن استجاب لرغبته وأدخله الأزهر، وقد عُرف عنه الانتظام والجد والاجتهاد في الطلب حيث لازم فضيلة الشيخ سليم البشري واستفاد منه، وقد انضم الشيخ إلى معهد دار الدعوة والإرشاد الذي كان الغاية من إنشائه محاربة البدع والخرافات، وقد اضطلع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في علم الحديث فكان له المكانة العظمى في هذا العلم[٢].

انتقاله إلى الحجاز:

وفي عام (١٣٤٤هـ) قصد الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة والشيخ محمد عبدالظاهر أبوالسمح إلى مكة لأداء فريضة الحج فلقيا الملك عبدالعزيز حاجًا فرحّب بهما، ثم دعاهما لتولي الخطابة والإمامة والتدريس بالحرمين الشريفين فلبيا الطلب وانتقلا بأهلهما عام (١٣٤٧هـ) حيث تولىٰ الشيخ محمد عبدالرزاق التدريس في الحرم النبوي، فكانت تُعقد حلقته صباحًا ومساءً في علم التفسير والتوحيد ثم

---

(١) الإعلام بوفيات الأعلام (١/ ٦٠) للشيخ صالح بن أحمد الأركاني.

(٢) انظر: مقدمة المقابلة بين الهدىٰ والضلال حول ترحيب الكوثري، ص(٢٧ : ٣٣) لعبدالله بن صالح المدني الفقيه.

إنها لم تطل إقامته بالمدينة حيث انتقل في عام (١٣٤٨هـ) إلى مكة لمساعدة الشيخ أبوالسمح في الإمامة والخطابة، كما عُهد إليه التدريس في المعهد العلمي السعودي، ثم إنهما قاما بتأسيس دار الحديث المكية عام (١٣٥٠هـ) فكان الشيخ أبوالسمح مديرًا لها، وكان الشيخ محمد عبدالرزاق المدرس الأول، وبعد وفاة أبي السمح تولى إدارتها[١].

مؤلفاته:

لقد اشتغل الشيخ محمد عبدالرزاق بالتصنيف والتأليف فترك تراثًا علميًا طيبًا منه ما يلي:

١ ـ الشواهد والنصوص من كتاب الأغلال على ما فيه من زيغ وكفر وضلال:

وقد ألّفه ردًا على آراء عبدالله القصيمي صاحب كتاب: هذه هي الأغلال، حيث ردّ عليه بهذا الكتاب وقام بعرض أقواله، ثم عرضها على النقل والعقل وذلك من أجل معرفة ما فيها من حق أو باطل.

وهذاالكتاب مطبوع في مطبعة الإمام بمصر ويقع في ثلاث وثمانين ومائة ورقة.

٢ ـ ظلمات أبي رية أمام أضواء السُّنَّة المحمدية:

وقد ألّفه وهو مريض في مستشفى الطائف بعيدًا عن مراجعه، حيث ردّ فيه على مفتريات أبي رية على السُّنَّة النبوية، ويعتبر هذا الكتاب أقوى ردّ وأشهر ما كتب مدعمًا بالأدلة والأقوال.

وهذا الكتاب مطبوع في المطبعة السلفية، ويقع في ثلاث وثلاثين وثلاثمائة صفحة.

٣ ـ كتاب الصلاة:

ويعتبر كتابًا موسوعيًا في الصلاة حيث جمع فيه كل ما يتعلق

---

(١) المصدر السابق ص(٣٤).

بالصلاة وأنواعها.

وفاتـه:

وفي أواخر عام (١٣٨٥هـ) اشتد عليه المرض حتى اضطره إلى العزلة، فكان مكتفيًا بقراءة القرآن، ومطالعة الكتب ثم زاد عليه المرض ولازم الفراش منذ عام (١٣٩٠هـ) واستمر على هذه الحالة حتى ظهر يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر صفر من عام (١٣٩٢هـ) حيث انتقل إلى الرفيق الأعلى، وصُلي عليه بعد صلاة المغرب من ذلك اليوم، ودُفن بمقبرة المعلاه.

ترجمة الشيخ
سليمان بن عبدالرحمن الحمدان
رَحِمَهُ اللَّهُ
١٣٢٢ ـ ١٣٩٧هـ

اسمه ونسبه:

هو سليمان بن عبدالرحمن بن محمد بن حمدان المجمعي النجدي المكي[(١)].

مولده ونشأته:

وُلد رَحِمَهُ اللَّهُ في بلدة المجمعة عام (١٣٢٢هـ)، وربّاه والده أحسن تربية ونشّأه نشأة صالحة، حيث وجهه إلى الكُتّاب حتى حفظ القرآن عن ظهر قلب ثم توجه في سن مبكرة إلى حِلق العلم في المجمعة والرياض فدرس على أعلام عصره[(٢)].

صفاته:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ ربعة من الرجال، حسن الطلعة، وقورًا مهيبًا، ذكيًّا، تعلوه حدّة عند النقاش، شديد الغيرة على حرمات الله، له مواقف احتساب مشرفة، كان قليل الكلام كثير التثبت شديد التحري، مديمًا على التهجد، وكان آية في الورع والزهد والاستقامة في الدين، يمضي معظم نهاره في المسجد الحرام، وكان غزير الدمعة لا تفارق خدّه، وكان جميل الخط[(٣)].

مشايخه:

لقد تتلمذ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على يد أبرز علماء عصره آنذاك، منهم:

١ ـ الشيخ عبدالله عبداللطيف آل الشيخ المتوفىٰ سنة (١٣٣٩هـ).

٢ ـ الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسىٰ المتوفىٰ سنة (١٣٤٣هـ).

٣ ـ الشيخ حمد بن فارس، المتوفىٰ سنة (١٣٤٥هـ).

---

(١) انظر: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين (١/١٥٨)، وتتمة الأعلام (١/ ٢١٤)، ومقدمة هداية الأريب الأمجد، ص(٣).

(٢) المصادر السابقة نفسها ونفس صفحاتها.

(٣) انظر: روضة الناظرين (١/١٥٩)، ومقدمة هداية الأريب الأمجد، ص(٣).

٤ ـ الشيخ العلاّمة سعد بن حمد بن عتيق المتوفىٰ سنة (١٣٤٩هـ).

٥ ـ الشيخ سليمان بن سحمان المتوفىٰ سنة (١٣٤٩هـ).

٦ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري (١٣٧٣هـ)، وهو شيخه الذي اختص به وأكثر من ملازمته.

٧ ـ عبدالستار الدهلوي: حيث أجازه ببعض الإجازات منها: كتاب التوحيد[1].

وفي رحلته إلى مكة ـ شرَّفها الله ـ أخذ عن بعض علماء الحرم المكي، واستجاز شيخه عبدالستار الدهلوي المكي فأجازه[2].

أعماله:

١ ـ في عام(١٣٦٣هـ) عُين قاضيًا في المدينة النبوية، وحال وصوله إليها رأى كتابات على الحجرة النبوية منها: أبيات من البردة للبوصيري وهي:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عندحدوث الحادث العمم

فأمر تلاميذه أن يأتوه بما يزيل به هذه الكتابات فصعد على السلم وأزالها وحصل له من جرَّاء ذلك بعض الصعاب.

٢ ـ كما وَلِي قضاء المحكمة المستعجلة في الطائف، وإمامة مسجد العباس وخطابته.

وكان في مناصبه التي تولاّها مثال العدل والنزاهة والعفة[3].

---

(١) انظر: روضة الناظرين (١/١٥٨)، ومقدمة هداية الأريب، ص(٣، ٤) وعلماء نجد (٢/٢٩٥).

(٢) انظر: مقدمة هداية الأريب، ص(٤).

(٣) انظر: روضة الناظرين (١/١٥٨)، وعلماء نجد (٢/٢٩٦، ٢٩٧). ومقدمة هداية الأريب الأمجد، ص(٤، ٥)، وتتمة الأعلام (١/٢١٤).

تلامذته:

ومن أبرز تلاميذ الشيخ سليمان بن عبدالرحمٰن الحمدان رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

١ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط .

٢ ـ الشيخ صالح محمد الزغيبي .

٣ ـ إبراهيم بن محمد البسام .

٤ ـ حمد بن إبراهيم البسام .

٥ ـ عبدالمحسن بن محمد المانع .

٦ ـ محمد الحصان .

٧ ـ علي بن عامر الأسدي(١) .

مؤلفاته:

١ ـ الدرّ النضيد على أبواب التوحيد :

وهو عبارة عن حصيلة تدريسه لكتاب التوحيد في المسجد الحرام، فكان من أنفس شروح كتاب التوحيد، وذلك لأنه زبدة شروح كتاب التوحيد، بل إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ دمج المسائل مع الشرح .

وهو بحمد الله مطبوع في المطبعة السلفية، يقع في سبع وأربعين وثلاثمائة صفحة .

٢ ـ كتاب دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع :

وهو عبارة عن ردّ لما نُسب لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه يقول : «أن الجهاد للدفاع لا للقتال» فأبان الشيخ في هذه الرسالة أن هذه فرية على شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، ثم أردف ذلك بالأدلة من الكتاب والسُّنَّة على أن الجهاد أصل من أصول الإسلام وفرض من فروضه .

وهذا الكتاب مطبوع في مطبعة دار الطباعة والنشر في عمّان، ويقع في أربع عشرة ومائة صفحة .

---

(١) انظر : علماء نجد (٢/ ٣٠٠).

٣ ـ كتاب أدلّة النصوص المصدّقة على ردّ الأكاذيب الملفقة من أهل الإلحاد والزندقة:

ردّ في هذا الكتاب على كتاب محمد محمود الصوّاف: المسلمون وعلم الفلك، عرض فيه الأدلة على ثبوت الأرض وجريان الشمس.

وهو مطبوع يقع في تسع وستين ومائة صفحة.

٤ ـ جواب الأسئلة البيروتية:

وهو عبارة عن أسئلة وردت عليه من بيروت حول حكم التشاؤم بالأعداد والأيام، وحول حكم عدم الوفاء بالنذر، وهل التوبة تمنع عقوبة الدنيا والآخرة، وهل التوبة بالقلب أو اللسان.

وهو مطبوع في مطبعة الإمام بمصر، يقع في ست عشرة صفحة.

٥ ـ الدرة الثمينة في الفرائض:

وهو عبارة عن منظومة في الفرائض، يقع في ثمانية وستين ومائة بيتٍ.

وهي مطبوعة بحمد الله.

٦ ـ إتحاف العدول الثقات بإجازة كتب الحديث والأثبات:

وهو عبارة عن إجازاته التي تحصّل عليها من العلماء.

وهو مطبوع في مطبعة دار الثقافة، ويقع في إحدى وعشرين صفحة.

٧ ـ الأجوبة الحسان على أسئلة مفتي باكستان.

٨ ـ بيان الحجج والأدلة:

بحث في عدم الوصول إلى القمر. (مخطوط).

٩ ـ ترتيب قواعد ابن رجب على أبواب الفقه. (مخطوط).

١٠ ـ بحث في بيان حكم شرب البيبسي والكوكاكولا وغيرهما من المشروبات الغازية والكحولية. (مخطوط).

١١ ـ مجموع يضم فتاوى وأشعار ورسائل عدّة. (مخطوط).

١٢ ـ ملاحظاتي حال مطالعاتي:

وهو مجموعة نفيسة قيّد فيها ما يراه من التحقيقات والتصحيحات والتصويبات. (مخطوط).

١٣ ـ رسالة في مناسك الحج.

١٤ ـ نظم دليل الطالب في الفقه الحنبلي. (مخطوط).

١٥ ـ نقض المباني من فتوى اليماني:

وهو عبارة عن ردّ على الشيخ عبدالرحمن المعلمي في فتواه حول جواز تحويل مقام إبراهيم عليه السلام عن مكانه للضرورة.

١٦ ـ هداية الأريب الأمجد في معرفة أصحاب الرواية عن الإمام أحمد:

(مطبوع) بتحقيق الشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد.

١٧ ـ طبقات الحنابلة. (مخطوط)[(١)].

وفاته:

وفي الثاني عشر من شهر شعبان من عام (١٣٩٧هـ) تُوفي الشيخ في مدينة الطائف حينما كان يصطاف بها، وصُلّي عليه في مسجد العباس، ودُفن في الطائف ولم يخلّف ذريّة لأنه كان عقيمًا ـ رحمه الله[(٢)] رحمة واسعة ـ.

---

(١) انظر: علماء نجد (٢/ ٢٩٩)، وتتمة الأعلام (١/ ٢١٤)، ومقدمة هداية الأريب الأمجد، ص(١١، ١٢).

(٢) انظر: علماء نجد (٢/ ٣٠٠)، ومقدمة هداية الأريب الأمجد، ص(١٣).

ترجمة الشيخ

عبدالله بن محمد القصيمي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١٢٩٩ - ١٣٩٨هـ

اسـمه:

عبدالله بن محمد بن عبدالله بن جبر القصيمي من بني خالد[١].

نبذة عن حياته:

وُلد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بلدة عُنيزة عام (١٢٩٩هـ)، ونشأ بها نشأة حسنة، وقرأ القرآن على سليمان بن دامغ وحفظه عليه وجوّده، ثم شرع في طلب العلم على علماء بلده منهم: الشيخ: صالح بن عثمان القاضي، وعبدالله بن محمد المانع، ثم رحل إلى بريدة، وقرأ على عبدالله وعمر بن سليم، ثم عاد إلى عنيزة فلازم مشايخه، وقرأ على الشيخ علي بن محمد السناني ثم رحل إلىٰ الحجاز وسكن السيل الكبير، وصار إمامًا وخطيبًا لجامعه واشتُهر بالرقية الشرعية حيث كان يفد إليه المرضىٰ من كل صوب، وبعد سنين طويلة استقال من جامع السيل ورحل إلىٰ مكة وصار إمامًا وخطيبًا وواعظًا بجامع الأمير متعب بن عبدالعزيز في حيّ «جرول»، وظلّ إمامًا وخطيبًا ومدّرسًا إلى وفاته[٢].

صفاته:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديدًا في الله يصدع بكلمة الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، وفيه نخوة، وكان طويل القامة أسمر اللون، متوسط الشعر، ضعف بصره ثم كُفّ في آخر حياته، وثقل سمعه كذلك[٣].

مؤلفاته:

الموعظة النظمية في ما يتعلق بالعقيدة السلفية[٤].

وهي عبارة عن ثنتين وأربعين ومائة بيتٍ، ذكر فيها مواعظ بليغة

---

(١) روضة الناظرين (٢/ ٥١)، وعلماء نجد (٤/ ٤٥٨).

(٢) روضة الناظرين (٢/ ٥١).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٥٢).

(٤) علماء نجد (٤/ ٤٥٨).

وزواجر عن اقتراف الذنوب والكبائر، وهي قصيدة تحثّ على الإقبال على الله وعدم الاغترار بالدنيا.

وفاته:

وفي آخر حياته مرض مرضًا شديدًا فقال له بعض عواده: ألا ترقي نفسك. فتمثل بقول القائل:

إن المنايا إذا ما حان موقعها   لم ينفع المرء منها رقية الراقي

وفي الثالث من جمادى الأولىٰ من عام (١٣٩٨هـ) وافته المنيّة في جرول وصلّى عليه في المسجد الحرام، ودُفن في مكّة رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

(١) روضة الناظرين (٢/ ٥٢).

ترجمة الشيخ

عبدالمهيمن أبوالسمح

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١٣٠٧ ـ ١٣٩٩هـ

اسمه:

عبدالمهيمن محمد نور الدين أبوالسمح.

نبذة عن حياته:

وُلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام (١٣٠٧) في قرية التّلّين بمديرية الشرقية في مصر، ونشأ بها وهو من عائلة اشتهرت بشؤون القرآن وتحفيظه فحفظ القرآن ولم يبلغ العاشرة من عمره، وتتلمذ في الجامع الأزهر على بعض علماء عصره، ثم طلبه الملك عبدالعزيز لإمامة الحرم المكي الشريف، فعمل إمامًا من عام (١٣٦٩هـ) إلى عام (١٣٨٨هـ) وقد كانت له مشاركات في الدعوة إلى الله، كما كانت له مشاركات في التدريس حيث درّس القرآن والتفسير والحديث في مدارس وزارة المعارف وفي دار الحديث بمكة والمدرسة المنصورية.

وفاته:

وفي السابع والعشرين من شهر رمضان من عام (١٣٩٩هـ) توفي الشيخ عبدالمهيمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمكة وصلّى عليه ودُفن بها[١].

(١) هذه الترجمة مختصرة من كتاب «رجال من مكة» زهير كتبي (٢/ ١٤٤، ١٤٥).

ترجمة الشيخ

عبدالله بن محمد بن حميد

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١٣٢٩ ـ ١٤٠٢هـ

اسمه ونسبه:

عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حميد من آل حسين بن عثمان وهم أحد أفخاذ قبيلة بني خالد(١).

مولده ونشأته:

وُلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بلدة «معكال» ـ حي من أحياء الرياض ـ في شهر رمضان المبارك عام (١٣٢٩هـ)، وقد كُفّ بصره في طفولته، ولم يكن ذلك عائقًا له عن طلب العلم، فحفظ القرآن، وشرع في طلب العلم بهمة ونشاط فأخذ مبادىء العلوم الشرعية وحفظ متونها، فقرأ على علماء الرياض والوافدين إليها، ونبغ في فنون كثيرة، وقد تفرّس فيه مشايخه الذكاء والفطنة(٢).

صفاته:

لقد اتصف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بصفات قلَّ أن توجد إلاَّ في العلماء المتميزين، فمن ذلك: الذكاء المفرط، والفهم الجيد، والعقل الراجح، وبُعد النظر، والحافظة القوية، والقوة في الحق، وعدم خشية أحد إلاَّ الله(٣).

مشايخه:

١ ـ الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، قرأ عليه في كتاب التوحيد.

٢ ـ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، قرأ عليه في التوحيد والتفسير والحديث والفقه والفرائض والنحو، ولازمه ملازمة تامة حتى أفاد منه فوائد كثيرة.

٣ ـ الشيخ سعد بن عتيق، قرأ عليه في التوحيد والحديث ومصطلحه.

---

(١) انظر: علماء نجد (٤/ ٤٣١).

(٢) انظر: علماء نجد (٤/ ٤٣٥)، وتتمة الأعلام (١/ ٣٣٨).

(٣) انظر: علماء نجد (٤/ ٤٣٦).

٤ ـ الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، قرأ عليه في الفقه.
٥ ـ الشيخ حمد بن فارس، قرأ عليه في النحو[١].

أعماله:

١ ـ في عام (١٣٥٧هـ) عُيّن قاضيًا في الرياض.
٢ ـ وفي عام (١٣٦٠هـ) نُقل إلى قضاء سدير، ثم إلى بريدة في عام (١٣٦٣هـ) وتولىٰ فيها الإمامة والخطابة بجامعها.
٣ ـ وفي عام (١٣٨٤هـ) عُيّن رئيسًا لرئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام.
٤ ـ وفي عام (١٣٩٥هـ) عُيّن رئيسًا لمجلس القضاء.

وغيرها من الأعمال التي تولاها أثناء حياته[٢].

مؤلفاته:

١ ـ **كتاب التوحيد:**

وهو عبارة عن رسالة صغيرة تضمنت مجمل اعتقاد السلف في أبواب العقيدة ومسائلها.

وهو مطبوع يقع في خمسين صفحة، بتحقيق أشرف عبدالمقصود.

٢ ـ **غاية المقصود في التنبيه على أوهام ابن محمود.**
٣ ـ **نقد نظام العمل والعمال.**
٤ ـ **كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر.**
٥ ـ **تباين الأدلة في إثبات الأهلّة.**
٦ ـ **الدعوة إلى الجهاد بالكتاب والسُّنَّة.**
٧ ـ **هداية الناسك إلى أحكام المناسك.**
٨ ـ **الإبداع في شرح خطبة حجة الوداع.**
٩ ـ **رسالة في حكم التلفاز.**

---

(١) انظر: المصدر السابق (٤/ ٤٣٥، ٤٣٦)، وتتمة الأعلام (١/ ٣٣٨).
(٢) انظر: المصدر السابق (٤/ ٤٣٦، ٤٣٧)، (١/ ٣٣٩).

١٠ ـ توجيهات إسلاميّة[١].

وكانت له مشاركات في بعض الصحف والإذاعة، كما أن له فتاوى لو جُمعت لجاءت في مجلدات، ويقوم أبناؤه بجمعها الآن.

وفاته:

لقد أُصيب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بمرض عُضال سافر على إثره إلىٰ أمريكا وأُجريت له عدّة عمليات؛ ثم زاد عليه المرض، فأُدخل مستشفى القوات المسلحة بالطائف حتى وافاه الأجل فيها في يوم الأربعاء العشرين من شهر ذي الحجة من عام (١٤٠٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ وصُلّي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة العصر، ودُفن في مقبرة العدل بمكّة، رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته[٢].

---

(١) انظر: علماء نجد (٤/ ٤٤٠)، وتتمة الأعلام (١/ ٣٩٩)، وجميع هذه المؤلفات مطبوعة، ماعدا الفتاوى.

(٢) علماء نجد (١/ ٤٤١).

ترجمة الشيخ
عبدالعزيز بن راشد النجدي
رَحِمَهُ اللَّهُ
١٣٢٣ ـ ١٤٠٣هـ

اسـمه:

عبدالعزيز بن راشد بن زيد آل حسين النجدي.

نبذة عن حياته:

وُلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام (١٣٢٣هـ) في بلدة المفيجر التابعة للحريق، ونشأ بها نشأة حسنة، حيث قرأ القرآن وحفظه عن ظهر قلب، وأخذ مبادىء العلوم عن علماء بلده وعلى الشيخ عبدالعزيز بن بشر بالرياض، وبعد أن تجاوز العشرين من عمره سمت همته للازدياد من العلم فسافر إلى مصر والتحق بالجامع الأزهر وتتلمذ على علمائه، وفي عام (١٣٧٣هـ) رجع إلى المملكة بعد بلوغ الخمسين من عمره فسكن مكة، وطلب منه الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما كان مشرفًا على التدريس في الحرم أن يدرّس ويرشد فيه فوافق، وكان يدرّس في وقتين وفي المواسم، واستمرّ على تدريسه في الحرم سنين طويلة أقرّه كافة المشرفين على المسجد الحرام آخرهم الشيخ عبدالله بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)].

مؤلفاتـه:

١ ـ **رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد:**

وهو عبارة عن رسالة عرض فيها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأدلة من الكتاب والسُّنَّة على حجية خبر الآحاد، كما بيَّن الشُّبه التي يحتج بها الرادّون لحجية خبر الآحاد، ثم أردفها بالردّ والتفنيد.

وهو مطبوع بالمكتب الإسلامي ببيروت يقع في خمسٍ وثمانين صفحة.

٢ ـ **الطواغيت المقنّعة:**

عرض فيه لبيان حقيقة التوحيد وما يخالفه، وبيان الشفاعة وأنواعها، وبيان أن طاعة أي أحد غير الله في معصية الله تأليه له.

---

(١) روضة الناظرين (١/ ٣٣٣).

وهو مطبوع في دار الوعي العربي يقع في ثنتين وستين ومائة صفحة.

٣ ـ تيسير الوحيين بالاقتصار على القرآن مع الصحيحين:

وقد قسَّمه إلى قسمين:

القسم الأول: خاص بالتوحيد وما يتعلق به من مسائل.

القسم الثاني: في المسائل الفقهية وما يتعلق بها.

وهو مطبوع يقع في أربع وثمانين وخمسمائة صفحة.

٤ ـ أصول السيرة المحمدية:

وهو مطبوع، يقع في تسع وستين ومائة صفحة.

٥ ـ هاتف الأمن.

٦ ـ الأشفية الرحمانية.

٧ ـ بيان متشابه القرآن(١).

وفاته:

وفي جمادى الأولىٰ من عام (١٤٠٢هـ) ألمّ به مرض على إثره سافر للعلاج في مصر، ودخل مستشفى في الإسكندرية، وفي يوم الأحد الرابع عشر من محرم من عام (١٤٠٣هـ) تُوفي الشيخ رحمه الله بالمستشفى، ودُفن في مصر(٢).

---

(١) ذكرت في آخر كتاب تيسير الوحيين، ولم أطلع عليها.

(٢) روضة الناظرين (١/ ٣٣٣).

ترجمة الشيخ

عبدالله بن عبدالغني خياط

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١٣٢٦ ـ ١٤١٥هـ

اسمه ونسبه:

عبدالله بن عبدالغني محمد خياط[١].

مولده ونشأته:

وُلد رَحِمَهُ اللَّهُ بمكة المكرمة في يوم (٢٩) شوال من عام (١٣٢٦هـ)، نشأ في بيت متوسّط الحال، وكان أبوه مثقفًا ثقافة دينية وله إلمام بالفقه الحنفي والتفسير والحديث، وتلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة الخياط بالمسعىٰ، ثم التحق بالمدرسة الراقية في عهد الحكومة الهاشمية في عام (١٣٤٧هـ)، وتلقى تعليمه الثانوي بالمعهد العلمي السعودي عام (١٣٥٠هـ)، وحفظ القرآن بالمدرسة الفخرية، كما تلقى العلم على يد علماء المسجد الحرام[٢].

صفاته:

كان متواضعًا جمّ الآداب زاهدًا ورعًا شديد التمسك بمنهج السلف لطيف المعاشرة مربيًّا فاضلاً[٣].

مشايخه:

وقد تتلمذ الشيخ على مشايخ كُثُر بالمسجد الحرام منهم:

١ ـ الشيخ أبوبكر خوقير.

٢ ـ الشيخ عبدالله السندي.

٣ ـ الشيخ مظهر حسين.

٤ ـ الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ.

٥ ـ الشيخ محمد عبدالظاهر أبوالسمح.

---

(١) ؟؟

(٢) انظر: تتمة الأعلام (١/ ٣٢٠)، والتعليم في الطائف في القرن الرابع عشر، ص(٩٤)، وأعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر، ص(٨٠).

(٣) انظر: أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر، ص(٨٣).

٦ ـ الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة.
٧ ـ الشيخ سليمان عبدالرحمن الحمدان.
٨ ـ الشيخ محمد حامد الفقي.
٩ ـ الشيخ إبراهيم الشورى.
١٠ ـ الشيخ محمد عثمان الشاوي.
١١ ـ الشيخ تقي الدين الهلالي.
١٢ ـ الشيخ محمد بن علي البيز[١].

أعماله:

لقد تقلّب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في عدّة أعمال من أبرزها:

١ ـ إدارة مدرسة حارة الباب الابتدائية في عام (١٣٥٢هـ).
٢ ـ عُين مديرًا للمدرسة السعودية بالطائف عام (١٣٥٥هـ).
٣ ـ ثم انتقل إلى الرياض حيث عُين مديرًا لمدرسة الأمراء عام (١٣٥٦هـ).
٤ ـ عين مديرًا لمدرسة دار الحديث، ومستشارًا للمعارف بمكة عام (١٣٧٢هـ).
٥ ـ وفي عام (١٣٧٥هـ) عُين مديرًا لكلية الشريعة بمكة.
٦ ـ وفي عام (١٣٧٦هـ) عُين إمامًا وخطيبًا للمسجد الحرام، كما كلف بالإشراف على إدارة التعليم بمكة.
٧ ـ وفي عام (١٣٩١هـ) صدر الأمر باختياره عضوًا في هيئة كبار العلماء[٢].

مؤلفاته:

لقد كان الشيخ عبدالله خياط رَحِمَهُ اللهُ صاحب قلم سيّال وأسلوب

---

(١) أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر، ص(٨٠، ٨١).
(٢) انظر: تتمة الأعلام (١/ ٣٣١)، وأعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر، ص(٨١ ـ ٨٣)، والتعليم في الطائف، ص(٩٤).

رفيع أثرىٰ بهما المكتبة الإسلامية بكثير من الكتب منها:

١ ـ **دليل المسلم في الاعتقاد على ضوء الكتاب والسُّنَّة:**

وهو عبارة عن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عرض فيه لمحاسن الدين الإسلامي وبيان كلمة التوحيد ومفهوم العبادة، ومعرفة النبي ﷺ.

الفصل الثاني: عرض فيه لمراتب الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان وبيّن معناها وأركانها.

الفصل الثالث: عرض فيه لمفهوم التوحيد بأنواعه الثلاثة وفضله، ومفهوم الشرك وأقسامه، والشفاعة وأقسامها وشروطها، والغلو في النبي ﷺ، والتبرك، وكرامات الأولياء، والتوسّل وأنواعه.

وقد ذكر في هذا الكتاب كل مسألة مع ذكر دليلها من الكتاب والسُّنَّة، كما تميّز هذا الكتاب بسهولة عباراته وسلاسة معانيه.

وهو مطبوع يقع في واحدة ومائة صفحة.

٢ ـ **اعتقاد السلف:**

وهو عبارة عن نبذة يسيرة مختصرة في بعض مسائل العقيدة ذكر فيه أنواع التوحيد الثلاثة، وبعض المسائل المتعلقة بها.

وهو مطبوع يقع في أربع عشرة صفحة.

٣ ـ **الخُطب في المسجد الحرام:**

وهو عبارة عن ثلاثة أجزاء يضم كل جزء مجموعة من الخطب التي أُلقيت بالمسجد الحرام منذ توليه الخطابة فيه إلى إعفائه منها.

وهو مطبوع في مكتبة جدّة.

٤ ـ **تأملات في دروب الحق والباطل:**

وهو عبارة عن مقالات متفرقة تشمل جميع نواحي الإسلام.

وهو مطبوع في مطبعة تهامة، يقع في ست وستين وثلاثمائة صفحة.

٥ ـ التفسير الميسر:

وهو عبارة عن ثلاثة أجزاء، مقتبس من أشهر التفاسير المعتبرة بأسلوب لطيف سهل قريب من الأذهان، وهو مطبوع في مطبعة النجاح بجدة.

٦ ـ الربا في ضوء الكتاب والسُّنَّة:

وهو عبارة عن رسالة صغيرة تعرّض فيها لبيان حكم الربا مدلّلاً عليه من الكتاب والسُّنَّة، وقد نُشرت في مجلة البحوث الإسلامية بالرياض، ثم طُبعت بدار الرفاعي.

٧ ـ حِكم وأحكام من السيرة النبوية:

وهو عبارة عن صياغة جديدة لأحداث السيرة حيث أخذ في ذكر وقائع السيرة بأسلوب لطيف سهل رفيع، دمج في ثناياه الدروس والعبر.

وهو مطبوع بحمد الله في دار الرفاعي، ويقع في سبع وتسعين ومائتي صفحة.

٨ ـ الصلاة وأحكامها.

٩ ـ تحفة المسافر.

١٠ ـ الرواد الثلاثة.

١١ ـ مبادي السيرة.

١٢ ـ ما يجب أن يعرفه المسلم عن دينه[١].

وله كتب أخرى لم تطبع نذكر منها:

١ ـ لمحات عن الإيمان.

٢ ـ لمحات من الماضي.

٣ ـ أنموذج الحاكم المسلم عمر بن عبدالعزيز.

---

(١) انظر: تتمة الأعلام (١/ ٣٣١، ٣٣٢)، وأعلام القرن (١٤، ١٥)، ص(٨٣، ٨٤)، والتعليم في الطائف، ص(٩٤، ٩٥).

٤ ـ آيات وهدايات.

كما أن له مشاركات في بعض المجلات مثل مجلة الحج، ومجلة الوعي الإسلامي، ومجلة المنهل، وغيرها.

وفاته:

وفي شعبان من عام (١٤٠٤هـ) طلب الشيخ رحمه الله من الملك إعفاءه من الخطابة في المسجد الحرام، وذلك لظروفه الصحية فمازال على هذه الحال إلى أن تُوفي رحمه الله يوم الأحد السابع من شهر شعبان من عام (١٤١٥هـ) رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته[١].

* * *

---

(١) انظر: جريدة الجزيرة، العدد (٨١٣٨)، وجريدة الشرق الأوسط، العدد (٥٨٨٦).

الفهارس العلمية

١ ـ فهرس الآيات.
٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية.
٣ ـ فهرس الآثار.
٤ ـ فهرس المصادر والمراجع.
٥ ـ فهرس الموضوعات.

١ ـ فهرس الآيات

﴿سورة الفاتحة﴾

﴿سورة البقرة﴾

﴿سورة آل عمران﴾

﴿سورة الأنعام﴾

﴿سورة الأعراف﴾

﴿سورة الأحقاف﴾

﴿سورة محمد﴾

﴿سورة الفتح﴾

﴿سورة الحجرات﴾

﴿سورة الذاريات﴾

﴿سورة النجم﴾

﴿سورة القمر﴾

﴿سورة الحديد﴾

٢ـ فهرس الأحاديث النبوية

حـرف الألـف

حرف الباء

حرف الثاء

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الصاد

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٣ ـ فهرس الآثار

حرف الألف

حرف التاء

حرف الخاء

حرف الشين

حرف القاف

حرف الكاف

٤ـ فهرس المصادر والمراجع

ـ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبوعبدالله عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري (ت٣٨٧هـ)، الطبعة الأولى، دار الراية.
ـ أجوبة المسائل الثمان، لمحمد سلطان المعصومي (ت١٣٨١هـ)، الطبعة الأولى، دار الراية.
ـ أحكام الجنائز، ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي.
ـ إحياء علوم الدين، أبوحامد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، الطبعة الأولى، دار المعرفة.
ـ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، أبوالمعالي الجويني «إمام الحرمين»، الطبعة الأولى، دار السعادة بمصر.
ـ إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، الطبعة الأولى، دار الكتبي.
ـ أساس التقديس، أبوعبدالله محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت٦٠٦هـ) الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية.
ـ الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، الطبعة الأولى، مكتبة السوادي.
ـ أسمىٰ الرسالات، عبدالحميد بن أحمد الخطيب (ت١٣٨١هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي.
ـ اشتقاق أسماء الله تعالى، أبوالقاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاج (ت٣٤٠هـ) الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة.
ـ أصول السيرة المحمدية، عبدالعزيز بن راشد النجدي، الطبعة الثانية، دار الطباعة والنشر الطبي.

ـ أضواء البيان، للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الطبعة الأولى، دار الأندلس بجدة.
ـ اعتقاد السلف، عبدالله بن عبدالغني خياط، الطبعة الأولى، دار الثقافة للطباعة.
ـ أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر، إبراهيم بن عبدالله الحازمي، الطبعة الأولى، دار الشريف.
ـ أعلام الموقعين، ابن القيم، شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر ابن أيوب، الطبعة الأولى، دار الحديث.
ـ انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية، محمد كمال جمعة، الطبعة الأولى، دار السعادة بمصر.
ـ الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والجازفة، عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية.
ـ أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، محمد سلطان المعصومي، الطبعة الأولى، مطبعة أم القرىٰ.
ـ الإيمان، محمد بن إسحاق بن منده، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة.
ـ الإيمان معالمه وسننه، الإمام أبوعبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) تحقيق الألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي.

حرف الباء

ـ بدائع الفوائد، أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، الطبعة الأولى، دار الخير.
ـ البرهان الساطع في تبرء المتبوع من التابع، محمد سلطان المعصومي، الطبعة الأولى، دار الراية.
ـ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الطبعة الأولى.

- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، أحمد السباعي، الطبعة السابعة، مطبوعات نادي مكة الثقافي.
- تاريخ نجد، حسن بن غنام، الطبعة الثانية، دار الشروق.

حرف التاء

- تأملات في دروب الحق، عبدالله بن عبدالغني خياط، الطبعة الأولى، دار عكاظ للطباعة والنشر.
- تأويل مشكل القرآن، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الطبعة الثانية، دار التراث (١٣٩٣هـ).
- التبرك، عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، مخطوط.
- التبصير في معالم الدين، أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، الطبعة الأولى، دار العاصمة.
- تتمةالأعلام، محمد خيررمضان يوسف، الطبعة الأولى، دار ابن حزم.
- تحرير الكلام في جواب الهندي عن صفة الكلام، أبوبكر خوقير، مخطوط.
- تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان، مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت١٠٣٣هـ)، الطبعة الأولى، دار النصر للطباعة الإسلامية.
- التحقيق المصون في علم الغيب بما كان ويكون، عبدالستار الدهلوي، مخطوط.
- التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق، أبوبكر بن محمد عارف خوقير، مخطوط.
- تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديَّان وذكر حوادث الزمان، إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن، الطبعة الأولى، مطابع مؤسسة النور.
- ترجمة المعصومي، محمد سلطان المعصومي، الطبعة الأولى،

المطبعة السلفية.
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، الطبعة الأولى، دار السرور، بيروت، لبنان.
- تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي (ت٣٩٤هـ)، الطبعة الأولى، مكتبة الدار بالمدينة.
- التعليم في الطائف في القرن الرابع عشر، سليمان بن صالح آل كمال، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف في الطائف.
- تفسير القرآن العظيم، أبوالفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ)، الطبعة الثانية، المعرفة.
- التفكير فريضة إسلامية محمد مخدوم.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبوعمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، تحقيق مجموعة من العلماء، الطبعة الأولى، وزارة عموم الأوقاف لشئون الإسلامية.
- تمييز المحظوظين عن المحرومين، محمد سلطان المعصومي، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي.
- تنبيه النبلاء من العلماء إلى قول حامد الفقي إن الملائكة غير عقلاء، محمد سلطان المعصومي، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية.
- التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
- التوحيد، عبدالله بن محمد بن حميد، الطبعة الأولى، مكتبة طبرية.
- التوحيد، محمد عبدالمؤمن الفلاني، الطبعة الأولى، مطبعة المدني.
- التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي، الطبعة الثالثة، دار لبنان للطباعة والنشر.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة.

- تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الأولى.

- تيسير الوحيين بالاقتصار على القرآن مع الصحيحين، عبدالعزيز بن راشد النجدي، الطبعة الثالثة، دار المدني.

حرف الجيم

- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.

- جامع العلوم والحكم، عبدالرحمن بن شهاب بن أحمد بن رجب الحنبلي، الطبعة الأولى، دار المعرفة.

- الجامع لأحكام القرآن، أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.

- جوهر الدين، عبدالحميد الخطيب، الطبعة الأولى، مصطفى البابي الحلبي.

حرف الحاء

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، بدون طبعة، دار الكتب العلمية.

- حاشية العقيدة الواسطية، محمد بن عبدالعزيز المانع، الطبعة الأولى، مكتبة الرياض الحديثة.

- حاشية عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد بن عبدالعزيز المانع، الطبعة الأولى، مكتبة الرياض الحديثة.

- حبل الشرع المتين، محمد سلطان المعصومي، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية.

- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني (ت٥٣٥هـ) تحقيق محمد ربيع مدخلي، الطبعة الأولى، دار الراية.

- حقيقة التأويل، عبدالرحمن المعلمي، مخطوط.
- حكم الله الواحد الصمد، محمد سلطان المعصومي، الطبعة الأولى، عيسى البابي الحلبي.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفيات، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، ط ١٣٩٤هـ، مطبعة السعادة بمصر.
- حول ترحيب الكوثري بنقد تأنيبه، محمد عبدالرزاق حمزة، الطبعة الأولى، مطبعة الإمام.
- حياة القلوب بدعاء علام الغيوب، محمد عبدالظاهر أبوالسمح، الطبعة الرابعة، مطبعة سفير.

حرف الخاء

- الخطب في المسجد الحرام، عبدالله بن عبدالغني خياط، الطبعة الرابعة، مكتبة جدة.
- الدر النضيد، سليمان بن عبدالرحمن الحمدان، الطبعة الثانية، المطبعة السلفية.

حرف الدال

- دقائق التفسير، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الطبعة الثالثة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
- دليل المسلم في الاعتقاد، عبدالله بن عبدالغني خياط، الطبعة الأولى، المطبعة النموذجية.
- الدين الخالص، محمد بن صديق حسن البخاري، الطبعة الأولى، دار التراث.

حرف الراء

- رجال من مكة المكرمة، زهير جميل كتبي، الطبعة الثالثة، مؤسسة عكاظ.
- الرحلة الحجازية، محمد بن علي السنوسي، ت: علي الشنوي، نشر

الشركة التونسية للتوزيع في (١٤٠١هـ).
- الرد الوافي على تعليقات حامد الفقي، محمد سلطان المعصومي، الطبعة الأولى، السلفية.
- رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد، عبدالعزيز بن راشد النجدي، الطبعة الأولى، دار المدني.
- الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٨هـ)، الطبعة الأولى، الدار السلفية.
- الردود اللامعة على البوتي ومن شايعه، محمد بن مخدوم.
- الرسالة التدمرية، أحمد بن تيمية تحقيق محمد عودة السعوي، الطبعة الأولى، شركة العبيكان للطباعة والنشر.
- الرسالة المكية في الرد على الرسالة الرملية، محمد عبدالظاهر أبوالسمح، الطبعة الأولى، مطبعة المنار.
- الروح، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي.
- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، محمد عثمان القاضي، الطبعة الثالثة، (١٤١٠هـ)، مطبعة الحلبي.

حرف الزاي

- زاد المسير في علم التفسير، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة.

حرف السين

- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف.
- السنة، عبدالله بن أحمد بن حنبل، تحقيق محمد سعيد القحطاني،

الطبعة الثانية، رمادي للنشر.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي.
- سنن الترمذي، للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، الطبعة الثانية، مطبعة البابي الحلبي.
- سنن النسائي، أبوعبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، الطبعة الأولى، دار المعرفة (١٤١١هـ).
- سير أعلام النبلاء شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، الطبعة التاسعة، مؤسسة الرسالة.
- سير وتراجم، عمر عبدالجبار، الطبعة الثانية، مؤسسة مكة للطباعة.
- سيرة سيد ولد آدم، عبدالحميد الخطيب، الطبعة الأولى، مكتبة إحياء التراث الإسلامي.
- السيف القاطع للنزاع، محمد بن عبدالمؤمن الفلاني، الطبعة الأولى، دار الإفتاء بالرئاسة العامة.
- السيف المسلول لاستقامة دين الرسول، محمد بن عبدالمؤمن الفلاني، الطبعة الأولى.

حرف الشين

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبوالقاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، ت: د. أحمد سعد حمدان، الطبعة الأولى، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار بن أحمد، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة.
- شرح السنة، أبومحمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي.
- شرح صحيح مسلم، أبوزكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)،

الطبعة الأولى، دار الريان.
- شرح كتاب التوحيد للبخاري، أبومحمد عبدالحق بن عبدالواحد الهاشمي، الطبعة الأولى، دار القبلة للثقافة الإسلامية.
- الشفاء، للقاضي عياض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، الطبعة الأولى، دار السوادي.
- الشواهد والنصوص من كتاب الأغلال على ما فيه من زيغ وكفر وضلال، محمد عبدالرزاق حمزة، الطبعة الأولى، مطبعة الإمام.
- الشيخ عبدالرحمن المعلمي وجهوده في السنة، منصور بن عبدالعزيز السماري، الطبعة الأولى، دار ابن عفان للنشر.

حرف الصاد

- الصارم المنكي في الرد على السبكي، محمد بن أحمد بن عبدالهادي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، الطبعة الأولى، دار الجيل الأول.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
- الصفدية، أحمد بن تيمية، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية.

حرف الطاء

- طبقات الحنابلة، عبدالرحمن بن شهاب بن أحمد بن رجب الحنبلي.
- الطواغيت المقنعة في الإسلام، عبدالعزيز بن راشد النجدي، الطبعة الأولى، دار الوعي العربي.

حرف الظاء

- ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، د/ سفر بن عبدالرحمن الحوالي (رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى).

- ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية، محمد عبدالرزاق حمزة، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية.

حرف العين

- عالم الملائكة الأبرار، عمر بن سليمان الأشقر، الطبعة السابعة، دار النفائس.
- العبادة، عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، مخطوط.
- العبودية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ)، دار الكتاب العربي.
- عصمة الأنبياء، أحمد بن عبداللطيف آل عبداللطيف (رسالة ماجستير بجامعة أم القرى).
- عقائد أئمة السلف، جمع: فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي.
- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أبوعثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، الطبعة الأولى، مطابع دار طيبة.
- عقيدة العوام، أحمد المرزوقي المالكي المكي، الطبعة الأولى.
- العقيدة الواسطية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الطبعة الأولى، دار الوطن.
- علماء نجد، عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام، الطبعة الثانية، دار العاصمة.

حرف الفاء

- فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
- فتح البيان في مقاصد، القرآن، صديق حسن خان، الطبعة الأولى، مكتبة ابن تيمية.
- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، محمد بن عبدالرحمن بن محمد

السخاوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
- الفروق اللغوية، أبوهلال الحسن بن عبدالله العسكري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
- فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال، أبوبكر محمد عارف خوقير، الطبعة الأولى، مطبعة مجلة المنار.

حرف القاف

- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، أحمد بن تيمية، الطبعة الأولى، دار الآفاق.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
- القبض والإرسال في الصلاة، محمد بن عبدالمؤمن الفلاني، الطبعة الثالثة، مطبعة دار نشر الطباعة.
- قرة العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان خير الدين الألوسي، الطبعة الأولى، دار المدني.
- القضاء والقدر، عبدالرحمن بن صالح المحمود، الطبعة الأولى، دار النشر الدولي.
- القول السديد في قمع الحرازي العنيد، محمود شويل، الطبعة الأولى، مطبعة الإمام.
- القول الفصل في حقيقة سجود الملائكة واتصافهم بالعقل، محمود شويل، الطبعة الأولى، مصطفى البابي الحلبي.

حرف الكاف

- كتاب التوحيد، وإثبات صفات الرب عز وجل، أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، الطبعة الثانية، مكتبة الرشد.
- كتاب الشريعة، أبوبكر محمد بن الحسين الآجري (ت٣٦٠هـ)، الطبعة الأولى، دار الوطن، ت: د. عبدالله بن عمر الدميجي.

ـ كرامات الأولياء، محمد عبدالظاهر أبوالسمح، الطبعة الأولى، مطبعة الإمام.
ـ كشف تلبيس إبليس الذى تكنى بأبي إدريس، محمود شويل، الطبعة الأولى، مطبعة الإمام.
ـ كشف الظنون عن أسامي الفنون، حاجي خليفة، بدون طبعة، دار العلوم الحديثة، بيروت، لبنان.
ـ الكواكب الدرية لشرح الدرة المضيئة في عقيدة أهل الفرقة المرضية، عبدالعزيز المانع، الطبعة الأولى، دار المدني.

حرف اللام

ـ لسان العرب، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، الطبعة الأولى، دار الفكر.

حرف الميم

ـ ما لابد منه في أمور الدين، أبوبكر محمد عارف خوقير، الطبعة الأولى، دار سعد النجيم.
ـ ماذا في الحجاز، محمد جمال، الطبعة الأولى، دار الثقافة.
ـ المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، دار الوطن.
ـ مجموع الفتاوى، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الطبعة الأولى، مكتبة ابن تيمية.
ـ المجموعة الثالثة من رسائل عبدالحق الهاشمي، الطبعة الأولى، مطابع سحر.
ـ مختصر الصواعق، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ) الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
ـ مختصر العلو، أبوعبدالله محمد بن أحمد الذهبي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي.

- مختصر نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، محمد سعيد العمودي وأحمد علي، الطبعة الثانية، عالم المعرفة.
- مدارج السالكين، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، (ت٧٥١هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- مرآة الحرمين، إبراهيم طلعت الباشا، الطبعة الأولى.
- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد، عبدالإله بن سليمان الأحمدي، الطبعة الأولى، دار طيبة (١٤١٢هـ).
- مستدرك الحاكم، أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
- مسند أبي بكر بن عبدالله بن الزبير الحميد، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، عالم الكتب.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت٣٠٧هـ)، الطبعة الأولى، دار القبلة.
- مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، دار صادر بيروت.
- المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية، محمد سلطان المعصومي، الطبعة الأولى، دار العاصمة.
- معارج القبول، حافظ بن أحمد الحكمي (ت١٣٧٧هـ)، الطبعة الثانية، دار ابن القيم.
- معالم التنزيل، للحافظ أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، (٥١٦هـ)، الطبعة الأولى، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، الطبعة الأولى، دار السعادة بمصر.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة.
- معجم مصطلحات الصوفية، عبدالمنعم الحفني، الطبعة الثانية، دار

الميسرة (١٤٠٧هـ).
ـ معجم مقاييس اللغة أبوالحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، الطبعة الأولى، دار الجيل.
ـ مفتاح الجنة لا إله إلاَّ الله، محمد سلطان المعصومي، الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية.
ـ مفتاح دار السعادة، أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، الطبعة الأولى، دار الحديث.
ـ مفردات غريب القرآن، أبوالقاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، الطبعة الأولى، مكتبة نزار البازة (١٤١٨هـ).
ـ مقدمة هداية الأريب الأمجد، بكر بن عبدالله أبوزيد، الطبعة الأولى، دار العاصمة.
ـ مناجاة الله، عبدالحميد الخطيب، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية.
ـ منزلة الحديث من الدين، محمود شويل، الطبعة الأولى، السلفية.
ـ منهاج السنة، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الطبعة الأولى، دار الثقافة والنشر بجامعة الإمام.
ـ منهج الأشاعرة في العقيدة، د/ سفر بن عبدالرحمن الحوالي، الطبعة الأولى، الدار السلفية، الكويت.
ـ منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي.
ـ ميزان الاعتدال، أبوعبدالله محمد بن أحمد الذهبي، الطبعة الأولى، دار المعرفة.

حرف النون

ـ النبوات، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية (ت٧٢٨هـ) الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
ـ نشر الرياحين في تاريخ علماء البلد الأمين، عاتق بن غيث البلادي،

الطبعة الأولى، دار مكة.

- النظائر، بكر بن عبدالله أبوزيد، الطبعة الأولى، دار العاصمة.

- النعت الأكمل وإضافاته، محمد كمال الدين محمد الغزي العامري (ت١٢١٤هـ) الطبعة الأولى، دار الفكر (١٤٠٢هـ).

- نهج البردة، عبدالحميد الخطيب، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية.

حرف الهاء

- هل الله مستبد، عبدالحميد الخطيب، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي.

- هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة، محمد سلطان المعصومي، تحقيق سليم الهلالي، الطبعة الأولى، المكتبة الإسلامية.

- همزية الخطيب، عبدالحميد الخطيب، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية.

الدوريات:

- جريدة البلاد.

- جريدة الجزيرة.

- مجلة الحج.

- جريدة الشرق الأوسط.

- جريدة الندوة.

- مجلة المنار.

- مجلة المنهل.

- مجلة الوعي الإسلامي.

٥ـ فهرس الموضوعات

الصف التصويري والإخراج **الفرقان**
مكة المكرمة: ٩٨ شارع العزيزية العام مقابل مكتبة ابن زيدون ت: ٥٥٦٤٨٦٠
الرياض: ت ٤٠٤٣٧٣٢ فاكس ٤٠٤٣٧٨٧